الأخلاق التعليمية

(٣)

الصدق

رؤى في مفهومه ومجالاته ومعطياته

من أبحاث

سماحة المرجع الديني

السيد كمال الحيدري

بقلم

الدكتور طلال الحسن

الأخلاق التعليميّة

«٣»

الصدق

رؤى في مفهومه ومجالاته ومعطياته

للمرجع الديني

السيّد كمال الحيدري دام ظله

بقلم

الدكتور طلال الحسن

مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام

للفكر والثقافة

الكاظمية المقدسة ـ باب الدروازة

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وقفات تأمّلية

قال تعالى:

﴿**وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**﴾ (مريم: ٥٠).

﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾ (الشعراء: ٨٤).

﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ (القمر: ٥٥).

قال حكيم:

إذا كانت الفضيلة لا يُحفظ فيها الإنسان فهل يُحفظ بالرذيلة؟!

وإذا كان الصدق غير منجٍ للإنسان فهل يُنجيه الكذب؟!

الصدق فضيلة وإن كان ثمنه الموت

والكذب رذيلة وإن كان ثمنه الحياة

فكن صادقاً واتّبع كلّ فضيلة.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ حُسن الصدق وقُبح الكذب من مدركات العقل العملي، ولذلك لا يحتاج الإنسان أن يبذل مؤونة كبيرة في درك هذه الحقيقة، لاسيّما وأنّ الشارع المقدّس قد أكّد كثيراً على حسن الصدق وضرورة الاتصاف به، كما أكّد كثيراً على قبح الكذب وضرورة اجتنابه، وإذا كان الأمر كذلك فلِمَ نرى انزواء الصدق واستشراء الكذب؟ فهل تنازل العقلاء عن عقلانيّتهم؟ أم أنّ الشارع المقدّس قد أغمض بياناته؟

الواقع أنّه لم يقع تنازل أو إغماض في ذلك، وإنّما لذلك أسباب أخرى، من قبيل أنّ الإنسان بطبعه العجول غالباً ما يخشى فوات المصالح فيكذب لحبس المصلحة المنظورة إليه، أو أنّه يكذب للخلاص من عقوبة على مخالفة اقترفها، أو على تقصير في واجب، أو أنّه يريد أن يتجمّل بنسبة أمور حسنة لم تقع له فيكذب ويكذب، وغير ذلك من الأسباب التي تقع خلف وقوع الكذب اختياراً، وهذا ما حاولنا التعرّض له في هذه الحلقة ـ الحلقة الثالثة من سلسلة الأخلاق التعليميّة ـ التي تنطلق من تأسيسات الصدق ومكامنه في النيّة والقول والفعل، ومن لزم الصدق فارقه الكذب، فإنّهما متضادّان لا يجتمعان في مورد واحد، فيكون الصدق فيه طارداً للكذب.

إنّ هذا الموضوع الذي يشكّل العمود الفقري في جميع حركات الإنسان وسكناته، أو قل بأنّه يمثّل واقعية كلّ ذلك، ولا يوجد إنسان لا يقع منه الصدق أو لا يدرك جمال ذلك، وهذا ما يعطينا مفتاحاً عمليّاً يعيشه كلّ إنسان للدخول في مكامن الصدق وموارده بغية الوصول إلى ذلك الهدف السامي الذي يرمي

إليه هذا الكتاب، وهو أن نكون صادقين في نوايانا وأقوالنا وأفعالنا، فنكـون قـد استحوذنا على قطب الكمال، ومركز الجمال، وروعة الجلال.

كمال الحيدري

١ / رمضان / ١٤٣٧ هـ

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

الصدق سُلَّم الوصل والكمال، وقد اجتمعت القواعد العقلية والسيرة العقلائية والتشريعات السماوية والأعراف الاجتماعية والقوانين الدولية على أهمّيته وضرورته؛ فهو السبيل الذي يُختصر فيه الطرق، والضمانة في سير الحياة العملية، والضمانة في حفظ الأثر في سيرنا العلمي والعملي؛ وما من مرتبة معنوية إلّا وهي منطلقة من أرضيّة الصدق، فلا رُقيّ معنوياً أبداً من دون حاضرة الصدق؛ بل ولا رقُيّ حقيقياً في دوائر العلم إلّا بأجنحة الصدق.

فالصدق مع النفس ومع الله تعالى ومع الآخرين أشرعة الحفظ من الغرق في محيط الغفلة، وما لم يكن الإنسان صادقاً مع نفسه فإنّه لا يكون صادقاً مع ربِّه، ولا يكون صادقاً مع أخيه الإنسان.

إذن فالصدق مفتاح حركتنا العلمية والعملية والمعنوية، وهذا ما يقتضي منّا الوقوف طويلاً والتأمّل كثيراً في مكامن الصدق التي يعسر حصرها والتحقّق بها إلّا بالوقوف عليها علماً وعملاً، ونظراً لأهمّية ذلك كلّه فقد اقتضى الأمر الوقوف برويّة؛ طلباً وتحقيقاً لدقائق الأُمور بعد بيان ظواهرها، وهذه هي المهمّة الأُولى والأساسية لهذا الكتاب، وستقع في طولها مهامّ أُخرى تتحرّك باتجاه الهدف الأوّل، فإذا ما وقع إطناب في جملة من المقدَّمات فذلك ما تقتضيه الصناعة في نظم البحوث وملء فراغاتها.

وأسأله تعالى التوفيق والسداد في تحقيق ذلك، إِنَّهُ حَمِيدٌ مجِيدٌ وقَرِيبٌ مُجِيبٌ، والحمد لله وحده من قبل ومن بعد.

هذا الكتاب

في الحلقة الثالثة من سلسلة (الأخلاق التعليمية)، وقد اشتملت على أربعة عشر درساً، تناول السيد الأستاذ (دام ظلّه) موضوع الصدق بزواياه المختلفة، وقد جعل لهذه الزوايا المختلفة رؤوس أقلام جامعة، وهي: (الصدق في النيّة والقول والفعل)، ولكنّ دروس هذه الحلقة لا تقتصر على موضوع الصدق، وإنّما سوف تتعرّض إلى موضوعات أخرى تتعلّق بالصدق بشكل وآخر، كما هو مدرج في صفحة دروس هذه الحلقة.

وهنا ينبغي التذكير بأنَّ هذه السلسلة في الأخلاق التعليمية ـ والتي منها هذه الحلقة الثالثة ـ قد جمعت بين المنهجية العلمية في العرض، والعمق في الفهم والتطبيق، والوضوح وحسن البيان، انسجاماً مع إستراتيجية السيد الأستاذ (دام ظلّه) بضرورة إفشاء الجانب التعليمي، وهذا ما ينسجم تماماً مع مشروعه المعرفي الذي تبنَّاه (دام ظلّه) وروّج له منذ أكثر من ثلاثة عقود، في إلزامية التفقّه في الدين، عقيدةً وشريعةً، وتفسيراً وحديثاً، وأخلاقاً وعرفاناً؛ لتكتمل المنظومة الإسلامية في ذاكرة المكلّفين.

امتازت هذه الحلقة ـ الثالثة ـ بحلّتها الواقعية، في التصوير والتقريب والتمثيل، تحقيقاً للهدف الأساس من الأخلاق التعليمية، كما أنّها قد اشتملت على مطالب جديدة وعميقة ودقيقة، تحتاج إلى تدبّر وتأمّل ومطالعة لأكثر من مرّة، وقد سلكت هذا الحلقة طريق التمثيل والتقريب لتخفيف حدّة عمق ودقّة تلك المطالب، ليس من باب الرعاية للمكلّفين، فإنّ سياسة التفقّه في الدين تقتضي الارتقاء بهم، وإنّما من باب رعاية الإستراتيجية العامّة لهذه الحلقات، القائمة على أساس الواقعية والتعليمية، فوقع التمثيل والتقريب بالقدر الممكن والمتاح، وإذا ما بقي شيء من العمق والدقّة فذلك هو واقع حال لا يمكن

التنصّل عنه، ولعلّ في ذلك مصلحة يدركها جيّداً أصحاب الفنّ، وسيجد القارئ الكريم جملة من الاصطلاحات والعناوين والتفريعات الجديدة التي لم تُعهد من قبل في كتب الأخلاق، وهذا الأمر هو واحد من امتيازات هذه الحلقة بل هذه الدورة الأخلاقية، وقد حرص السيد الأستاذ (دام ظلّه) كثيراً على تأصيل معظم بحوث دروس هذه الحلقة من العقل والقرآن الكريم والسنّة الشريفة، وسيُلاحَظ أن سَوق الآيات والروايات جاء بطريقة اندماجية وكأنّها فقرات من المتن، وليست مجرّد أدلّة وشواهد.

تنبيه

إنَّ عنونة الدروس بالأوّل والثاني و...، لا تعني أنَّ لكلّ درس حصّة واحدة؛ فقد يحتاج الدرس منها إلى حصّتين أو ثلاث، أو أكثر، وقد يُكتفى في بعضها بحصّة واحدة، ولذلك ينبغي التركيز على إيصال مادّة الدرس شكلاً ومضموناً، وإعطاء البعدين التعليمي والمعنوي أهمّية متناسبة، فلا يصحّ الإغفال عن الجانب التعليمي طلباً للمعنوي كما لا يصحّ العكس أيضاً.

وعلى الأساتذة الكرام ـ طبقاً لوصايا السيد الأستاذ (دام ظلّه) ـ أن يكونوا قدوة عملية في جانبهم التعليمي وجانبهم المعنوي، فإنَّ شخصية الأُستاذ في الدرس الأخلاقي لها أثر كبير جداً في الجذب والطرد، وليس مطلوباً من الأُستاذ في الجانب التعليمي أكثر من معرفة المطالب المطروحة، وليس مطلوباً منه في الجانب المعنوي أكثر من أن يكون صادقاً؛ فمعرفة الأستاذ بالمطالب والصدق في عرضها كفيلان بتحقيق جانب الجذب، وليستحضر الأُستاذ الكريم كلمة النبي شعيب عليه السلام الواردة في قوله تعالى: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ (هود: ٨٨)، فذلك نافع جداً، والعمل الإصلاحي لا يتحقّق إلّا بالرؤية الواضحة، وبالصبر والتضحية.

كما ينبغي لطلبتنا الأعزاء ـ وبحسب توصيات السيد الأُستاذ (دام ظلّه) ـ أن يكونوا حريصين على التواصل والحضور والمثابرة، وتفعيل الرغبة بالتغيير وتحويلها إلى واقع عمليّ من خلال الاهتمام بهذه الدروس، والعمل وفقاً لتوضيحات الأساتذة المحترمين، والطاعة لهم ما داموا ملازمين للحقّ وناصحين.

جدير بالذكر أنّ مجموعة التعليقات المذيَّلة بكلمة (منه دام ظلّه) تعود للسيّد الأستاذ، وما عداها فهي للمقرّر.

الدكتور طلال الحسن

ربيع الثاني / ١٤٣٧ هـ

قم المشرّفة

دروس الحلقة

- الدرس الأوّل: هويّة الصدق
- الدرس الثاني: مكامن الصدق وموارده
- الدرس الثالث: معوّقات الصدق وأزماته الحادّة
- الدرس الرابع: الصدق مع (النفس، الناس، الله)
- الدرس الخامس: ثمرات الصدق
- الدرس السادس: علاقة الصدق بالإيمان والتغيير والمشاعر
- الدرس السابع: علاقة الصدق بالإصلاح والنصر والمستقبل
- الدرس الثامن: الكذب وأسبابه
- الدرس التاسع: الصدق مفتاح التقوى، والتقوى مفتاح الملكوت
- الدرس العاشر: مقوّمات إصلاح النيّة، وعلاقة ذلك بالصدق
- الدرس الحادي عشر: الابتعاد عن مجالس الغفلة وقاية للصدق
- الدرس الثاني عشر: علاقة الشهامة والشجاعة والسخاء، بالصدق
- الدرس الثالث عشر: الرضا بالقضاء تمحّض في الإيمان وترجمة للصدق
- الدرس الرابع عشر: معاملة الناس (المداراة، السماحة، العفو، الدعاء)
- خاتمة وتوصيات

الدرس الأوّل

الصدق ... هويّته ومراتبه وعلاماته

- أهداف الدرس
- تمهيد
- تحديد المراد من الصدق
- فضيلة الصدق
- حسن الصدق عقلاً ونقلاً
- الصدق مزيّة الأنبياء عليهم السلام
- عطف الصدّيقين على الأنبياء عليهم السلام
- الصدق وسيلة الإخلاص والارتقاء
- مراتب الصدق
- علامات الصدق
- ثمرات الصدق
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- تحديد المراد من الصدق، وبيان فضيلته
- بيان حسن الصدق عقلاً ونقلاً
- بيان علاقة الصدق بالأنبياء عليهم السلام
- بيان علاقة الصدق بالإخلاص والارتقاء
- بيان مراتب الصدق وعلاماته وأهمّ ثمراته

تمهيد

البحث في هويّة الصدق هو أوّل مفاتيح مَكَامِنِه، ومنه يكون الشروع في جميع تفاصيله، ولهذا ناسب أن يكون أوّل حديثنا ودروسنا حول ذلك، ومن خلال البحث في هويّته سنتعرّض إلى بعض متعلّقاته، كفضيلة الصدق وحسنه عقلاً ونقلاً، وكيف أنّه صار أبرز مزايا الأنبياء عليهم السلام، وما هي صلته بالإخلاص، ثمّ الختم بأهمّ ثمراته التي يقتطفها الإنسان الصادق في سيرتيه العلمية والعملية، وسوف نلاحظ في كلّ ذلك حضوراً كبيراً للقرآن الكريم والسنّة الشريفة، وشطراً يسيراً من كلمات الحكماء والأخلاقيين.

تحديد المراد من الصدق

الصدق: هو قول الحقّ الذي يواطئ فيه اللسانُ القلبَ، والقلبُ اللسانَ. وهو أيضاً: القول المطابق للحقيقة والواقع. يُقابله الكذب، وقد يُواطئ الإنسان الكاذب لسانُه قلبَه، ولكنّه لا يكون بذلك صادقاً؛ لأنّ الصدق ـ كما عرفت ـ هو قول الحقّ الذي يُواطئ فيه اللسانُ القلبَ، وليس مجرّد حصول المواطأة والموافقة. وما نراه في تعريف الصدق: هو ملازمة الحقّ في النيّة والقول والفعل، فقد يكون الإنسان صادقاً في شيء، ولكنّه يكون عاصياً ومذنباً ومخالفاً للحقّ

فيه، كما في الغيبة والنميمة، فذكر العيب المستور بلا زيادة هو موافق للواقع، ولكنّه معصية ومخالف للحقّ، ولذلك قلنا بأنّ الصدق المطلوب هو ملازمة الحقّ في النيّة والقول والعمل، وليس مجرّد مطابقة الواقع.

ولمّا كان الصدق ضرورة من ضرورات المجتمع الإنساني، وفضيلة من فضائل السلوك البشري ذات النفع العظيم، وكان الكذب عنصر إفساد كبير للمجتمعات الإنسانية، وسبباً لهدم أبنيتها، وتقطيع روابطها وصلاتها، ورذيلة من رذائل السلوك ذات الضرر البالغ؛ أمر الإسلام بالصدق ونهى عن الكذب.

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه عرّف الصدق بقوله: «**الصدق: هو المجاهدة، وأن لا تختار على الله غيره، كما لم يختر عليك غيرك، فقال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، فإذا كان اجتباك فاجتبه أنت، ولا تختر عليه هواك ولا دنياك**»[1]، ولا ريب أنّ هذا التعريف ناظر إلى أعلى مراتب الصدق.

فضيلة الصدق

الصدق هو أشرف الصفات الحميدة ورئيس الفضائل، بل هو مفتاح كلّ فضيلة، كما أنّ الكذب ـ وهو ضدّ الصدق ـ مفتاح كلّ رذيلة، وكلّ مورد لم يكن فيه الإنسان صادقاً فهو متّصف بضدّه، وانعدام الصدق يعني الاتصاف بالكذب[2] فيكون متحوّلاً من المسك بمفتاح كلّ فضيلة إلى المسك بمفتاح كلّ

---

(١) فلاح السائل ونجاح المسائل، للسيد رضي الدين علي بن موسى جعفر بن طاووس (ت: ٦٦٤هـ): ص ١١٨، تحقيق: غلام حسن المجيدي، مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ، قم؛ إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي: ج٤ ص٣٩٣، دار المعرفة، بيروت. والآية هي قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ (الحجّ: ٧٨).

(٢) فالمورد الواحد لا يمكن اتصافه بالصدق والكذب معاً، فهو مع المطابقة للواقع يكون

رذيلة، وفضيلة الصدق تكمن في كونها كاشفة عن طهارة النفس وسلامة العقل وامتثال التكليف، ولذلك فإنّ دواعيه فطرية وعقلية وشرعية، ولولا الصدق لما بقي حجر على حجر في البناء الاجتماعي، فعلى أساس الصدق وأصالته تبتني المعاملات الإنسانية، وهنا تكمن فضيلته العظمى، ولذلك لا طريق أمامنا لحفظ البناء الاجتماعي والمعاملات الإنسانية غير توخّي الصدق، وإذا ما لا حظنا تمزّقاً في النسيج الاجتماعي والإنساني فاعلم أنّ هنالك أزمة ثقة كبيرة، أو قل بعبارة أوضح: هنالك أزمة صدق. وإذا ما قيل بأنّ الدين هو المعاملة، فذلك يعني أنّ الدين هو الصدق، وبالتالي يكون الصدق هو المعاملة.

ومن فضائل الصدق: أنّه طريقٌ أمثل لتنمية العمل وطهارته، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من صدق لسانه زكا عمله**»[1].

حسن الصدق عقلاً ونقلاً

إنّ حسن الصدق عقلاً غير خافٍ على أحد، فإنّ من مدركات العقل العملي حسن الصدق وقبح الكذب، وقد جاء الشارع المقدّس مؤيّداً تماماً لهذا المُدرك العقلي، بل وشدّد على ذلك كثيراً، حتى أنّه أمر بالكينونة مع الصادقين لصدقهم، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (التوبة: ١١٩)، بل وجعل المنفعة الحقيقية التي يجنيها الإنسان في الدار الآخرة مبتنية على أساس الصدق، كما قال تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾

الصدق، ومع عدم المطابقة يكون الكذب، ولا يخلو كلّ مورد من أحد الاحتمالين.

(١) الأُصول من الكافي، للشيخ المحدّث الثقة أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني: ج ٢ ص١٠٥ ح ١١ باب (الصدق وأداء الأمانة)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، قم.

(المائدة: ١١٩)، وقد حثّت السنّة النبوية على التزام الصدق وإن تراءى للبعض فيه مفسدة، واجتناب الكذب وإن تراءى للبعض فيه مصلحة، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**تحرّوا الصدق وإن رأيتم أنّ فيه الهلكة؛ فإنّ فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أنّ فيه النجاة؛ فإنّ فيه الهلكة**»(١).

والصدق طمأنينة خالصة، وطريق أمثل لدفع الريبة، فعن أبي الحوراء السعدي قال: «قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ قال: حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الصدق طمأنينة، وإنّ الكذب ريبة**»(٢).

ولشدّة حثّ الشارع المقدّس على التزام الصدق فإنّه قد جعله المناط الأوّل في تقييم فضائل الإنسان، والمناط الثاني هو أداء الأمانة، حيث ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء**

---

(١) مكارم الأخلاق، للحافظ ابن أبي الدنيا: ص ٥١ ح ١٣٧، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة؛ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: ج١ ص ٥٠١ ح٣٢٥٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤٠١هـ، بيروت؛ مستدرك الوسائل، للمحقّق الميرزا حسين النوري الطبرسي: ج٨ ص ٤٥٧، ح١٧، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، قم المقدّسة؛ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين علي المتقي الهندي: ج٣، ص٣٤٤، ح٦٨٥٦، تحقيق: الشيخ بكري الحياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص٢٠٠، دار صادر، بيروت؛ سنن الترمذي: ج٤، ص٧٧، ح٢٦٣٧، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ١٤٠٣ هـ، بيروت؛ المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ): ج٤ ص ٩٩، دار المعرفة، تحقيق: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت.

أمانته»[1]، وصدق الحديث وأداء الأمانة ـ كما سيأتي ـ هما خلاصة دعوة الأنبياء عليهم السلام وسرّ بعثتهم للعالمين.

وأخيراً، فإنّه ما دام الصدق طمأنينة للنفس، وسبيل نجاة لنا في الدنيا والآخرة فإنّه من الطبيعي أن نلاحظ شدّة التركيز عليه من قبل العقل والنقل، ومن الطبيعي أن نكون ملازمين له، فالأصالة للصدق.

الصدق مزيّة الأنبياء عليهم السلام

عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلّا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر**»[2].

ولذلك نجد القرآن الكريم كثيراً ما يشير إلى هذه الأرضية الثابتة التي انطلق منها الأنبياء في أداء مهامّهم، وصارت ملكة الصدق وفضيلته واحدة من التوصيفات التي تُعرّف بها الشخصيات النبويّة، ولنأخذ نماذج على ذلك:

أوّلاً: النبيّ إدريس عليه السلام، فقد جاء في صفته القرآنية: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً﴾** (مريم: ٥٦)، فقدّم أرضيّة النبوّة، وهي الصدق، على تعريفه بالنبوّة، فقال: صدّيقاً، ثمّ قال: نبيّاً، والصدّيق هو كثير الصدق، أو قل: هو الذي لم تقع منه كذبة. وقد نقل ابن حجر أنّ الصدّيق مَن يتكرّر منه الصدق حتى يستحقّ اسم المبالغة في الصدق[3].

---

(١) الأُصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢، ص ١٠٥، ح ١٢.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص ١٠٤، ح ١.

(٣) انظر: سبل السلام (شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني)، للسيد محمد بن إسماعيل الكحلاني (ت: ١١٨٢هـ): ج٤ ص ٢٠٤، مراجعة وتعليق: محمد عبد العزيز الخولي، طبع ونشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٩٦٠م، القاهرة؛ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني: ج١٠

ثانياً: النبي إبراهيم عليه السلام، فقد جاء في صفته القرآنية: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً**﴾ (مريم: ٤١)، والنكتة عينها في المقام.

ثالثاً: النبي إسماعيل عليه السلام، فقد جاء في صفته القرآنية: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً**﴾ (مريم: ٥٤)، والنكتة عينها في المقام، وقد اختصّه بصدق الوعد للإشارة إلى صدقه في وعده لأبيه إبراهيم عليه السلام في قول الله سبحانه: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الصافّات: ١٠٢)، فلمّا باشر إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل عليه السلام استسلم له، ولم يحاول اعتراضه أو تثبيطه، ولم يتوسّل به ولم يستعطفه، بل مضى مع كلّ صبر وثبات لمصيره وقدره؛ لأنّه كان كما جاء في صفته: ﴿**صَادِقَ الْوَعْدِ**﴾.

رابعاً: الأنبياء الثلاثة إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، وهم الجدّ والأب والحفيد، فقد جاء في صفتهم القرآنية: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**﴾ (مريم: ٥٠)، وقيل في معنى الآية: أنّ المراد من جعل لسان صدق لهم هو أنّه تعالى قد جعل لهم ذكراً حسناً وثناءً جميلاً باقياً في الناس، كما هو المرويّ عن ابن عبّاس، واعتمده معظم المفسّرين، والشاهد على إرادة هذا المعنى هو تحقيق الاستجابة لدعاء سابق لإبراهيم عليه السلام بذلك، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾ (الشعراء: ٨٤)، وهو معنى جليل، ولكنّ هنالك معنى آخر يتعلّق بالمجموع نفسه، فدعوة إبراهيم عليه السلام كانت لنفسه حصراً وليست له ولذرّيته؛ قال: ﴿**وَاجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ**﴾، والآية تقول: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ**﴾، فيكون المقصد الأوّل هو التسديد الإلهي لهم، حيث لم يقع منهم إلّا الصدق، فإبراهيم عليه السلام قد اتّهمه بنو إسرائيل فيما

ص٤٢٣، نشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م، بيروت.

بعد بوقوع الكذب منه في ثلاثة موارد، وقد تداول جملة من المفسّرين ذلك، متأثّرين بالروايات الإسرائيلية، محاولين توجيهها بأيّ طريقة كانت، ولذلك جاء القرآن نافياً لجميع احتمالات وقوع الكذب منه عليه السلام بأن جعل الله تعالى له لسان صدق، فلا يصدر منه الكذب مطلقاً وفي أيّ حال من الأحوال.

خامساً: النبي يوسف عليه السلام، فقد جاء في صفته القرآنية: ﴿**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ**﴾ (يوسف: ٤٦)، حيث تثبت صفته الأساسية ـ التي هي أرضيّة نبوّته ـ في قلوب رعيّته، لأنّه عليه السلام قد اعتمد في التصديق بنبوّته على الإعلام الغيبي من خلال تأويل الرؤيا بأمور لم تقع بعد، وهذا الأمر كثيراً ما يقع فيه التشكيك، فكان أتباعه يطردون الشكّ باليقين بصدّيقيّته عليه السلام.

وأخيراً فإنّ النبي الخاتم صلّى الله عليه وآله لم تنطلق دعوته إلى الإسلام إلّا بعد أن أصبح صدقه وأمانته من المرتكزات الذهنية في أمّته، حيث إنّه صلّى الله عليه وآله قد عُرف بينهم بالصادق الأمين[1].

عطف الصدّيقين على الأنبياء عليهم السلام

نظراً لعظمة فضيلة الصدق، وكونها تمثّل الأرضيّة الثابتة والصحيحة للأنبياء، فإنّ المقتدين بهم كان لابدّ لهم من الوقوف على هذه الأرضيّة الطاهرة،

(١) لُقّب رسول الله صلّى الله عليه وآله بألقاب كثيرة، ولكن أشهر ألقابه التي عُرف بها قبل البعثة النبوية هو الصادق الأمين، حتى جاء التصريح بذلك على لسان أعدائه، فقد روى القرطبي أنّ أبا جهل تحدّث مع الوليد بن المغيرة في شأن النبي صلّى الله عليه وآله، «فقال أبو جهل: والله إنّي لأعلم أنّه لصادق! فقال له: مه! وما دلّك على ذلك؟! قال: يا أبا عبد شمس، كنّا نسمّيه في صباه الصادق الأمين». (تفسير القرطبي ـ الجامع لأحكام القرآن ـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: ج١٦ ص ١٧٠، مؤسسة التأريخ العربي، ١٤٠٥ هـ، بيروت). قال القرطبي: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسمّى الصادق الأمين من كثرة صدقه». (تفسير القرطبي، مصدر سابق: ج١٩ ص ٧٥).

ولذلك ورد عطف الصدّيقين على الأنبياء عليهم السلام، كما جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ (النساء: ٦٩)، ونظراً لعظمة فضيلة الصدق ومحبوبيّتها عند الله سبحانه فقد وصف القرآن الكريم بها السيّدة مريم عليها السلام، وذلك بقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (المائدة: ٧٥).

الصدق وسيلة الإخلاص والارتقاء

الصدق يبلغ بصاحبه إلى فضيلتين عظيمتين، الأولى: هي الإخلاص، والثانية: هي الارتقاء في سلّم الكمالات.

أمّا الأولى فإنّ الكذب ولا ريب مُفضٍ إلى الخداع والخيانة، وهذا ما يتنافى تماماً مع رسوم الإخلاص، ولذلك لابدّ من التوسّل بمحراب الإخلاص، وهو الصدق، فالصدق هو ماء السقاية لشجرة الإخلاص، ومن دونه ستذبل تلك الشجرة وتتهشّم، فمن أراد الإخلاص في عمله عليه بتوخّي الصدق، فهو سبيله وجادّته، وقد مرّ بنا خبر جليل عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول فيه: «**من صدق لسانه زكا عمله**»[1]، وزكاة العمل فضلاً عن كونها تعني نماءه وتوسعته وزيادته، فإنّها تعني أيضاً تحقّق الإخلاص فيه، فيكون من قبيل تزكية النفس، ولكنّها تزكية للعمل، وكأنّ الصدق مصفاة نقيّة تُنقّي العمل ممّا يُصيبه من لوثات ومقاصد سيّئة، كما هو الحال في زكاة الفطرة فإنّها ـ كما في الأخبار ـ تُنقّي الصوم وتطهّره من الأخطاء المعنوية التي ترافق الصائم في صيامه.

وأمّا الفضيلة الثانية وهي الارتقاء في سلّم الكمالات، فذلك واقع ولا ريب، وقد أشرنا من قبل إلى أنّ الصدق هو أشرف الصفات الحميدة ورئيس

---

(١) الأُصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص ١٠٥ ح ١١.

الفضائل، بل هو مفتاح كلّ فضيلة، وبالتالي فإنّه السلّم الطبيعي للارتقاء. لننظرْ في سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام، لاسيّما مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكيف بلغ تلك المكانة العظيمة عنده صلوات الله عليهما، وقد أشار إلى النزر اليسير منها بقوله عليه السلام في خطبته القاصعة: «**وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل**»[1]، معلّلاً بذلك سرّ تلك المكانة وذلك السموّ الذي كان عليه، وهذا ما نبّه إليه الإمام الصادق عليه السلام، فعن أبي كهمس قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام، قال: **عليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمد يقول لك: انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلّى الله عليه وآله فالزمه، فإنّ علياً عليه السلام إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلّى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة**»[2]، ولو لاحظنا علّة بلوغه عليه السلام ذلك المستوى من الكمال الرفيع لوجدناها العلّة نفسها فيما بُعث به الأنبياء عليهم السلام، كما تقدّم.

مراتب الصدق

للصدق مراتب كثيرة تلاحظ من حيثيّات مختلفة، نذكر منها:

الحيثيّة الأولى: الفطرة والوراثة والكسب

يدور الصدق بين الأمر الفطري الجبلّي، والأمر الوراثي، والأمر الكسبي التعليمي، وهذه المراتب أساسية للصدق، فالإنسان بطبعه مفطور على الصدق ومجبول عليه، والكذب هو الأمر العارض، ولذلك فالكاذب أوّل ما يخالف بكذبه فطرته وجبلّته، وهذا ما يجعله يشعر بالتناقض الصريح بين ما هو عليه وبين ما وقع

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ج٢ ص ١٥٧ خطبة (٩٢)، جمع الشريف الرضي، تحقيق: الشيخ محمد عبده، نشر: دار المعرفة، بيروت.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص ١٠٤ ح ٥.

فيه، ويبقى صوت التناقض يصرخ فيه حتى يخفت ذلك الصوت إذا بلـغ بالإنـسان كذبه مرتبة الملكة والمقام، فالملكة عسيرة الزوال، والمقام محال الزوال وقوعاً.

وأمّا المرتبة الثانية الواقعة ضمن الحيثيّة الأولى فهي الوراثة، فإنّ الرزق الحـلال، وحسن الطاعة، وعدم المعصية، وصـلاح الـنفس، كـلّ ذلـك يجعـل مـن الأبـوين مورّثين للفضائل الكريمة لأبنائهما، ومن ذلك الصدق، فتجتمـع الفطـرة والوراثـة، فتكون الدواعي للصدق عند الأبناء أقـوى وأشـدّ، وشـباهة الابـن الـصادق بأبيـه الصادق ليست وليدة التربية والتعليم فحسب، وإنّما لها جـذر وراثـي قـد لا نلتفـت إليه ولكنّه حقيقة واقعة، وإذا كان اللبن يعـدي ـ كـما جـاء في خـبر[١] ـ أي: يـورّث بعض السجايا ـ فكيف بما هو أعظم من ذلك، وهو اشتراك الصلب والترائـب[٢] في تكوينه؟ فالابن وريث لأبويه في جملة من معالم الظاهر وجملة من معالم البـاطن، وإذا ما قيل بأنّ السعيد سعيد وهو في بطن أمّه، والشقيّ شقيّ وهو في بطن أمّه، فـإنّ مـن التوجيهات المثلى كون الأبوين مؤثّرين في تشكيل سـعادته أو شـقاوته، بـل هـم البُناة الحقيقيون لـسعادته أو شـقاوته، وهـذا مـا يُرتّـب مـسؤولية عظيمـة عـلى الأبوين في ضرورة تغيير أخلاقهما نحو الأفضل والتزام الصدق في النيّة والقـول

---

(١) عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **لا تسترضعوا الحمقاء؛ فإنّ اللبن يعدي، وإنّ الغلام ينزع إلى اللبن ـ يعني: إلى الظئر ـ في الرعونة والحمق**». من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ج٣ ص ٤٧٨ ح ٤٦٧٩، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: جامعة المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة؛ تهذيب الأحكام، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي: ج٨ ص ١١٠ ح ٢٤، تحقيق: السيد حسن الخرسان، نشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥م، قم المقدّسة.

(٢) قال تعالى: ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ**﴾ (الطارق: ٥ ـ ٧)، والصلب هو ظهر الرجل، والترائب صدر المرأة.

والفعل؛ ليُسرّيا هذه الأخلاق النبيلة إلى ذرّيتهما، فتكون ذرّية سعيدة لا شقيّة.

وأمّا المرتبة الثالثة فهي مرتبة الكسب والتعليم، وهي الأكثر شيوعاً، فإنّ الإنسان نتيجة الغفلة والتغافل والاختلاط بالمحيط الملوّث ينسلخ عن فطرته الآمرة بالصدق، وعند تداركه الأمر يكون بحاجة ماسّة إلى الدربة والتعليم، كمن لا يحسن البكاء فيتباكى، ولا يُحسن الصبر فيصبّر نفسه، فإنّه يتعلّم فنّ الصدق بعد أن تهالكت فطرته في براثن الكذب، وتعلّم الصدق أولى وأيسر من تعلّم الكذب؛ لأنّ ما يتعلّمه هو الموافق لفطرته الأولى، وسرعان ما يجد ذلك الصوت الخافت قد عاد رنينه، واستيقظت في نفسه أجراس الحقّ، فإنّ الفطرة لا تموت أبداً، ولا تتبدّل ولا تتغيّر، وإنّما تُحجب وتُجمّد.

وقد ورد في الأخبار ما يدلّ على الصدق الكسبي والتعليمي، فعن عمرو بن أبي المقدام قال: «قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام في أوّل دخلة دخلت عليه: **تعلّموا الصدق قبل الحديث**»[1]، بل يمكنه بالتعلّم أن يصل إلى مرتبة الملكة في ذلك، وقد روي ما يُشير إلى ذلك عن الربيع بن سعد أنّه قال: «قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام: **يا ربيع إنّ الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً**»[2]، والخبر مرويّ بألفاظه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله[3]، وعن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: **إنّ العبد ليصدق حتى يُكتب عند الله من الصادقين، ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال**

---

(١) الأُصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص ١٠٤ ح ٤.

(٢) المصدر السابق: ج٢ ص ١٠٥ ح ٨.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، مصدر سابق: ج١ ص ٤٣٠؛ صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري: ج٧ ص ٩٥، دار الجيل، بيروت؛ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: ج٨ ص ٢٩، دار الفكر، بيروت.

الله عزّ وجلّ: صدق وبرّ، وإذا كذب قال الله عزّ وجلّ: كـذب وفجـر»[١]، فالـصدق برّ، والكذب فجور، والبرّ عمل صالح، والفجور عمل طالح.

الحيثيّة الثانية: النيّة والقول والفعل[٢]

إنّ الصدق في النيّة والقول والفعل مراتبيّ عرضاً وطولاً، فالصدق في هـذه الأمور الثلاثة لـيس واحـداً، فأحـدها في عـرض الآخـر، وإنّ لأحـدها علاقـةً وتأثّـراً بالآخر، ولكنّ كلّ واحد منها قد يقع من غير ملاحظة الآخـر، فيحـصل الصدق في أصل النيّة ولكنّها عندما تتحرّر إلى قول أو فعل خارجي تأخذ مساراً آخر لظروف تحيط بالشخص أو لاعتياد مسبق، وقد يقع الصدق في النيّة والقول ولكنّ صاحبهما يخفق في ساعة العمل، وقد يكون الإنسان مخلصاً في عمله فيقـع الصدق فيه ولكنّه غير مسبوق بنيّة صادقة، فقد يظهـر الفاعـل رغبـة في الخدمـة ولكنّه في قلبه له مآرب أخرى، مع أنّ عمله تامّ وليس فيه تقصير.

ثمّ في كلّ مرتبة من هذه المراتب الثلاث توجد مراتب في الصدق، فالنيّـة لا تقع على درجة واحدة، فالنيّة قد تكون خالصة تماماً من كلّ شـائبة، وقـد تكـون مشوبة ببعض الشوائب، وتكون مشوّشة، وهذه المراتبية تؤثّر بشكل مباشر عـلى القول والفعل، وستأتي بيانات أخرى للمسألة في الدرس التالي.

---

(١) الأُصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص ١٠٥ ح ٩.

(٢) غالباً ما يُعبّر عن الفعل بالعمل، فيقال: القول والعمل، ولكنّ الأدق في الاستعمال هو كلمة (الفعل) بدلاً من (العمل) لتكون في قبال القول، وإلاّ فالقول هو عمل أيضاً، فيُقال مثلاً: بأنّ النبي صلّى الله عليه وآله قوله وفعله وتقريره حجّة، ولا يُقال: قوله وعمله وتقريره حجّة، ولكن لا ضير في استعمال أحدهما محلّ الآخر، فلنا أن نقول: قوله وعمله وتقريره حجّة، بلحاظ المعنى المقصود في الاستعمال، وإذا ما وقع نوع من التداخل في الاستعمال بين المفردتين فلا ضير فيه؛ لأنّ المعنى المطلوب معلوم.

الحيثية الثالثة: ظرفيّة المخاطب والزمان والمكان

لا ريب أنّ الصدق حسن على كلّ حال، وأنّ الكذب لا يمكن أن يكون بديلاً عنه تحت أيّ ظرف كان، ولكنّ من الحكمة أن يُراعى مستوى المخاطب والظروف الزمانية والمكانية المحيطة بنا، وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ما كلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قطّ، وقال صلّى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم**»[1]، وليس ذلك ازدراءً بهم وإنّما هو عين الحكمة ومقتضى الصدق المناسب لظرفيّة المخاطب، فلو كلّمهم بقدر عقله، وهو الإنسان الكامل، لكان صادقاً في كلّ ما فيه، ولكنّ صدقه هذا يكون غير منسجم مع مقتضيات الحكمة، وما نلاحظه من طيّ المعاني العميقة في الظواهر القرآنية ما هو إلّا من هذا القبيل، ولو سألَنا الطفل والتلميذ والجامعي: ما هو الله؟ فإنّنا نجيب بإجابات مختلفة، وفي جميعها نحن صادقون، والاختلاف ناشئ من مقتضيات الحكمة، وإذا ما أجبنا الطفل بما نجيب به الجامعي فإنّنا نكون صادقين في أصل القول ولكنّنا نكون قد خالفنا مقتضيات الحكمة، ومخالفة الحكمة قدح في نفس الصدق، فالصدق والحكمة صنوان لا يفترقان. علماً بأنّ ملازمة الصدق نفسها هي جوهرة الحكمة، وملازمة الحكمة نفسها هي جوهرة الصدق مع النفس.

---

(١) الأُصول من الكافي، مصدر سابق: ج١ ص٢٣ ح ١٥؛ المحاسن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج١ ص١٩٥ ح١٧، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، نشر: مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٩ هـ، طهران؛ لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ): ج٦ ص٢٧٤ رقم (٩٦٣)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٩٧١م، بيروت؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج١٠ ص٢٤٢ ح٢٩٢٨٢.

وإذا ما وقعت تغييرات في الأحكام الشرعية نتيجة لحاظ ظرفيّة المخاطب والزمان والمكان فهذا لا يعني مجانبة الحقّ، ولا يعني أيضاً أنّ القائلين بالحكم السابق كانوا مجانبين للحق، فلا شيء من ذلك، والجميع صادقون فيما قالوا، وإنّما السبب في ذلك يعود إلى اختلاف تلك الظرفيات الثلاث، والفقيه ما لم يراعِ هذه الظروف الموضوعية فإنّه سوف يرتكب خطأً فاحشاً.

الحيثية الرابعة: المداراة والمداهنة

أمّا المداراة فهي عبارة عن المسايرة والمجاراة والملاطفة، وحسن المعاشرة مع الناس اتّقاء شرّهم[1]، أو هي: «قريب من الرفق معنى، لأنّها ملاءمة الناس، وحسن صحبتهم، واحتمال أذاهم، وربّما فرّق بينهما باعتبار تحمّل الأذى في المداراة دون الرفق»[2]، ولا ريب أنّ المداراة ـ التي يُعبّر عنها بأنّها رأس العقل ونصف الإيمان[3] ـ هي من مراتب الصدق وليست من الكذب بشيء، ففيها

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري: ص ٥٢٢ رقم (٢١٠٣)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، قم المقدّسة؛ معجم لغة الفقهاء، تصنيف: الدكتور محمد قلعجي والدكتور حامد صادق قنيبي: ص٤١٧، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، بيروت.

(٢) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ج١ ص٢٧٠، تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر، تقديم الشيخ محمد رضا المظفر، منشورات مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

(٣) روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**مداراة الناس نصف الإيمان**». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١١٧ ح ٥؛ تحف العقول عن آل الرسول، للشيخ الثقة الأقدم أبي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني: ص ٤٢، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرّسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة.

وعنه صلّى الله عليه وآله: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله، مداراة الناس في غير ترك حقّ**». مصنّف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي

تعبير صادق عن مراعاة مصلحة المخاطب، وليس من المناسب للإنسان السويّ عموماً والمؤمن خصوصاً أن تكون صراحته صارخة بنحوٍ لا تجلب معها إلّا الأذى والألم للمخاطب، ونحن نلاحظ أنّ الطبيب الناجح لابدّ أن تكون صراحته مع المريض بنحوٍ لا يؤدّي إلى تفاقم مرضه، فيُداريه في بيان علّته، وهكذا ينبغي لكلّ عاقل أن يكون مع مخاطبه، لاسيّما في الظروف الصعبة.

وأمّا المداهنة فإنّها فضلاً عن كونها من الرذائل فهي من فصائل الكذب ولا ريب، ولذلك لابدّ للإنسان الصادق أن يجتنب المداهنة؛ لأنّ فيها ضياع المصداقية والصلاح، بل فيها ضياع نصف الدين، بل ضياع الدين إذا كانت

العبسي (ت: ٢٣٥ هـ): ج٦ ص١٠٢ ح٣، ضبطه وعلّق عليه: الأستاذ سعيد محمد اللحام، دار الفكر، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ، بيروت؛ العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل: ج٢ ص٢٨٤، تحقيق وتخريج: الدكتور وصي الله بن محمد عباس، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص٤٢؛ الكامل، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥ هـ): ج٣ ص٢٤٩، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، ويحيى مختار غزاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ، بيروت؛ كتاب العقل وفضله، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي (ت: ٢٨١ هـ): ص٤٥، تحقيق: لطفي محمد الصغير، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، الرياض.

وقد كان الحسن البصري يقول: «إنّهم يقولون: المداراة نصف العقل، وأنا أقول: هي العقل كلّه». العزلة، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ): ص٢٦٣ رقم (٢٤٢)، منشور في المكتبة الشاملة؛ المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري (ت: ٩٠٢ هـ): ص١٢١، الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، ومنشور أيضاً في المكتبة الشاملة؛ كشف الخفاء، للمحدّث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني (ت: ١١٦٢هـ): ج١ ص٤٢٢، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، بيروت.

مداهنة فيه، فالمداهنة في الدين خطيئة كُبرى وفساد عظيم.

والمداهنة ـ بضمّ الميم ـ من: داهن، وهي ترك إنكار المنكر إجلالاً لصاحبه وتقرّباً منه[١]، وهي: «من أعظم المعاصي، وهي الركون إلى الظلمة والفسّاق، والانقطاع إليهم والمصادقة لهم لتحصيل منافعهم وصلاتهم ولو بالثناء عليهم والتعظيم. وكذا جميع أهل البدع، أمّا لو فعل ذلك لدفع ضررهم فليس منها»[٢]، ولا ينبغي الخلط بينها وبين التقيّة الجائزة شرعاً.

قال الشهيد الأوّل: «المداهنة في قوله تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ (القلم: ٩)، معصية، والتقيّة غير معصية، والفرق بينهما أنّ الأوّل: تعظيم غير المستحقّ؛ لاجتلاب نفعه، أو لتحصيل صداقته، كمن يثني على ظالم بسبب ظلمه ويصوّره بصورة العدل، أو مبتدع على بدعته ويصوّرها بصورة الحقّ. والتقيّة: مجاملة الناس بما يعرفون، وترك ما ينكرون، حذراً من غوائلهم»[٣]، والمداهنون في المقام هم وعّاظ السلاطين وحاشيته المقرّبون، الذين لا يزيدون الظالم إلّا ظلماً وطغياناً.

الحيثية الخامسة: النفس، الله، المجتمع

وهذه مراتب أخرى من مراتب الصدق، فمرتبة الصدق مع النفس هي غير مرتبة الصدق مع الله، وهما غير مرتبة الصدق مع المجتمع، فالصدق مع النفس هو

---

(١) انظر: معجم لغة الفقهاء، مصدر سابق: ص ٤١٨.

(٢) الأقطاب الفقهية على مذهب الإمامية، لابن أبي جمهور الإحسائي: ص ٩٨، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة الخيّام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، قم.

(٣) القواعد والفوائد في الفقه والأصول والعربية، للشهيد الأوّل أبي عبد الله محمد بن مكّي العاملي (ت: ٧٨٦ هـ) ج٢ ص١٥٥، تحقيق: الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم، الناشر: مكتبة المفيد، قم؛ الفروق اللغوية، مصدر سابق: ص ٤٨٩ رقم (١٩٧١).

المطابقة بين الظاهر والباطن، والصدق مع الله تعالى هو أن لا تختار عليه شيئاً آخر، أي: لا تقدّم عليه شيئاً آخر، فلا تحكم في أمر لله تعالى فيه حكماً آخر، ولا تمتثل لشيء قد نهاك الله تعالى عنه، بل ولا تصغي إليه، وأمّا مرتبة الصدق مع المجتمع فتكمن في المعاملة، وإذا ما قيل بأنّ الدين هو المعاملة فيراد به مرتبة الصدق مع المجتمع.

علامات الصدق

للصدق علامات كثيرة سنقف عند الأهمّ منها، ممّا نحتاجه في حياتنا.

العلامة الأولى: الاستقرار النفسي وحصول الطمأنينة في القول والفعل، فهو غير مضطرب بصورة تلقائية لا بشكل افتعاليّ، فقد يخفي الإنسان اضطرابه نتيجة عدم صدقه، ولكنّه لا يمكنه أن يلغيه من داخله، وما نعنيه من الاستقرار النفسي هو الاستقرار الداخلي، والإنسان على نفسه بصيرة.

العلامة الثانية: عدم اختلاق الأعذار الواهية لتبرير الخطأ والتقصير، فإنّ حبال الكذب ـ كما يُقال ـ قصيرة، ومُختلق الأعذار في الأمور الصغيرة لهو أشدّ كذباً في الأمور الكبيرة، فهو يكذب في تحصيل الأمور الدنيئة، فكيف لا يكذب في تحصيل الأمور العظيمة؟ مثل هذا غالباً ما يُكتشف التناقض في كلماته وتظهر على فلتات لسانه.

العلامة الثالثة: النزوع إلى تذليل الصعاب، والتفاني في رفع المعوّقات، فالإنسان الصادق هو الذي يبحث عن الحلول وليس عن تعقيد الأمور، فإذا رأيت أحداً يُكثر من اللفّ والدوران حول الأمور فأعلم أنّه كاذب.

العلامة الرابعة: التغاضي عن أخطاء الآخرين المرتكبة بحقّه، والتعاطي بلغة العفو والصفح والسماحة، ما لم يُسبّب له ذلك إساءة خطيرة.

العلامة الخامسة: قلّة الكلام عن النفس وعدم مدحها، والإكثار من ذكر حسنات الآخرين ولو كانوا خصوماً له، فلا يُزكّي نفسه عند أحد، ولا عند

نفسه، قال تعالى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢)، وأيضاً أن لا يفرح بإطراء الآخرين له، فليس ذلك من الحكمة بشيء، وأن يبقى مراقباً لنفسه، يترصّد غرورها، ويواجهها بالاتّهام لا بالرضا والقبول، ومن اتّهم نفسه أمن من خدع الشيطان.

العلامة السادسة: كتمان الابتلاءات والمصائب من جهة، وكتمان أعمال الخير والطاعات من جهة أخرى، فلا يتذمّر كثيراً من الابتلاء، ولا يتبجّح بفعل الخير وامتثال الطاعات، وأن لا يسعى إلى إطلاع الخلق على حسناته، وقد روى الغزالي حديثاً قدسيّاً في كتم الابتلاء عن نبي الله موسى عليه السلام، فإنّ الله تعالى قد أوحى له: «**إنّي إذا أحببت عبداً ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال؛ لأنظر كيف صدقه، فإن وجدته صابراً اتخذته وليّاً وحبيباً، وإن وجدته جزوعاً يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي**»[1]، فقوله تعالى: (**لأنظر كيف صدقه**)، لا يعني الاختبار وحده، والكشف عن واقع حال المُبتلى، وإن كان هذا مراداً، ولكنّها دعوة للتكامل والاتصاف بالصدق في دعوى الطاعة لله والامتثال لأوامره.

العلامة السابعة: الموافقة بين الظاهر والباطن، وبين اللسان والقلب، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**الصدق سيف الله في أرضه وسمائه أينما هوى به يقدّه، فإذا أردت أن تعلم: أصادق أنت أم كاذب؟ فانظر في صدق معناك، وعقد ـ غور ـ دعواك، وعيّرهُما بقسطاس من الله تعالى، كأنّك في القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٨)، فإذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصدق، وأدنى حدّ الصدق أن لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان**»[2].

---

(١) إحياء علوم الدين، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٩٣.

(٢) مصباح الشريعة، المنسوب للإمام جعفر الصادق عليه السلام: ص٣٤ الباب الخامس

ثمرات الصدق

للصدق ثمرات كثيرة، سيأتي تفصيلها في درس خاصّ بها[١]، ولمناسبة البحث في هويّة الصدق فقد ناسب الوقوف عند ثمرة واحدة، لعلّها هي الأهمّ من الناحية الإنسانية والاجتماعية، وهي ثمرة أن يكون الإنسان إنساناً، فالكذب والاحتيال والمراوغة لا تنتمي إلى واقعية الإنسان، وإنّما هي صفات شيطانية غزت قلب الإنسان، وهذه الثمرة ذات البعد الإنساني سوف تنشر الأمن والطمأنينة في الأسرة والمجتمع، فالمجتمع التقوائي هو المجتمع الصادق، ومتى ما كان الصدق هو لغة المجتمع تلاشت عنه جميع الموبقات، وانزوت عنه أخلاقيات الغابة، وعندئذٍ سوف تُصبّ الرحمات على ذلك المجتمع صبّاً.

كلمات على الطريق

- قال تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٨)، وقيل فيه ـ عند أغلب المفسّرين ـ بأنّ المراد هو أنّ الله تعالى يسأل الأنبياء بماذا أجاب أممهم في دعوة التوحيد، ولكنّ الآية تُريد الإشارة إلى نكتة أُخرى دقيقة، وهي توجيه التهديد للكاذبين، فإذا كان الصادق وهو صادق يُسأل عن صدقه، فكيف بالكاذب؟ وهنا يقول الشيخ الطوسي: «ويجوز أن يُحمل على عمومه في كلّ صادق، ويكون فيه تهديد للكاذب؛

عشر، في الصدق، نشر: مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، بيروت؛ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي: ج ٦٨ ص١٠ ح١٨، نشر: مؤسّسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، بيروت؛ تفسير نور الثقلين، للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي: ج٢ ص٥ ح١٣، تحقيق: السيد هاشم المحلاتي، نشر: مؤسسة إسماعليان، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ، قم المقدّسة.

(١) في الدرس السادس من هذه الحلقة.

فإنّ الصادق إذا سُئل عن صدقه على أيّ وجهٍ قال فيُجازى بحسبه، فكيف يكون صورة الكاذب»[١].

- جاء رجل إلى الإمام جعفر الصادق، وسأله أن يُعلّمه ما ينال به خير الدنيا والآخرة ولا يطول عليه؟ فقال عليه السلام: «**لا تكذب**»[٢].
- والصدق سبيل النجاة، ونعم ما أُنشد في ذلك قول الشاعر:

صبرٌ جميلٌ ما أسرَعَ الفرجَا   مَن صَدَقَ اللهَ في الأمورِ نَجَا

خلاصة الدرس

- إنّ البحث في هويّة الصدق هو أوّل مفاتيح مَكَامِنه.
- الصدق: هو قول الحقّ الذي يواطئ فيه اللسانُ القلبَ، ويُقابله الكذب. وما نراه: هو ملازمة الحقّ في النيّة والقول والفعل.
- مواطأة اللسان القلبَ لا تعني حصول الصدق إلّا بموافقة الحقّ.
- الصدق هو أشرف الصفات الحميدة ورئيس الفضائل، بل هو مفتاح كلّ فضيلة، ودواعيه فطرية وعقلية وشرعية، وهو طريق حفظ البناء الاجتماعي والمعاملات الإنسانية من الضياع والفساد.
- حسن الصدق من مدركات العقل العملي، وقد جاء الشارع مؤيّداً لذلك.
- نظراً لعظمة الصدق، وكونه الأرضية الثابتة للأنبياء فقد عطف القرآن الكريم الصدّيقين على الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي: ج ٨ ص٣١٩، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدّسة.

(٢) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٥٩.

- الصدق موجب لفضيلتين: الإخلاص، والارتقاء في سلّم الكمالات.
- للصدق مراتب كثيرة تلاحظ من حيثيات مختلفة، من قبيل: حيثية (الفطرة والوراثة والكسب)، وحيثية (النيّة والقول والفعل)، وحيثية (ظرفيّة المخاطب والزمان والمكان)، وحيثية (المداراة والمداهنة)، وحيثية (النفس، الله، المجتمع).
- من علامات الصدق: الاستقرار النفسي وحصول الطمأنينة في القول والفعل، وعدم اختلاق الأعذار لتبرير الخطأ والتقصير، والنزوع إلى تذليل الصعاب، والتغاضي عن أخطاء الآخرين المرتكبة بحقّنا ما لم تُسبّب لنا إساءة خطيرة.
- أهمّ ثمرة للصدق أن يكون الإنسان بالصدق إنساناً، فالكذب لا ينتمي إلى حظيرة الإنسان، وإنّما هو صفة شيطانية غزت قلب الإنسان.

مذاكرة

- ما هو أوّل مفاتيح مَكَامِن الصدق؟
- ما هو المختار في تعريف الصدق؟ ولماذا؟
- ما هي علاقة الصدق بحفظ البناء الاجتماعي والمعاملات الإنسانية؟
- كيف تفهم حديث: (**تحرّوا الصدق، وإن رأيتم أنّ فيه الهلكة فإنّ فيه النجاة، واجتنبوا الكذب، وإن رأيتم أنّ فيه النجاة فإنّ فيه الهلكة**)؟
- اذكر حديثاً يدلّ على كون الصدق مناطاً في تقييم فضائل الإنسان.
- كيف تفهم من أنّ الصدق هو الأرضية الثابتة التي انطلق منها الأنبياء في أداء مهامّهم؟
- اذكر ثلاثة نماذج قرآنية تصف الأنبياء بالصدق.
- ما هو وجه عطف القرآن الكريم الصدّيقين على الأنبياء عليهم السلام؟

- وضّح صلة الصدق بالإخلاص والارتقاء في سلّم الكمالات؟
- كيف تفهم هذه العبارة: (الصدق هو ماء السقاية لشجرة الإخلاص)؟
- ما هي مراتب الصدق؟ وأيّ المراتب تجدها أقرب إلى نفسك؟
- اذكر حديثاً شريفاً يدلّ على تعليمية وكسبية الصدق.
- ماذا تعني المداراة والمداهنة؟ وما هو الفرق بينهما؟
- ما هي علامات الصدق؟ وأيّ منها تجدها في نفسك؟
- ما هي علاقة كتمان الابتلاءات والمصائب من جهة، وكتمان أعمال الخير والطاعات من جهة أخرى، بالصدق؟ وضّح ذلك.
- ما هي أهمّ ثمرة من ثمرات الصدق؟

الدرس الثاني

مكامن الصدق وموارده

- أهداف الدرس
- حضور الصدق في تفاصيل الحياة
- مكامن الصدق

المكمن الأوّل: الصدق في النيّة والقصد والإرادة

المكمن الثاني: الصدق في القول

المكمن الثالث: الصدق في الأفعال

المكمن الرابع: الصدق في العزم والوفاء به

المكمن الخامس: واقعية الهدف في طلب العلم

المكمن السادس: واقعية الصدق في طلب الدنيا أو الآخرة

المكمن السابع: واقعية الصدق في مقامات الدين

المكمن الثامن: مصداقية طلب الخدمة وحبّ الرئاسة

المكمن التاسع: مصداقية الولاء لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله

المكمن العاشر: مصداقية حبّ الأولياء والصالحين

المكمن الحادي عشر: مصداقية حبّ الفقراء والمساكين

- سبل الوصول إلى ملكة الصدق
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان حضور الصدق في تفاصيل الحياة
- بيان المكامن الرئيسة للصدق
- عرض تمهيديّ لسبل الوصول إلى ملكة الصدق

تمهيد

البحث في مكامن الصدق هو بحث تتبّعي في موارده الرئيسة، وهي الموارد التي تشكّل جميع تفاصيل حياتنا أو أغلبها، فتكون الحاجة ماسّة للتعرّف عليها، بل التعرّف عليها يمثّل ضرورة ميدانية في مجال التربية والأخلاق، وسنلاحظ في تفاصيل هذا الدرس ـ الطويل نسبيّاً ـ تفصيلات غير معهودة في توصيفات الصدق ومكامنه، وحضوراً واضحاً للقرآن والسنّة الشريفة في تأصيل هذه المكامن، وسيلاحَظ أنّ طريقة عرضها لا تخلو من نكات أخلاقية دقيقة وعلاجات موضعية.

حضور الصدق في تفاصيل الحياة

لا يوجد مفصل من مفاصل حياتنا العلمية والعملية إلّا وللصدق حضور فيه، حيث لا يخلو الإنسان من موقف فيها، سواء كان قصديّاً أو قوليّاً أو فعليّاً أو شيئاً آخر، وهذا ما يجعلنا على تماسّ مباشر واختبارات يوميّة متواصلة مع موضوع الصدق وضدّه، ومع الالتفات والإصرار على توخّي الصدق والتزامه نكون على بيّنة من أمرنا، وفي حرزٍ حريز من براثن الكذب، كما أنّه مع الغفلة والتغافل سنكون على خطر عظيم، والغياب الجزئي للصدق يتبعه غياب أكبر، لاسيّما وأنّ الكذب العمدي يترك أثراً سلبيّاً عميقاً على صفحات القلب، فيغدو

القلب به مسودّاً شيئاً فشيئاً، حتى تصبح ظلمته حالكة، ويصير الصدق مبغوضاً، والكذب مأنوساً به، وبذلك يتهاوى البُنيان الإنساني، ولذلك علينا أن نتّخذ الحيطة والحذر الشديد في جميع سلوكيّاتنا؛ لأنّ الصدق والكذب يدوران حول كلّ موضوع يقتضي المطابقة أو عدم المطابقة مع الواقع، فيثبت أحدهما وينتفي الآخر، وبلحاظ ذلك فهما لا يجتمعان على أمر واحد أبداً، فلا يكون الإنسان في موضوع واحد ومن حيثية واحدة صادقاً وكاذباً، وإلّا لزم اجتماع المطابقة وعدمها مع الواقع، ولذلك فهو إمّا أن يكون صادقاً في ذلك المورد عند المطابقة، أو يكون كاذباً عند عدم المطابقة؛ قال تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ (الأحزاب: ٤).

وفي ضوء ذلك لابدّ لنا من التعرّف على مكامن الصدق وموارده، فذلك من أهمّ الخطوات العلمية، بل والعملية أيضاً، لمواجهة أنفسنا وهي تتّخذ مواقفها في تفاصيل الحياة، وما لم نقف على تلك الموارد وتجلية الموقف فيها فإنّنا سوف نعيش رحلة من التيه والضياع والخسارة المعنوية البليغة، ونعم ما قيل من حكمة بالغة من أنّ الوقاية خير من العلاج، وأيّ وقاية أفضل وأعظم من التعرّف على مكامن الصدق وموارده التي تملأ تفاصيل حياتنا، ثمّ مواجهة الإغراءات الدنيوية، بكبح النزوات النفسية، وردع التسويلات الشيطانية.

مكامن الصدق

ونعني بمكامن الصدق أقسامه وموارده، حيث لا تخلو سلوكيات الإنسان من قصدٍ وعزم وإرادة، وقول وفعل[1]، وكلّ هذه السلوكيات المختلفة إنّما تدور

---

(١) تعرّض جملة من الأخلاقيين والمهتمّين إلى هذه التقسيمات في كتبهم الأخلاقية، من قبيل: كتاب: (إحياء علوم الدين)، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وكتاب: (مختصر منهاج القاصدين)، لابن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٢ هـ)، وهو اختصار لكتاب (منهاج

بين الصدق والكذب، وهي كالتالي:

المكمن الأوّل: الصدق في النيّة والقصد والإرادة

كلّ قول اختياريّ، وفعل اختياريّ، لا يخلو من نيّة وقصد وإرادة، فإن كانت النيّة والقصد والإرادة متعلّقة بالله تعالى فإنّ الصدق فيهما يقع في أعلى مراتبه، وإن كانت متعلّقة بمطلق الكمال فإنّ الصدق يقع في متوسّط مراتبه، وإن كانت متعلّقة بكمال شخصيّ فإنّ الصدق يقع بأدنى مراتبه.

توضيح ذلك: ما ينبغي أن نكون عليه هو أن يكون المقصد الحقيقي في كلّ سلوكيّاتنا هو الله تعالى، بمعنى تحصيل رضاه، فلا يكون للمؤمن الواقعي مقصد آخر، سواء كان ما يقع منه عبادة أو معاملة، فإنّ ذلك كلّه بمجرّد ارتباطه بالله تعالى فإنّه يكون مرتبطاً بالكمال المطلق، لا بمطلق الكمال، والكمال المطلق هو الله تعالى وحده لا غير، ومطلق الكمال يعني شخص الكمال من دون النظر لمصداق

القاصدين) لابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، والكتابان موافقان لأسلوب كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي، بل هما مستلّان منه، وهكذا نجد التأثّر الواضح لكتاب: المحجّة البيضاء، للشيخ محسن الفيض الكاشاني، ولكتاب: جامع السعادات، للشيخ محمد مهدي النراقي، بكتاب إحياء علوم الدين، فضلاً عن كتب أخلاقية لمعاصرين اعتمدوا فيها على جامع السعادات أو المحجّة البيضاء.

وبالتالي فإنّ ذلك المقدار من البعثرة أو ضعف النظم في تقسيمات الصدق قد سرى من الإحياء إلى منهاج القاصدين إلى المحجّة إلى جامع السعادات وإلى الآخرين، ولذا نجد السيد الأستاذ (دام ظلّه) قد حرص على حفظ العناوين الأساسية الواردة في تقسيمات الصدق، لكن من خلال عرضها بشكل منظّم، وبمضامين عميقة، وتفريعات جديدة تفتقر إليها جميع الكتب أعلاه، مع إضافة تقسيمات جديدة للصدق، ضمن العنوان الجامع وهو (مكامن الصدق)، وعليه فإنّ الاشتراك بين ما جاء به السيد الأستاذ (دام ظلّه) يكاد أن يكون صورياً، بل هو أقلّ من ذلك.

له، كمن يفعل الخير لمجرّد الخير لا لخير خاصّ بعينه، فإذا كان المقصد الواقعي لنا هو الله تعالى وطلب رضاه فذلك هو الصدق الواقعي الذي يبلغ به الصادق مرتبة الصدّيقية الإلهية.

فإن لم يكن المقصد الحقيقي هو الله تعالى، وإنّما كان المقصد هو طلب الكمال بعمومه، فالشيء الحسن نقوم به لحسنه، والخير لخيريّته، فلا نقصد كمالاً خاصّاً بنا، فذلك هو الصدق بمراتبه المتوسّطة، بمعنى أنّه أدنى مرتبة من الصدق المستفاد من قصديّتنا لله تعالى وحده، كما أنّه أعلى مرتبة من تلك المرتبة الدانية التي نقصد بها كمالاً معيّناً، كمن يُصلّي طلباً للجنّة فذلك يطلب كمالاً خاصّاً به، وهو صادق، فإذا صلّى بقصد كون الصلاة تكليفاً مطلوباً، وأداء التكليف كمال، من دون قصد النتيجة، فذلك صدق أعلى من السابق، وإن صلّى بقصد تحقيق رضا الله تعالى، فهو لا يصلّي لمجرّد التكليف، ولا يصلّي لطلب الجنّة، فذلك هو الصدق بأعلى مراتبه في النيّة والقصد والإرادة.

ومن الواضح أنّ هذا التفاوت مرجعه الأساس إلى طبيعة الإخلاص الذي عليه القاصد، فهنالك فرق كبير بين الإخلاص الذاتي والإخلاص الغيري، أو بين الإخلاص الفعلي والإخلاص الانفعالي، فمَن قصد وجه الله تعالى وحده، لا يطلب بذلك كمالاً عامّاً ولا خاصّاً فإنّ نيّته وقصده وإرادته عامرة بالإخلاص الذاتي والفعلي، وأمّا من قصد كمالاً عامّاً أو خاصّاً في كلّ ما يصدر منه من عبادة ومعاملة فإنّه يمتلك إخلاصاً غيرياً وانفعالياً، أي: لولا ذلك الكمال لم يقم عنده إخلاص في النيّة والقصد، ولم ينفعل لذلك، ولو علِم بانتفاء الكمال المطلوب له لتقاعس.

جدير بالذكر أنّ إخلاص النيّة والقصد لله تعالى على قدر كبير من الصعوبة؛ نتيجة تفشّي البرجماتية (النفعية) في المجتمع، والمؤمن الواقعي هو الذي تمكّن من

تطهير قلبه من جميع الأغيار، وانضمّ إلى رعيل الأحرار، وتخلّص من ثنائية العبيد والتجّار، فهذه النفعية لا تنمو إلّا في قلوب العبيد والتجّار(١)، وأمّا الأحرار فهم الذين زكت نفوسهم وطهرت نواياهم ومقاصدهم، ولم تعد لهم وجهة وقبلة غير الله تعالى، وكأنّ بوصلة قلوبهم توقّفت عن الحراك يميناً وشمالاً، ولم تعد تشير إلّا لوجهة واحدة، وهي وجهة الله تعالى، وهذا الأمر إنّما يكون ـ وهو متاح للجميع، مع صعوبة غير قليلة ـ بواسطة تمحّض النيّة وتخليصها لله تعالى، فيتفكّر الإنسان المؤمن في مقاصده الواقعية، في طاعاته ومعاملاته.

المكمن الثاني: الصدق في القول

وهو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، بلا زيادة ولا نقيصة، لكي لا يُوهم بما هو خلاف الواقع، فيكون بذلك كاذباً، ولابدّ من التيقّن في الإخبار عن الأمور العقائدية والمعنوية، فلا يُطلق كلمة لا واقع لها في قلبه ووجدانه، كما في الأدعية الواقعة قبل الشروع بالصلاة، من قبيل القول: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (الأنعام: ٧٩)، وقلبه

---

(١) ورد خبر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة**». نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٥٣ ح ٢٣٧؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٢٤٦. وقد رواه ابن عساكر وابن كثير عن الإمام زين العابدين عليه السلام. انظر: تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي: ج ٤١ ص ٤١٠، دراسة وتحقيق علي شيري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤١٧ هـ، بيروت؛ البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ): ج ٩ ص ١٢٣، تحقيق: علي شيري، نشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨ هـ، بيروت.

متوجّـه إلى سـواه سـبحانه، فيكـون إخبـاراً كاذبـاً، وهكـذا يكـون الحـال في الإخبارات الأُخرى الواقعة في الصلاة، لاسيّما الخطاب في سورة الفاتحة: ﴿**إِيَّـاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَـسْتَعِينُ**﴾ (الفاتحة: ٥)، وهو في واقع حاله من عبيـد الـدنيا أو عبيـد الهوى، فيكون كذباً صريحاً، وأيّ عبادة تلك، التي يكون العابد فيها كاذباً؟!

ولكن حيث إنّ الإنسان في الغالب يقع منه الشرود عـن التوجّـه القلبـي لله تعالى، فإنّ عليه أن يحرص كثيراً على تحصيل التوجّـه القلبـي إلى الله تعـالى وهـو يُخبر عن عبادته واستعانته بالله وحده بقوله: ﴿**إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّـاكَ نَـسْتَعِينُ**﴾، ولا يترك الاحتياط بالإكثار من الاستغفار بعد الصلاة، مستحضراً ما وقـع منـه مـن تقصير فيهـا، وقـراءة بعـض الأدعيـة الخاصّـة بـذلك، وهـي مـن التعقيبـات، والمذكورة في كتب الأدعية[1].

وينبغي التنبيه والالتفات إلى خطورة ضياع فضيلة الصدق في القول، فإذا ما وقعت المخالفة بين القول والواقع المُخبر عنه، ومن دون معالجـات جـادّة، فـإنّ الأمر سوف يتطوّر إلى حالات نفاقية خطيرة، والكذب شعبة من شعب النفـاق، أو خصلة منه، كما أُشير لذلك في الحديث النبوي الشريف، فقـد روي عـن عبـد الله بن مسعود، عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**أربـع مـن كُـنَّ فيـه فهـو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يـدعها: مـن إذا حدّث كذَب، وإذا وعد أخلَف، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصم فجَر**»[2].

---

(١) من قبيل هذا الدعاء: «**إلهي هذه صلاتي صلّيتها لا لحاجة منك إليها، ولا رغبة منك فيها إلّا تعظيماً وطاعة وإجابة لك إلى ما أمرتني، إلهي إن كان فيها خلل أو نقص من ركوعها أو سجودها فلا تؤاخذني، و تفضّل عليّ بالقبول والغفران، برحمتك يا أرحم الراحمين**».

(٢) الخصال، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ص٢٥٤ ح١٢٩، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم

المكمن الثالث: الصدق في الأفعال

وهو على ثلاثة أقسام، وهي:

الأوّل: نفس الفعل، فلابدّ أن يقع على أكمل وجه، ووفقاً لما هو مطلوب، فلا تعتريه مخالفات شرعية ولا أخلاقية، وإلّا فإنّه سوف يكون مشوباً بالكذب، ولا طريق لتحصيل ذلك إلّا بالإخلاص في العمل، فيتّضح أنّ الإخلاص قرين الصدق.

الثاني: الفعل المسبوق بقصده، بمعنى أنّ الإنسان كثيراً ما ينوي ويقصد أن يؤدّي أفعالاً معيّنة، كالتوبة، أو الصلاة في المسجد، أو مساعدة محتاج، ولكنّه لا يتوب، أو لا يذهب للصلاة في المسجد، وإذا ما اعترضه فقير أعرض بوجهه عنه، فيكون كاذباً في كلّ ذلك، وهذا يكشف عن كونه يمتلك نيّة حسنة ولكنّه لا زال صريعاً لهوىً غالبٍ لا يُمكّنه من تحقيق نواياه الحسنة، والأفعال الحسنة لا تتحقّق بمجرّد النيّة، كما هو واضح، وإنّما تحتاج تهذيباً للنفس وإرادة قويّة ورغبة صادقة، وهذا الأمر وإن كان يبدو ليس يسيراً إلّا أنّه ليس عسيراً، فضلاً عن كونه ليس محالاً، وكما قيل: من سار على الدرب وصل، ومسيرة ألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، وكلّ خطوة نحو الإصلاح تتولّد منها خطوات.

الثالث: الفعل المسبوق بقول، كمن يعد بشيء ولا يفي به، فيكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ**﴾ (الشعراء: ٢٢٦)، فيكون كاذباً أيضاً، ومن هذا القسم ما يأمر البعض به من فعل الخير وهو متخلّف عنه! والله تعالى يقول: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة: ٤٤)، وقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «**إنّي والله**

المقدّسة؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٨٩؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٣ ص١٠١؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ١ ص ٥٦.

ما أحثّكم على طاعة إلّا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلّا وأتناهى قبلكم عنها»[١].

وخلاصة الأمر في هذه الأقسام الثلاثة هي: ضرورة حصول التطابق بين الظاهر والباطن، أو قل بين العلانية والسريرة، وإذا ما كان هنالك نوع من التفاضل بين الظاهر والباطن فلا ريب في أولوية وأفضلية الباطن على الظاهر، ومن كان ظاهره خيراً من باطنه فهو ليس على خير، فإن كان عن غير قصد وغير توجّه فذلك قصور في ساحة الإخلاص، وإن كان عن قصد وتوجّه فذلك ضرب من الرياء، بل والنفاق.

ومنه يتّضح وجاهة دعاء رسول الله صلّى الله عليه وآله بأن تكون سريرته خيراً من علانيته، حيث يقول: «**اللّهُمَّ اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، واجعل علانيتي صالحة**»[٢]، فصلاح العلانية أمر مطلوب ولا ريب، كما أنّ صلاح السريرة مطلوب أكيداً، ولكن في صورة التفاضل لابدّ أن تكون السريرة خيراً من العلانية.

المكمن الرابع: الصدق في العزم والوفاء به

العزم: هو التصميم على فعل الخير، فإن أنجزه كان صادق العزم، وإلّا كان

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢ ص ٨٩ خطبة (١٧٥).

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة الكوفي، مصدر سابق: ج ٧ ص ١٣٤ ح ١؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٥ ص ٢٣١ ح ٣٦٥٦، باب (٩)؛ كتاب الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني: ص ٤٢٣، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، بيروت؛ وقريب منه ما جاء في: المزار، للشيخ المفيد محمد بن النعمان: ص١٣١، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، نشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، قم المقدّسة؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦ ص ٦٩؛ مصباح المتهجّد، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ): ص ٧٣٠، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، بيروت.

كاذباً به، وهذا العزم لا يتحقّق إلّا إذا بلغ الإنسان مرتبة الجزم على فعل الخير، فالعزم ليس رغبة عارضة، وإنّما هو شعور صادق وإصرار أكيد على فعل الخير، فإذا أتى بمصداقه كان وفيّاً بعزمه، أو قل: كان صادقاً به، ومن أفضل طرق الاحتياط في اجتناب عدم التطابق بين العزم والوفاء به: المسارعة بالوفاء حال انعقاد العزم، فمن عزم على التوبة لا يُرجئ الوفاء بها إلى قدوم شهر رمضان، ومن انعقد في قلبه إصرار أكيد على الصلاة في المسجد فليذهب حالاً ولا يترك للشيطان فرصة للوسوسة والتثبيط عن فعل الخير، وإذا عقدت العزم على الاعتذار من شخص أسأت له بكلمة أو فعل فسارع في طلبه، فما أسرع ما يقع فسخ العزائم، خيراً وشرّاً، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام حكمة بالغة في قوله: «**عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحلّ العقود**»[١]، فتحدّث نفسك بشيء وتعزم عليه، ولكن سرعان ما تنطفئ الجذوة، لاسيّما عند التأخّر والتواني، ولذلك لابدّ من المسارعة بالوفاء بالعزم، فذلك هو الصدق أو توأمه، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة له: «**إنّ الوفاء توأم الصدق**»[٢].

والخلاصة: إنّ الصدق في العزم، عندما يقع الوفاء بما عزم عليه خارجاً، وإذا ما تخلّف عن الوفاء بما عزم عليه من فعل الخير فذلك مؤشّر أكيد على ضعف عزمه، وتردّده الباطني في تحقيقه، فيكون عزمه كاذباً، وكثيراً ما يقع التخلّف عن الوفاء بسبب التماهل والتواكل والتواني، ولذلك نعم ما قيل من حكمة في ذلك: «**خير البرّ عاجله**»[٣]، وهذا هو السخاء الحقيقي، وإلّا فالقول

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٥٤ رقم (٢٥٠).

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ٩٢ خطبة (٤١).

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي: ج٢٧ ص٢٥، نشر: مؤسّسة التاريخ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت؛ العقد الفريد، لابن عبد ربّه الأندلسي (ت:

والعزم يسخو الإنسان به بيسر، إذا لا مؤنة كبيرة في ذلك، وإنّما الصدق في تصديقه بالحصول خارجاً، ولنعم ما أُشير لذلك، ما جاء في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب: ٢٣).

المكمن الخامس: واقعية الهدف في طلب العلم

لا يخلو طلب العلم من هدف مسبق، فهنالك من يكون هدفه هو العلم نفسه، وهنالك من يطلبه للجدل والمراء، أو لاصطياد الدنيا وتحقيق المكانة الاجتماعية[١]، وهنالك من يطلبه لخدمة الإنسانية، وهنالك من يطلبه لإحقاق الحقّ وإبطال الباطل[٢]، وهنالك من يطلبه طاعةً لله تعالى، وغير ذلك من

---

٣٢٧ هـ): ص ٣٩، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، منشور في المكتبة الشاملة.

(١) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبّوأ مقعده من النار**». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج١ ص٤٧ ح٦؛ سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ): ج١ ص٩٦ ح٢٦٠، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت؛ سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥ هـ): ج١ ص١٠٤، نشر: مطبعة الاعتدال، دمشق.

وعنه صلّى الله عليه وآله في وصيّة طويلة منه لأبي ذر الغفاري جاء فيها: «**يا أبا ذر، إنّ شرّ الناس عند الله تعالى يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه، ومن طلب علماً ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنّة**». الأمالي، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي: ٥٢٧، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة، الطبعة الأُولى، قم المقدّسة.

(٢) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**من خرج يطلب باباً من علم ليردّ به باطلاً إلى حقّ أو ضلالة إلى هدى، كان عمله ذلك كعبادة متعبّد أربعين عاماً**». أمالي الشيخ الطوسي: ص٦١٨ ح١١، مصدر سابق. وفي كلمة منه صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين علي عليه

الأهداف الجزئية، وهنالك من يكون هدفه مزيجاً من كلّ ذلك أو مزيجاً من بعضه، وأيّاً كان هدفه فالعلم نور وفضيلة، ولكنّه قد يكون سبباً في تدنّي الإنسان وهلاكه على الصعيدين المعنوي والأخروي، وذلك عندما يركن إلى الدنيا، فيجمع بين العلم المعطّل وبين الضلال المفعّل، قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾ (الجاثية: ٢٣)، مع أنّ كمال العلم في العمل به، كما جاء في خبر[1]، ولذلك فإنّ العاقل هو من يخرج من صراعه مع الدنيا بالربح الباقي وبأقلّ الخسائر.

إنّ التحقيق في مقاصد طلب العلم هو أهمّ من العلم نفسه بحسب منطق وفلسفة الكمالات الإلهية، فما نحقّقه في الدنيا من تحصيل علميّ، على رفعته وشرافته، فهو محدود وزائل، ولابدّ أن يكون الهدف أبعد من ذلك، أي: أن يكون الهدف نبيلاً وسامياً، فلا يتعدّى أن يكون العلم طريقاً لذلك الهدف السامي، وهنا تكمن واقعية الصدق في تحديد الهدف الواقعي الذي نريده من

السلام وهو يعقد له لواء النصر بخيبر: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**». مسند أحمد، مصدر سابق: ج٥ ص٣٣٣؛ السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣): ج٥ ص٤٦ ح٨١٤٩؛ ص١١٠ ح٨٤٠٣، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، بيروت؛ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني: ج٦ ص١٥٢، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، طبع دار إحياء التراث العربي، نشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، القاهرة.

(١) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال في خطبة له: «**أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ...**». (الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٠ ح ٤).

وراء كلّ ذلك، وما لم نحدّد تلك النقطة فإنّنا سائرون إلى منطقة مجهولة ستوقعنا في إخفاقات كثيرة وخطيرة، لابدّ أن نتجاوز الظاهر بمقدار نتمكّن معه من سبر غور ذلك المقصد والهدف الحقيقي الذي نريد تحقيقه في طلبنا للعلم، فإنّ العلم فضيلة عظيمة، والأعظم منها هو العمل بها، والأعظم من ذلك أن يكون الهدف من طلبه والعمل به هو قصد وجه الله تعالى، ففي ذلك توفيق الدنيا والآخرة.

المكمن السادس: واقعيّة الصدق في طلب الدنيا أو الآخرة

إنّ من أهمّ الأمور في حياة المؤمن وأخطرها: التعرّف على واقعيّة صدقه في طلب الدنيا أو الآخرة، فمن يأسَ على ما فاته ويفرح بما أوتي يكون قد وضع مؤشّراً خطيراً على مصداقيته في حبّ الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ (الحديد: ٢٢ ـ ٢٣)، ومن ارتكب ذنباً ولم يسارع إلى مغفرة ربّه يكون قد وضع مؤشّراً خطيراً على مصداقيته في حبّ الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ (الحديد: ٢١)، ومن أصبح وأمسى وأكبر همّه الدنيا فمعلوم حاله، وحيث إنّ الإنسان كثير الالتواء وكثير الجدل، حتى مع نفسه فضلاً عن غيره، فإنّه لا طريق له لكشف واقعية الصدق في كونه طالباً للدنيا أو للآخرة إلّا بالوقوف على مشاعره الحقيقية عند الابتلاء بالنعمة وعند الابتلاء بزوالها، فمن انقدح في قلبه شكر النعم عند تحصيلها، أو انقدح في قلبه الصبر على القضاء عند الابتلاء فإنّه من أهل الآخرة، وهو صادق في طلبه للآخرة، وأمّا من انقدح في قلبه أنّه العلّة في تحصيل النعم، أو انقدح في قلبه اتهام لله تعالى عند زوال النعم فإنّه من أهل الدنيا، ويكون ادّعاؤه في كونه طالباً للآخرة كاذباً، وهذه الجدلية بين النعم وزوالها لا تنقطع عن الإنسان ما دام حيّاً، وبالتالي فإنّه

يكون على مقربة كبيرة وتماسّ واقعيّ مع واقعيّته في كونه صادقاً أو كاذباً في طلبه الدنيا أو الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (القيامة: ١٤).

المكمن السابع: الصدق في مقامات الدين

وفي ضوء فلسفة الابتلاءات الإلهية والكشف عن مصداقية الصدق في طلب الدنيا أو الآخرة تتجلّى أمامنا مظاهر جديدة من مظاهر الصدق ومكامنه، حيث يتعلّق الصدق بالصبر على المصيبة وعدم الجزع منها، وبالشكر على النعمة وعدم التبطّر فيها، وبالتوكّل على الله تعالى وحده، كما تتجلّى واقعية الحبّ المدّعى لله تعالى ولنبيّه صلّى الله عليه وآله وللأولياء والصالحين وللفضائل، وغير ذلك من المقامات المعنوية المدّعاة، من قبيل مقام الرضا والتسليم، وسيأتي بحثه إن شاء الله تعالى.

وهنا يُقال بأنّ أعلى درجات الصدق وأجلّها، هي درجات الصدق في المقامات المعنوية، فهنالك الكثير من الأدعياء لذلك، وهم في واقعهم ليسوا أكثر من قطّاع طريق، وهؤلاء هم الكاذبون حقّاً، كما أنّ هنالك الكثير من الأولياء الصالحين الذين لشدّة تواضعهم واتّهامهم لأنفسهم لا يرون في أنفسهم شيئاً من ذلك، وهؤلاء هم الصادقون حقّاً، فالصادق في المقامات المعنوية ليس المدّعي لها، وإنّما المتّصف بها حقّاً، فالصابر على أمر قد لا يكون صبره ناشئاً عن ملكة، وإنّما عن اضطرار؛ لعدم وجود حيلة له غير الصبر، فلو أمكنه من التعبير عن غضبه وانتقامه لفعل الكثير، فيمتنع لعجزه لا لصبره، ولذلك فهو يتحيّن الفرص لاستفراغ ما في نفسه، ومثل هذا سيكون كاذباً في دعوى الاتصاف بالصبر، وهكذا الحال في المقامات الأخرى.

وخلاصة القول: من اتّصف بحقائق هذه المقامات المعنوية ولوازمها وآثارها وغاياتها، فهو الصدّيق الحقّ، ومن كان له فيها ما يطلق عليه الاسم دون

اتصافه بحقائقها وآثارها وغاياتها فهو كاذب فيها، ولذلك فمن يـدّعي الخـوف من الله تعالى أو الخوف من النار، ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند إرادة المعصية وصدورها عنه، فخوفه خوف كاذب[١].

المكمن الثامن: مصداقيّة طلب الخدمة وحبّ الرئاسة

وهنا ـ كما يُقال ـ تُسكب العبرات، حيث الخلط الفاحش بين طلب الخدمـة للناس والمجتمع وبين طلب الرئاسة، حيـث يوضـع الإنـسان المقـتحم مجـالات المسؤوليات الكُبرى على المحكّ الحقيقي فيكتشف واقعية الصدق مـن الكـذب الذي هو عليه، ويتبيّن له ما أظهره وما أبطنه، وشـتّان بـين طلـب الخدمـة وبـين طلب الرئاسة، فالأوّل عمل الأنبياء، والثاني من غرور الشيطان، ولـو تأمّلنـا في تمرّد الشيطان عن أمر السجود لآدم عليه السلام فإنّه خليط مـن الحـسد وحـبّ الرئاسة، ولولا حبّ إبليس للرئاسة والعلوّ على الخلـق لمـا وقـع فـيما وقـع فيـه، ولذلك تضافرت الأخبار في ذمّ الرئاسة وحبّها والسعي في طلبها.

عن معمر بن خلاد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه ذكـر رجـلاً، فقال معمّر: إنّه يُحبّ الرئاسة، فقال عليه السلام: «**ما ذئبان ضـاريان في غـنم قـد تفرّق رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من الرئاسة**»[٢]، وعن أبيه الإمام جعفر الـصادق عليه السلام: «**من طلب الرئاسة هلك**»[٣]، لأنّه في الغالب يخسر دينـه، أو يُعـرّض دينه وتقواه إلى خطر عظيم من الصعب بل العسير دفعه، إلّا لمن زكت نفسه.

والظاهر أنّ المراد من حبّ الرئاسـة وطلبهـا هـو طلـب منـصب الإمامـة، والقيادة العليا للأمّة، أو الحكومة المتنفّذة، فعن أبي حمزة الثمالي أنّه قـال: «قـال لي

---

(١) انظر: جامع السعادات، مصدر سابق: ج٢ ص٢٦٠.
(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص٢٩٧ ح١ باب (طلب الرئاسة).
(٣) المصدر نفسه: ح٢.

أبو عبد الله الصادق عليه السلام: **إيّاك والرئاسة، وإيّاك أن تطأ أعقاب الرجال،** قال: قلت: جُعلت فداك أمّا الرئاسة فقد عرفتها، وأمّا أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا ما في يدي إلّا ممّا وطئت أعقاب الرجال، فقال لي: **ليس حيث تذهب، إيّاك أن تنصّب رجلاً دون الحجّة، فتصدّقه في كلّ ما قال**»[(١)].

وعن محمد بن مسلم قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **أترى لا أعرف خياركم من شراركم؟ بلى والله، وإنّ شراركم مَن أحبّ أن يوطأ عقبه**»[(٢)]، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى حبّ الرئاسة.

قال المازندراني: «قوله: (**إنّ شراركم مَن أحبّ أن يوطأ عقبه**) كناية عن حبّ الرئاسة، وهو أشدّ الفسوق وأعظمها، إذ كلّ فسق غيره يعود ضرّه إلى الفاسق، وهذا الفسق يعود ضرّه إلى تخريب الدين وإلى الفاسق والخلق أجمعين»[(٣)].

وقد صحّ ما قيل: حبّ الرئاسة رأس المحن[(٤)]؛ لأنّه يُوقع صاحبه في المهالك.

والخلاصة من كلّ ذلك: هي ضرورة التدبّر في مدى صدق الإنسان في حبّه لطلب الخدمة، لاسيّما لطلبة العلم وفضلائهم وعلمائهم، فالبعض قد يُعرّف نفسه بأنّه أقلّ طلبة العلم، أو أنّه خادم طلبة العلم في تحصيله وتدريسه ولكنّ قلبه ينطوي على حبّ عميق للسلطة والرئاسة، فذلك ليس من الصادقين،

---

(١) المصدر نفسه: ح٥.

(٢) المصدر نفسه: ح٨.

(٣) شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني: ج٩ ص٣٠٢ ح٧، تعليق الميرزا أبي الحسن الشعراني، نشر: مؤسسة التأريخ العربي، الطبعة الثانية المصحَّحة، ١٤٢٩ هـ، بيروت.

(٤) انظر: محاسبة النفس، للشيخ العلامة الثقة تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي (ت: ٩٠٥هـ): ص ٦٨، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، نشر: مؤسسة قائم آل محمد عليه لسلام، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ، قم المقدّسة.

وخادم العلم وطلبته لا يضرّه قدح الناس به، ولا يحزنه التقليل من شأنه، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال في بعض خطبه: «**أيّها الناس! اعلموا أنّه ليس بعاقل مَن انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه**»[1].

على أنّ الرئاسة لو فُرضت على أحدٍ ولم يكن طالباً لها ولا محبّاً لها، ووجد في نفسه الأهليّة للتصدّي وخدمة الناس والأمّة، فإنّ تصدّيه سيكون تكليفاً شرعياً، وتنصّله سوف يفسح الفرص لفاقدي الأهلية فيقع فساد كبير، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، وقد جاء في الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنين علي عليه السلام شاهد على صحّة التصدّي للسلطة عند تحقّق شروطها، وهو قوله: «**أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز**»[2].

المكمن التاسع: مصداقية الولاء لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله

في ضوء كلّ ما تقدّم ستتجلّى عندنا مصداقية جديدة لواقعية الصدق من عدمه، وهي مصداقية الولاء لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله، فصدق الولاء لهما يعني بالضرورة متابعتهما، وأمّا العمل على معصيتهما وتحدّي أحكامهما في القرآن الكريم والسنّة الشريفة فذلك دليل واضح على كذب المدّعي في حبّهما

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٥٠ ح١٤.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٦ خطبة رقم (٣)، الخطبة الشقشقية.

والكظّة هي: التخمة والإسراف في الشبع، أو: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد: استئثار الظالم بالحقوق، وأمّا السغب: فشدّة الجوع.

والولاء لهما، وللنظر في واقعية الولاء من قبل الملائكة لله تعالى ولخليفته، وفي واقعية الولاء المدّعى من قبل إبليس في ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (الكهف: ٥٠)، فالخروج عن رسوم الطاعة فسق صريح، فضلاً عن كونه دليلاً واضحاً على انتفاء الصدق في دعوى المحبّة والولاء، فإذا ما وقع الإنسان في معصية باختيار منه وإرادة فإنّه يُثبت لنفسه بصورة عملية بطلان دعوى المحبّة والولاء لله تعالى، ويتأكّد الأمر بالإصرار على المعصية وعدم الجنوح إلى التوبة، ومحصّلة ذلك هي متابعة الشيطان في تمرّده، كما جاء في ذيل الآية الآنفة: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ (الكهف: ٥٠)، وهكذا الأمر بالنسبة للخروج عن وصايا رسول الله صلّى الله عليه وآله، في العقيدة والشريعة والأخلاق، فالخارج عن وصاياه عن عمدٍ وإرادة فإنّه كالشاهر سيفه بوجه رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكيف يصحّ لمن يشهر سيفه بوجه النبي الخاتم صلّى الله عليه وآله أن يدّعي المحبّة والولاء؟ أو ليس هذا هو الدليل القاطع على انتفاء الصدق، وتحقّق الكذب الصريح؟

المكمن العاشر: مصداقية حبّ الأولياء والصالحين

وفي طول مصداقية محبّتنا وولائنا لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله تأتي مصداقية محبّتنا وولائنا لأولياء الله والصالحين، لاسيّما العترة الطاهرة من أهل بيت النبي صلوات الله عليهم أجمعين، الذين هم أهل بأن يخاطبهم المؤمن: «**إنّي سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، ووليّ لمن والاكم، وعدوّ لمن عاداكم**»[1]،

---

(١) كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت: ٣٦٨ هـ): ص٣٣٠، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر: الفقاهة، في المطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧، إيران؛ مصباح المتهجد، مصدر سابق: ص٧٧٥؛

فكيف تستقيم دعوى الصدق في محبّة أولياء الله والصالحين وتمنّي الكينونة منهم ومعهم مع وقوع صارخ في محاربتهم أو معاداتهم أو التنصّل عنهم؟ إنّ ذلك انتفاء صريح للصدق المدّعى، وحضور صريح للكذب في هذه المحبّة والولاء، ولذلك فإنّ غياب الصدق وحضور الكذب في مثل هذا المكمن والمورد قد قُوبل بالطعن والردع من قبل الله تعالى، كما جاء في الحديث القدسي المرويّ عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: **من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي**»[1]، وعن معلّى بن خنيس أنّه قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنّ الله تبارك وتعالى يقول: **من أهان لي وليّاً فقد أرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي**»[2].

ولا ريب أنّ معاداة أولياء الله تعالى والصالحين تستدعي الإنابة والتوبة، ذلك لمن كان حريصاً على حفظ مصداقية الصدق في دعوة محبّتهم وولائهم، وإلّا فليأذن بحرب من الله تعالى، ومن كان الله تعالى خصيماً له فلا ناصر له.

المكمن الحادي عشر: مصداقية حبّ الفقراء والمساكين

وهنا تأتي المصداقية الأخيرة في هذه المكامن، المتصيّدة من القرآن والسنّة الشريفة، وهي مصداقية دعوى الصدق في محبّة الفقراء والمساكين، فهل هذا

إقبال الأعمال، للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني: ج٢ ص١٣٦، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ هـ، قم المقدّسة؛ المزار، للشهيد الأوّل محمد بن مكّي العاملي (ت: ٧٨٦ هـ): ص١٨١، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، قم المقدّسة.

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص٣٥١ ح٣.

(٢) المصدر السابق: ج٢ ص٣٥١ ح٥.

الحبّ واقعيّ أم أنّه صوريّ؟ فإذا ما تمكّنا من إعانة الفقير والمسكين فهل نسارع لنجدته؟ أم نتركه صريعاً لجوعه وعطشه؟ وهل من الصحيح أن ننتظر منه عرض مسألته علينا أم المبادرة إلى إغاثته؟ فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام كان يطرق بيوت الفقراء والمساكين، وهو خليفة المسلمين، فيرفع عنهم سغبهم بما تجود يده، وهو القائل عليه السلام: «**السخاء ما كان ابتداء، فأمّا ما كان عن مسألة فحياء وتذمّم**»[(١)]، فالصدق في محبّتهم يعني المسارعة في إغاثتهم بقدر المستطاع، فكيف بمن تغافل عنهم، أو لاقاهم بالإهانة والازدراء؟

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من حقّر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عزّ وجلّ حاقراً له ماقتاً، حتى يرجع عن محقرته إيّاه**»[(٢)]، وكيف بمن استذلّهم، لا لشيء إلّا لفقرهم؟ أليس هذا من بطلان محض لمصداقية دعوى الصدق في محبّتهم؟ بل أوَ ليس هذا هو الكذب الصريح في ذلك، وليت الأمر منحصراً بانتفاء الصدق عنهم، وإنّما هنالك تبعات عظيمة وخطيرة، منها ما ورد في خبر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من استذلّ مؤمناً واستحقره لقلّة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق**»[(٣)].

على أنّ الغالب في استذلال الفقراء واحتقارهم والازدراء بهم ناشئ من خصلة بذيئة، وهي الكبْر، فهو الذي يدعو صاحبه إلى التعالي على الخلق عموماً، وعلى المستضعفين منهم خصوصاً، حتى أنّه يتنفّر منهم، ويخشى الاختلاط بهم، وهنا نودّ أن نعظ أنفسنا بهذه القصّة الجميلة التي وقعت لصحابيّ في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله لها صلة وثيقة بالفقر والكبْر.

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج٤ ص١٤ رقم ٥٣.
(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص٣٥١ ح٤.
(٣) المصدر السابق: ج٢ ص٣٥٣ ح ٩.

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل موسر إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، نقيّ الثوب، فجلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، فجاء رجل معسر، درن الثوب، فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أخفت أن يمسّك من فقره شيء؟** قال: لا، قال: **فخفت أن يصيبه من غناك شيء؟** قال: لا، قال: **فخفت أن يوسخ ثيابك؟** قال: لا، قال: **فما حملك على ما صنعت؟** فقال: يا رسول الله إنّ لي قريناً يزيّن لي كلّ قبيح، ويقبّح لي كلّ حسن، وقد جعلت له ـ أي: للرجل الفقير ـ نصف مالي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله للمعسر: **أتقبل؟** قال: لا، فقال له الرجل: ولم؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك»[1].

جدير بالذكر أنّ على الفقراء والمساكين أنفسهم إن تحلّوا بالصدق أن يتحلّوا بالصبر، فالصبر على الفاقة يقيهم ذلّ السؤال، والصدق زينة لهم، بل هو خير لهم من المال المطلوب لمثل حالهم، كما هو حال ذلك الفقير الذي عبّر عن واقعية صدقه في ذلك الموقف الذي يسيل له لعاب الكثيرين، فأعرض عن المال الكثير، الموجب للكبْر، ولزم الفقر المدقع، الذي يحتفظ معه بالصدق، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «**ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره**»[2].

سبل الوصول إلى ملكة الصدق

إنّ البحث في سبل الوصول إلى ملكة الصدق من البحوث المهمّة، بل هو ثمرة البحث في موضوع الصدق كلّه، وسوف نقتصر على عرض يسير له في ذيل هذا الدرس؛ ليكون مطلعاً أو توطئة لبحوث أخرى ستأتينا في دروس لاحقة من

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص٢٦٢ ح١١.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ٦٢ خطبة (٢٣).

هذه الحلقة، وإنّما اكتفينا بالعرض اليسير في المقام لمناسبة أصل البحث في مكامن الصدق أن تقع الإشارة منّا إلى البحث في سبل الوصول إلى ملكة الصدق.

إنّ الصدق هو وثيقة الإنسان السويّ، وما دونه قدحٌ في هويّته الحقيقية، ولذلك فالتحقّق بالصدق هو تحقّق بإنسانية الإنسان، أو قل: هو عود لحاكمية الفطرة الطاهرة عن الغثّ والبراثن المكتسبة والمنطبعة في القلب بفعل الأعمال المنحرفة، ولا ريب أنّ كلّ عمل منحرف، صغيراً كان أم كبيراً، هو خطوة إلى الوراء، أو قل: هو خطوة نحو التلوّث والانحراف عن الفطرة، وتشويه لروح الصدق التي خُلق عليها الإنسان فطرياً.

ولذلك فمن أجل التخلّص من القذارات المعنوية، وتطهير القلب من الانحرافات المعنوية، وحفظ النفس من التقهقر إلى الوراء في سلّم الكمالات المعنوية، والانتفاضة العارمة على الانتكاسات المعنوية، لابدّ لنا من التمسّك بقارب النجاة، وهو الصدق، بل لابدّ من تحصيل ملكة الصدق، وهذا الأمر لا يمكن أن يتحقّق إلّا بالعمل الدؤوب على تحقيق هذه الأمور الثلاثة، وهي:

- الكفّ عن سوء الظنّ
- الكفّ عن التخيّلات الفاسدة
- الكفّ عن الآمال والأماني

وهذا ما سيتّضح لنا جليّاً في دروس لاحقة، فانتظر[1].

كلمات على الطريق

- قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (التوبة: ١١٩)، أي: كونوا معهم في صدقهم، فهو أمر بالكينونة مع الصدق نفسه.
- قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في**

(١) سيأتي ذلك في الدرس الرابع: (معوّقات الصدق وأزماته الحادّة).

الرهبة، ألا وإنّي لم أرَ كالجنّة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها»[1]، فالعامل في الرغبة كعمله في الرهبة هو الصادق في عمله، كما أنّ ذلك النائم عن طلب الجنّة، والنائم الذي لم يهرب من النار، كلاهما يُعبّر عن عدم صدقه في طلب الجنّة والفرار من النار، فهما صادقان في النأي عن الجنّة والدنوّ من النار.

- كسب الصدق أشرف من كسب المال، وعلى الفقراء والمساكين أن يتزيّنوا بالصدق، وأن تطيب أنفسهم طلباً للمنزلة الرفيعة، وقد روي عن رسول صلّى الله عليه وآله قوله: «**يا معشر المساكين طيبوا نفساً وأعطوا الله الرضا من قلوبكم يثبكم الله عزّ وجلّ على فقركم، فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم**»[2].

خلاصة الدرس

- الصدق وثيقة الإنسان السويّ، وما دونه قدحٌ في هويّته الحقيقية، ولذلك فالتحقّق بالصدق هو تحقّق بإنسانية الإنسان.
- للصدق حضور في جميع مفاصل حياتنا، حيث لا يخلو منها موقف.
- الكذب العمدي يترك أثراً سلبياً عميقاً على صفحات القلب، حتى يصير معه الصدق مبغوضاً، ويتهاوى البُنيان الإنساني.
- ما لم نتعرّف على مكامن الصدق سنعيش ضياعاً وخسارة معنوية بليغة.

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ٧١ خطبة (٢٨). قال الشيخ محمد عبده معلّقاً على هذا المقطع: (من أعجب العجائب الذي لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنّة في عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها، وأن ينام الهارب من النار في هولها واستجماعها أسباب الشقاء).

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٦٣ ح ١٤.

- مكامن الصدق هي أقسامه وموارده، وهي بعينها تكون مكامن للكذب؛ لأنّ جميع سلوكيات الإنسان إنّما تدور بين الصدق والكذب.
- الصدق في النيّة والقصد هو أن يكون المقصد الحقيقي في سلوكياتنا هو الله.
- الكمال المطلق هو الله وحده، ومطلق الكمال شخص الكمال دون النظر لمصداقه.
- مَن قصد وجه الله تعالى وحده، فإنّ نيّته عامرة بالإخلاص الذاتي والفعلي، وأمّا مَن قصد كمالاً عامّاً أو خاصّاً فإنّه يمتلك إخلاصاً غيرياً وانفعالياً.
- إخلاص النيّة على قدر كبير من الصعوبة؛ لتفشّي النفعية في المجتمع.
- الصدق في القول: إخبار عن الشيء على ما هو عليه، بلا زيادة ولا نقيصة.
- الإنسان في الغالب يقع منه شرود فينقطع عنه التوجّه القلبي لله تعالى، فيكون إخباره عن عبادته واستعانته بالله تعالى وحده محلّ استفهام كبير.
- إذا ما وقعت المخالفة بين القول والواقع المُخبر عنه، ومن دون معالجات جادّة، فإنّ الأمر سوف يتطوّر إلى حالات نفاقية خطيرة.
- الصدق في الفعل ثلاث: نفس الفعل، والفعل المسبوق بقصده، والمسبوق بقول.
- للباطن أولويّة وأفضلية على الظاهر، ومَن كان ظاهره خيراً مِن باطنه فهو ليس على خير، فذلك إمّا قصور في ساحة الإخلاص، أو رياء ونفاق.
- العزم: تصميم على فعل الخير، فإن أنجزه كان صادق العزم، وإلّا فهو كاذب، والعزم لا يتحقّق إلّا ببلوغ مرتبة الجزم على فعل الخير.

- التخلّف عن الوفاء بالعزم على فعل الخير مؤشّر أكيد على ضعف العزم.
- العاقل هو من يخرج من صراعه مع الدنيا بالربح الباقي وبأقلّ الخسائر.
- معرفة مقاصد طلب العلم أهمّ من العلم بحسب فلسفة الكمالات الإلهية.
- عدم المسارعة للتوبة والمغفرة عند ارتكاب ذنبٍ لهو مؤشّر خطير على عدم مصداقيته في حبّ الآخرة.
- أعلى درجات الصدق وأجلّها، هي درجات الصدق في المقامات المعنوية.
- أدعياء المقامات المعنوية هم في واقعهم قطّاع طريق، وهم الكاذبون حقّاً.
- من اتّصف بحقائق المقامات المعنوية وآثارها وغاياتها فهو صدّيق حقّاً.
- هنالك خلط فاحش بين طلب الخدمة للناس وبين طلب الرئاسة، وشتّان بينهما، فالأوّل عمل الأنبياء، والثاني من غرور الشيطان.
- الظاهر أنّ المراد من الحبّ المنهيّ عنه للرئاسة هو طلب منصب الإمامة، والقيادة العليا للأمّة، أو الحكومة المتنفّذة.
- لو فُرضت الرئاسة على أحدٍ، ولم يكن طالباً ولا محبّاً لها، ووجد في نفسه الأهلية للتصدّي وخدمة الناس والأمّة، فإنّ تصدّيه تكليف شرعيّ.
- مصداقية الولاء لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله هي متابعتهما، وعدم معصيتهما.
- الخارج عن وصايا النبوّة الخاتمة عن عمدٍ وإرادة كالشاهر سيفه بوجهها، فضلاً عن كونه كاذباً في دعوى الحبّ والولاء لها.
- في طول مصداقية ولائنا لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله تأتي مصداقية ولائنا لأولياء الله والصالحين، لاسيّما العترة الطاهرة صلوات الله عليهم.

- معاداة أولياء الله تستدعي الإنابة والتوبة، وإلّا فليأذن صاحبها بحرب منه تعالى.
- تنبغي المبادرة في إغاثة الفقير عند العلم به قبل عرض مسألته، فالسخاء ما كان ابتداء، أمّا ما كان عن مسألة فحياء وتذمّ.
- استذلال الفقراء واحتقارهم ناشئ من خصلة بذيئة، وهي الكبْر.
- على الفقراء والمساكين أن يتحلّوا بالصدق كما يتحلّوا بالصبر، فالصبر يقيهم ذلّ السؤال، والصدق زينة لهم، بل هو خير لهم من المال المطلوب لهم.
- لتحصيل ملكة الصدق لابدّ من تحقيق أمور ثلاثة، هي: الكفّ عن سوء الظنّ، والكفّ عن التخيّلات الفاسدة، والكفّ عن الآمال والأماني.

مذاكرة

- كيف تفهم أنّ الصدق هو وثيقة الإنسان السويّ؟
- ما هي مساحة حضور الصدق في مفاصل حياتنا العلمية والعملية؟
- ما أثر الكذب العمدي على صفحات القلب وعلاقته بالبُنيان الإنساني؟
- ما وجه الحاجة للتعرّف على مكامن الصدق؟
- ما هي مكامن الصدق وما هي علاقتها بمكامن الكذب؟
- ما هو المراد من الصدق في النيّة والقصد والإرادة؟ والصدق في القول؟
- ما هو الفرق بين الكمال المطلق ومطلق الكمال؟ وما هو مصداقهما؟
- ما الفرق بين الإخلاص الذاتي الفعلي والإخلاص الغيري الانفعالي؟
- لماذا أصبح إخلاص النيّة والقصد لله تعالى على قدر كبير من الصعوبة؟
- ما هي نتيجة عدم تقديم معالجات جادّة للمخالفة بين القول والواقع؟
- ما هي أقسام الصدق في الأفعال؟ وما هي الأمثلة على ذلك؟

- ما هو: نفس الفعل، والفعل المسبوق بقصده، والفعل المسبوق بقول؟
- لمن الأفضلية بين الظاهر والباطن؟ وما هي نتيجة مَن كان ظاهره خيراً من باطنه؟ ولأيّ شيء يعود ذلك؟
- كيف تفهم قول النبي صلى الله عليه وآله: (اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، وعلانيتي صالحة)؟
- ما هو الصدق في العزم؟ وكيف يتحقّق هذا العزم؟
- ما هي الأهداف المحتمل وقوعها في طلب العلم؟ وما علاقتها بالصدق؟
- في أيّ منطق يكون التحقيق في مقاصد طلب العلم أهمّ من العلم نفسه؟
- ما هي أعلى درجات الصدق وأجلّها في دائرة مكامن الصدق؟
- كيف ترى أدعياء المقامات المعنوية؟ وكيف ترى من اتّصف بها؟
- ما هو الفرق بين طلب الخدمة للناس وبين طلب الرئاسة؟
- ما هو وجه الهلاك في الحديث الشريف: (من طلب الرئاسة هلك)؟
- ما هو التوجيه الأنسب للمراد من حبّ الرئاسة وطلبها؟
- ما هو المراد من قول الإمام: (وإنّ شراركم من أحبّ أن يوطأ عقبه)؟
- متى يكون التصدّي للرئاسة تكليفاً شرعياً؟
- ما تعني مصداقية الصدق في الولاء لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله؟
- ما هو الصحيح في التعاطي مع الفقراء والمساكين؟
- ما هي خلفية استذلال البعض للفقراء واحتقارهم والازدراء بهم؟
- ما هي الأمور اللازمة لمن يسعى لتحصيل ملكة الصدق؟

الدرس الثالث

الصدق مع (النفس، الله، الناس)

- أهداف الدرس
- تمهيد
- أنواع الصدق
  - ✓ النوع الأوّل: الصدق مع النفس
    - النفس بين الاستجابة والتمنّع
  - ✓ النوع الثاني: الصدق مع الله تعالى
    - العطايا الإلهية لقاء الصدق مع الله تعالى
  - ✓ النوع الثالث: الصدق مع الناس
    - الثقة المتبادلة وليدة الصدق مع الناس
  - ✓ النوع الرابع: صدق الحديث
    - مع الرسول صلّى الله عليه وآله
    - صدق الحديث بوّابة الملكوت
  - ✓ النوع الخامس: صدق المعاملة
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان أنواع الصدق (النفس، الله، الناس، الحديث، المعاملة)
- تحليل واقعية النفس بين الاستجابة والتمنّع
- بيان العطايا الإلهية في قبال الصدق مع الله
- بيان كون الثقة المتبادلة وليدةً للصدق مع الناس
- تصوير كون صدق الحديث بوّابة الملكوت
- بيان كون المتجرّد من الصدق كالمتجرّد من الدين

تمهيد

مرّ بنا بحث تفصيلي في مكامن الصدق، حيث تعرّضنا إلى عشرة موارد منها، وهي الموارد الداخلة في تفاصيل حياتنا العلمية والعملية، المادّية والمعنوية، وقد عرفنا أنّ مكامن الصدق هي بعينها أقسام الصدق وموارده، وفي قبال ذلك هنالك اصطلاح آخر يتعلّق بالصدق نفسه، وهو (أنواع الصدق)، وهي لا تخلو من علاقة وثيقة بمكامن الصدق نفسها، ولكنّها تُلحظ مع جهات مصداقية خارجية، بمعنى أنّ مجموعة المكامن السابقة هي نفسها تأتي بشكل جمعيّ أو بعضيّ في أنواع الصدق، ففي كلّ نوع من أنواع الصدق الأربعة ـ كما سيأتي ـ يمكن أن نلاحظ جميع مكامن الصدق الآنفة، أو بعضاً منها، وذلك راجع للظروف الموضوعية التي تحيط بنا، ولطبيعة المواقف التي نتعرّض لها، فأنواع الصدق هي مساحات جديدة لتطبيقات عملية لمكامن الصدق، ولعلّ في هذا التفريق بين مكامن الصدق وأنواع الصدق صعوبة ملحوظة، ولكنّها سرعان ما ستزول عند مطالعة تفاصيل هذا الدرس الذي ناسب أن يكون من الناحية العلمية والفنية في طول الدرس السابق.

أنواع الصدق

سنتناول خمسة أنواع للصدق، تبدأ بالصدق مع النفس، وتنتهي بصدق المعاملة، فالصدق في النيّة والقول والفعل والعزم، وغير ذلك من مكامن الصدق الآنفة الذكر، تارة نلاحظ فيها واقعية الصدق مع النفس، وأخرى نلاحظ فيها واقعية الصدق مع الله تعالى، وأخرى مع الناس، وفي الحديث والمعاملة، وهذه هي الأنواع الخمسة، وهذا بيانها.

النوع الأوّل: الصدق مع النفس

وهو عبارة عن الصراحة والوضوح مع النفس، فلا يمارس معها خداعاً ولا تمويهاً ولا تبريراً، وإنّما يعتمد معها المكاشفة والشفافية في التشخيص والعلاج، وما لم يكن الإنسان صادقاً مع نفسه فلا يمكنه أن يحقّق أيّ نوع من أنواع الصدق المتبقّية، بل سوف تصطبغ جميع مكامن الصدق الآنفة، أو معظمها، بالكذب والمماراة وغير ذلك من مقتضيات الكذب، ولذلك فإنّ الصدق إذا كان يمثّل أرضيّة النبوّة ـ كما تقدّم في الدرس الأوّل ـ فإن الصدق مع النفس هو أرضيّة مكامن الصدق وأنواعه، وما لم تتوفّر هذه الأرضية لأحدٍ فإنّه في تحرّي مكامن الصدق وأنواعه سيكون كالزراع في غير أرضه، ومن الواضح أنّ الإنسان بطبعه جدليّ ينافح عن نفسه ويماري غيره في توصيف امتيازاته، ولكنّه إذا ما خلا مع نفسه واستنطق وجدانه فإنّه سيكون على بيّنة من خطئه الظاهر في جدله المرير، وهذا الجدل قد يمارسه الإنسان مع نفسه في تشخيص امتيازاته، ومنها صدقه مع نفسه، فيقع في متاهات خطيرة قد تبلغ به السقوط في حفرة عميقة لا قرار لها، وهي حفرة عمى البصيرة، فلا يكاد يبصر شيئاً من الحقّ، بل ولا يقع منه شيء إلّا وهو مُلوّث ببراثن الكذب، فيكون الكذب صنعة وفنّاً له!

ولكي نتفهّم خطورة الموقف علينا أن نعيد حساباتنا في جميع علاقاتنا

وسلوكياتنا، ثمّ نعرض النتائج على أنفسنا لاكتشاف مدى واقعية الصدق مع أنفسنا في تكوين تلك العلاقات، وفي صدور تلك السلوكيات، والمؤمن الحقيقي مهما وقعت منه أخطاء ومعاصٍ إلّا أنّه لا يخدع نفسه، كما أنّه سريع الإقرار بعيوبه وأخطائه، وسريع الاستجابة لتصحيحها؛ لسبب معلوم ويسير، وهو أنّه يعلم أنّ النجاة في الصدق، والخيبة والخسران في الكذب، والصدق لا ريبة فيه، بخلاف الكذب الذي لا يورث غير الريب، وقد تقدّم ما رواه الإمام الحسن بن علي عليهما السلام عن جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الصدق طمأنينة، وإنّ الكذب ريبة**»[1].

ولابدّ للإنسان الصادق مع نفسه أن يتّهم نفسه فيما يصدر منها، فلا يحمل أقواله وأفعاله على الصحّة في كلّ مقالٍ ومقام، فذلك من الغرور، ولعلّ من أسوأ موارد انعدام الصدق مع النفس: التحايل على الشريعة المقدّسة بالحيل الشيطانية مبرّراً لنفسه بأنّها حيل شرعية ورحمانية، والله تعالى بريء من كلّ حيلة، وهل يُمكن للشريعة الصحيحة أن تكون مشتملة على حيلٍ؟! وهل الشريعة تعلّمنا الاحتيال عليها؟! وهل يصدر ذلك من عاقل ليصدر من الشريعة نفسها؟ ﴿**لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً**﴾ (الكهف: ١٤)، وكيف تنسجم الحيل مع استقامة الشريعة؟ بل وكيف تنسجم مع واقعية القرآن الكريم وهو كما عبّر عن نفسه بقوله تعالى: ﴿**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ**﴾ (الإسراء:١٠٥)؟

لقد كان بنو إسرائيل يجيدون الاحتيال على شريعة موسى عليه السلام، فينتقون منها ما يتوافق مع أهوائهم، ويضربون بما سوى ذلك عرض الجدار! فتجدهم يوم جاء الحظر والمنع باصطياد الأسماك في يوم السبت: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ**

---

(١) تقدّم تخريج الحديث في الدرس الأوّل من هذه الحلقة.

شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَـذَلِكَ نَبْلُـوهُمْ بِمَـا كَانُـوا يَفْـسُقُونَ﴾ (الأعـراف: ١٦٣)، فابتلاهم الله تعالى بذلك، فاحتالوا على المنع والحظر بخطّة خبيثة، وهـي اصطياد السمك وحجزها في المـاء يـوم الـسبت، فـإذا أصـبحوا في يـوم الأحـد أخرجوا السمك الذي احتجزوه من قبل، ليقنعوا أنفسهم بأنّهم اصـطادوه يـوم الأحد وليس يوم السبت، وقـد أسـموا ذلـك بالحيلـة الـشرعية، ولكنّهـا حيلـة شيطانية، حيث صاروا في المنطق الإلهي والقرآني مجرّد معتدين وممـسوخين، قـال تعالى: **﴿وَلَقَـدْ عَلِمْـتُمُ الَّذِيـنَ اعْتَـدَوْا مِـنْكُمْ فِي الـسَّبْتِ فَقُلْنَـا لَهُـمْ كُونُـوا قِـرَدَةً خَاسِـئِينَ﴾** (البقرة: ٦٥)، ولن نُعدم وجود أمثال بني إسرائيل في أمّـة الإسـلام، فهنالك من يحتال على المعاملات الربوية ويسمّيها مضاربات شرعيـة! وهنالـك من يحتال في اغتصاب الحقوق الشرعية ويسمّي ذلـك إنقـاذاً لهـا! وهنالـك مـن يقتل الناس البسطاء والأبرياء الآمنين في أوطانهم، ويُسمّي ذلك جهاداً في سبيل الله! وغير ذلك من الموارد الكثيرة التي يُبررونها بالحيل الشيطانية، والتي تكشف بوضوح عن حقيقة صارخة مدوّية، وهـي أنّهـم كـاذبون بامتيـاز، ولا يعرفـون معنى الصدق مع الـنفس، ولا يتحسّـسون واقعيتـه؛ لأنّهـم مخـادعون، ولـشدّة خداعهم صاروا هم ضحيّة لهذا الخداع، وقـد كـان الأولى بهـم أن يتوجّهـوا إلى أنفسهم ويطهّروها من تلك التسويلات الشيطانية، ولا يرضوا إلّا بالصدق، فإنّ الصدق ـ كما عرفنا ـ هويّة النفس، وقوام الإيمان، وأرضية النبوّة، فكيـف نبـدّل تلك الهوية وذلك القوام وتلك الأرضية ببضاعة خسيسة وخاسرة؟

ومن الصدق مع النفس مواجهة الأخطاء والصفات الخسيسة بموضـوعية، فالتشخيص لها مهمّ، ولكنّ الأهمّ هو العمل على إصلاحها، والأهمّ أيضاً أن لا يقع في دهليز اليأس من إصلاحها، فهنالك صـفات خسيـسة بلغـت بـصاحبها مستوى الملكة، فتكون مهمّة التغيير صعبة جدّاً، ولكنّهـا عـلى أيّ حـال ليـست

مستحيلة، وطريق ألف ميل ـ كما يُقال ـ يبدأ بخطوة، ومن أَكْثَـرَ الطَّـرْق كـاد أن يُفتح له، وليبدأ بمحاربة صفة تبرير الأخطاء، فتلـك مـن الـدواهي، ولا يـترك المشارطة والمراقبـة والمحاسـبة والمعاتبـة والمعاقبـة، فتلـك هـي أدواتـه العمليـة للوصول إلى مشارف الصدق والدخول في عوالمه، وبهذه الأدوات سيبلغ مرتبـة الملكة في مواجهة الأخطاء، وينبغي لنا نحن جميعاً أن نشيع ثقافة مواجهـة الخطـأ لا تبريره.

ومن روائع قصص الصدق مع النفس ما روي عن جعفر بن بُرْقان الكلابي (ت: ١٥٤ هـ)، أنّه قال: «بلغني عن يونس بـن عبيـد العبـدي (ت: ١٣٩ هــ) فضل وصلاح، فكتبت إليه: يا أخي بلغني عنـك فـضل وصـلاح، فأحببـت أن أكتب إليك، فاكتب إليّ بما أنت عليه، فكتب إليه: أتاني كتابك تسألني أن أكتـب إليك بما أنا عليه، فأخبرك أنّي عرضت على نفسي أن تحبّ للنـاس مـا تحـبّ لهـا، وتكره لهم ما تكره لها، فإذا هي من ذاك بعيدة، ثمّ عرضت عليها مرّة أخرى ترك ذكرهم إلّا من خير، فوجدت الصوم في اليوم الحارّ الشديد الحرّ أيسر عليها مـن ترك ذكرهم. هذا أمري يا أخي، والسلام»[1].

النفس بين الاستجابة والتمنّع

لا ريب أنّ النفس الإنسانية عصيّة، ضعيفة الاستجابة للحقّ والتغيير عندما تعيش حالة الفقر لصفة الصدق، وهذا التمنّع يكاد أن يكون صـفة غالبـة حتـى

---

(١) تهذيب الكمال، لأبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي (ت: ٧٤٣ هـ): ج ٣٢ ص ٥٢٤، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، بيروت؛ سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ): ج٦ ص٢٩٠، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، بإشراف شعيب الارنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ، بيروت.

لمن عرفوا الصدق مع النفس؛ لأنّ النفس من صورها الباقية وأحوالها الدائمة كونها أمّارة بالسوء، ولذلك فإنّها تحتاج إلى عملية ردع متواصلة، وإذا ما وقعت الغفلة عنها فإنّها سوف تقوى فيها ملكة التمنّع، وتكاد أن تنطفئ عندها الاستجابة لداعي الحقّ والتغيير، ولذلك علينا توخّي السبل الصحيحة والمعالجات الناجعة، وليس هنالك شيء مقدّم على الصدق مع النفس، فإنّه أوّل الحلول المطلوبة، وأسرعها في النتيجة، كما أنّها أنجحها في المعالجة، وما لم نحقّق ذلك فإنّنا سنكون صرعى للتمرّد الذاتي، وفريسة سهلة للتمنّع والهروب من مواجهة الأخطاء، والالتزام بما هو صحيح.

ولا ينبغي التغافل عن قوّة التمنّع التي تتمتّع بها النفس، لاسيّما إذا بلغ التمنّع مرتبة الملكة، فإنّ التغافل لا يزيد الإنسان إلّا إصراراً على الخطأ، وإصراراً على تبرير ذلك الخطأ، ونحن إنّما ننبّه لذلك لأنّ النفس لا تحتاج أن تتعلّم التمردّ والتمنّع فإنّها مجبولة على ذلك، ولديها القدرة على التوالد والتنامي في ذلك، ولأجل هذا الأمر لزم التأكيد على ديمومة المواجهة معها، وعلى مواصلة الطريق في المعالجة، وذلك من خلال التزام طريقة الصدق، فإنّ النفس إذا أصبحت صادقة هان كلّ شيء، وأمّا إذا أصبحت كاذبة فقد تهاوى كلّ شيء، ولم يعد سوى سرابٍ بقيعة، وبقعة سوداء مظلمة.

ولا ينبغي التوهّم بأنّ النفس سيخمد فيها لهيب التمنّع عند ردعها ومواجهتها والتزام طريقة الصدق معها، فإنّه أشبه ما تكون بالفيروس الذي يجمد لحين ولكن لا يموت أبداً، ومتى ما توفّرت له فرصة العود لنشاطه فإنّه سيعود مع خبرة جديدة ومناعة جديدة، وهكذا هي النفس، فإذا ما غفلنا عنها، ولو بعد تهذيبها وتوخّيها جادّة الصدق، فإنّنا سنجني عليها وذلك بعودتها إلى عهدها الأوّل وطريقتها الأولى، وعندئذٍ ستكون النتائج وخيمة.

النوع الثاني: الصدق مع الله تعالى

إذا ما فرغنا من الأرضية الأولى للنفس في محطّات الصدق، وهي محطّة الصدق مع النفس، لابدّ لنا من الانفتاح على المحطّة الثانية، وهي محطّة في غاية الأهمّية والعظمة، بل هي حجر الزاوية في علاقتنا مع الله تعالى، وهي محطّة الصدق مع الله تعالى، وهذا الأمر لا يتحقّق البتّة إلّا بالإخلاص التامّ في جميع سلوكياتنا، فلا تكون إلّا لله تعالى، ومعنى ذلك أن تكون أعمالاً صالحة، وإلّا فالأعمال القبيحة لا معنى لها أن يكون مقصوداً بها الله تعالى، كما هو واضح.

والإخلاص في الأعمال المحقّق لصدق النفس مع الله تعالى هو أن تكون خلواً من الرياء وطلب السمعة، والرياء هو طلب المحبوبية في قلوب الناس، فيكون ذلك المطلوب بديلاً واقعياً عن الله تعالى، وهذا نوع من الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر، كما جاء في الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه «قال: **إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **الرياء، يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم؟**»[(١)].

كما أنّ من الصدق مع الله تعالى لزوم الطاعة والمتابعة للشريعة الإسلامية، فلا يكفي التفقّه فيها، وإن كان ذلك مطلوباً؛ لأنّ العبرة ليس بالعلم بها، وإنّما بالعمل في ضوئها، فالمتفقّه في دينه من دون العمل بما تفقّه به يكون مجانباً للصدق

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج٥ ص٤٢٨؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج٤ ص٢٥٣؛ عدّة الداعي ونجاح الساعي، للشيخ أحمد بن فهد الحلي: ص٢١٤، تحقيق: أحمد الموحدي القمي، الناشر: مكتبة الوجداني، قم؛ منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي (ت: ١٠١١ هـ): ص٣١٧، تحقيق: رضا المختاري، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدّسة.

مع الله تعالى، وهكذا الحال فيما يتعلّق بالسنّة الشريفة والسيرة النبوية، فإنّ مطالعتها والتأثّر الصوري بها لا يحقّق الصدق مع الله تعالى في دعوى لزوم المتابعة والطاعة الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١)، بل هنالك تحذير صريح من عدم لزوم الطاعة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢)، وكيف تكون الطاعة واقعية مع ارتكاب المعاصي والاستمرار عليها؟ أليس هذا هو الكذب على الله تعالى، فالله تعالى أوجب طاعته، وحرّم عصيانه ومعصيته، فكيف نحقّق الصدق معه في طاعته مع ارتكابنا للمعصية؟ لا يمكن ذلك أبداً، بل ذلك نوع صريح من الازدواجية التي يبتلى بها البعض ممّن صرعتهم أنفسهم، وصاروا منقادين لها، بل وصاروا من قتلاها، وليس هنالك خلفيات لهذا الانحدار أوضح من غياب الصدق، سواء كان الصدق مع النفس، أو الصدق مع الله تعالى.

ومن الصدق مع الله تعالى خشيته في العلن والسرّ، وأن تستشعر وجوده بشكل دائم، فإنّ من الصدق معه سبحانه التصديق بوجوده وهيمنته وإحاطته بنا، وكونه سميعاً لنا بصيراً بنا، فإذا سارعنا لارتكاب الخطيئة في السرّ، وامتنعنا عنها في العلن لوجود الناس، فهذا يعني أنّنا نشعر بوجود الناس أكثر من شعورنا بوجوده سبحانه، وهذا يعني بوضوح عدم الصدق مع الله تعالى.

ومن الصدق مع الله تعالى الوفاء بالعهد معه سبحانه، قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وصدق العهد والوفاء به هو ذروة الصدق مع الله

تعالى، ومن صدق العهد معه سبحانه الجهاد في سبيله طلباً لمرضاته وليس تحصيلاً للغنائم، وهنا يُذكر أنّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلّى الله عليه وآله فآمن به واتّبعه، ثمّ قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلّى الله عليه وآله بعض أصحابه، فلمّا كانت غزوة غنم النبي صلّى الله عليه وآله فقسّم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسّم له، وكان يرعى ظهرهم، فلمّا جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلّى الله عليه وآله، فأخذه فجاء به إلى النبي صلّى الله عليه وآله، فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتّبعتك، ولكنّي اتّبعتك على أن أرمى إلى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم، فأموت فأدخل الجنّة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلاً، ثمّ نهضوا في قتال العدوّ، فأُتي به النبي صلّى الله عليه وآله وقد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: **صدقَ اللهَ فصدَقَه**، ثمّ كفّنه النبي صلّى الله عليه وآله في جبّة له، ثمّ قدّمه فصلّى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: **اللّٰهُمَّ هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ فتى من الأنصار علف ناقته، وأقام معاذ بن جبل صلاة العشاء، فترك الفتى علفه فقام فتوضّأ وحضر الصلاة، وافتتح معاذ بسورة البقرة، فصلّى الفتى وترك معاذاً، وانصرف إلى ناقته فعلفها،

(١) انظر: المصنّف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ): ج٣ ص٥٤٥ ح٦٦٥١؛ ج٥ ص٢٧٦ ح٩٥٩٧، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي، بيروت؛ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، للمحدّث أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ): ج٤ ص٦٠، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٣٠ م، بيروت؛ المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق: ج٣ ص٥٩٥.

فلمّا انصرف معاذ جاء الفتى، فقال معاذ: لآتينّ نبي الله صلّى الله عليه وآله فأخبره خبرك، فأصبحنا، فاجتمعا عند النبي صلّى الله عليه وآله فذكر له معاذ شأنه، فقال الفتى: إنّا أهل عمل وشغل، فاستفتح بسورة البقرة، فطوّل علينا، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: يا معاذ! أتريد أن تكون فتّاناً؟ إذا أممت الناس فاقرأ بـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ... فدعا النبي صلّى الله عليه وآله الفتى فقال: يا معاذ! ادعُ، فدعا، فقال للفتى: ادع، فقال: والله! لا أدري ما دندنتكما هذه، غير أنّي والله لئن لقيت العدوّ لأصدقنّ الله، فلقي العدوّ، فاستشهد، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: «**صدقَ الله فصدَقَه الله**»[1].

العطايا الإلهية لقاء الصدق مع الله تعالى

خُلق القلب ليكون مرآة تنعكس فيها الكمالات الإلهية، لا ليكون موضعاً يبيض فيه الشيطان ويبني فيه عروشه، وإذا ما توخّينا الصدق مع الله تعالى طريقة في التعاطي معه سبحانه فإنّنا نكون قد غسلنا تلك المرآة ممّا أصابها من لوثات المعاصي وغبار الشكّ، وبالتالي فإنّها ستكون محلًّا لتلقّي الكثير من الفيوضات الإلهية، المعرفية والمعنوية، وهذه هي العطايا الإلهية التي هي الثمرة الفعلية للصدق مع الله تعالى، ومن ثمرتها تلك العطايا الإلهية والتوفيقات الربّانية والهبات السنيّة في الدار الآخرة، وهي الجزاء الأوفى على صدقهم: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**﴾ (الأحزاب: ٢٤)، فهي ما جاء صريحاً في قوله تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (المائدة: ١١٩)، وأمّا في الدنيا فالذكر الطيّب ومحبّة الناس لهم ـ بصفتهم مؤمنين، وأصحاب العمل

---

(١) انظر: مصنّف عبد الرزاق الصنعاني، مصدر سابق: ج٢ ص٣٦٥ ح٣٧٢٥.

الصالح الذي يقع في قمّة هرمه الصدق مع الله تعالى ـ كما أُشير لذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ (مريم: ٩٦).

النوع الثالث: الصدق مع الناس

وهنا يتجلّى الأثر الاجتماعي للصدق في مجموعة العلاقات الاجتماعية مع الأقرباء والأصدقاء والغرباء، وهذه العلاقات ما لم ترتكز على الصدق بجميع ملازماته ومقتضياته فإنّها سوف تتهشّم عُراها، وتتهدّم أركانها، وهذا هو التمزّق الاجتماعي، حيث يصبح أفراد المجتمع طُعمة للخصوم والصراعات والتقاتل، بخلاف المجتمع الذي يتعايش أبناؤه على أساس الصدق ومقتضياته.

وأمّا مقتضيات الصدق مع الناس وملازماته فأهمّها ما يلي:

أوّلاً: التناصح، فلا تخدع أحداً منهم، ولا تغمط حقّاً له، ولا تعمي عليه مصالحه، وأن تطلعه على المنافع والمضارّ والمصالح والمفاسد بقدر ما تستطيع، ولا ريب أنّ التناصح هو من أجلّ الآثار العملية للدين، بل هو الدين نفسه، وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنّ الدين النصيحة، إنّ الدين النصيحة، إنّ الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله وكتابه ورسوله وأئمّة المؤمنين وعامّتهم، وأئمّة المسلمين وعامّتهم**»[1].

---

(١) كتاب المسند، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: ص٢٣٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج٢ ص٢٩٧؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج١ ص٢٠؛ سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني: ج ٢ ص٤٦٥ ح٤٩٤٤، باب في النصحية، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، بيروت؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج٣ ص٢١٧ ح١٩٩٠، باب في النصيحة؛ دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد المغربي: ج ١ ص ١٣٤، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، نشر: دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٧٩ هـ، مصر.

ثانياً: أن تحسن الظنّ بهم، وأن لا تعاملهم بالتباغض والتحاسد.

ثالثاً: أن تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكرهه لنفسك.

وقد ورد في الأخبار أهمّ مقتضيات الصدق مع الناس، والتي سُمّيت بحقوق المسلم على أخيه المسلم، فعن مُعلّى بن خنيس أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام: «ما حقّ المسلم على المسلم؟ قال: **له سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلّا وهو عليه واجب، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب.** قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: **يا مُعلّى إنّي عليك شفيق، أخاف أن تضيع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل.** قال: قلت له: لا قوّة إلّا بالله. قال: **أيسر حقّ منها أن تحبّ له ما تحبّ لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك**»[1]، ثمّ يذكر عليه السلام الحقوق الأخرى، وهي كثيرة وعظيمة، منها: أن تعين أخاك بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، وأن تكون عينه ودليله ومرآته، وقد ورد في السنن عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**أحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحبّ للناس ما تحبّ لنفسك تكن مسلماً**»[2].

الثقة المتبادلة وليدة الصدق مع الناس

إنّ عماد العلاقات الاجتماعية هو الثقة المتبادلة بين الناس، وهذه الثقة لا يمكن لها أن تقوم وتستقيم إلّا بالصدق ومقتضياته، فالإخوان ـ كما في الخبر ـ إخوان ثقة، وإخوان مكاشرة[3]، وإخوان الثقة إنّما تقوم ثقتهم المتبادلة فيما بينهم

---

(١) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٦٩ ح٢؛ الخصال، مصدر سابق: ص ٣٥٠ ح٢٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص٣١٠. وقريب منه في السنن: انظر: سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٤١٠ ح٤٢١٧.

(٣) عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام

على الصدق، ولولا الصدق لما انعقدت تلك الأخوّة، ولعلّ من الحكم العظيمة التي تقف وراء تحريم الغيبة والبهتان والنميمة والازدراء بالآخرين: حفظ الثقة المتبادلة بين الناس، فالغيبة والنميمة تكشف عن كون المغتاب والنمّام ليس أهلاً للثقة، ومن نمّ لك نمّ عليك، والغيبة والنميمة والبهتان من التجلّيات العملية للنفاق الاجتماعي، والنفاق الاجتماعي ما هو إلّا وليد الكذب وانتفاء الصدق مع الناس، فالكذّاب أفّاك ومنافق، والمنافق يستمرئ كلّ هذه الموبقات، من غيبة ونميمة، وبهتان، وغير ذلك كما يستمرئ الجائع طعامه، وهل هنالك أسوأ حالاً وأقبح منظراً من المستمرئ لتلك الموبقات، ونعم ما قاله أحد الحكماء: من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه.

النوع الرابع: صدق الحديث

مرّ بنا في الدرس الأوّل خبر الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلّا بصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر**»[(١)]، وانطلاقاً من هذا الخبر الجليل نحاول أن نكتشف أهمّية صدق الحديث في حياة الإنسان، فصدق الحديث ـ كما هو الظاهر من الخبر ـ يمثّل أحد ركني أرضيّة بعثة الأنبياء عليهم السلام، وبالتالي فإنّ التشبّه بالأنبياء عليهم السلام من خلال

فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الإخوان، فقال: **الإخوان صنفان: إخوان الثقة، وإخوان المكاشرة، فأمّا إخوان الثقة فهم الكفّ والجناح والأهل والمال، فإذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصاف من صافاه، وعاد من عاداه، واكتم سرّه وعيبه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيّها السائل إنّهم أقلّ من الكبريت الأحمر، وأمّا إخوان المكاشرة فإنّك تصيب لذّتك منهم، فلا تقطعنّ ذلك منهم ولا تطلبنّ ما وراء ذلك من ضميرهم، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان**». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٤٨ ح ٣. والمكاشرة من الكشر، وهو: ظهور الأسنان في الضحك، وكاشره: إذا ضحك في وجهه وباسط.

(١) الأُصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠٤ ح١.

اقتفاء آثارهم وسيرتهم العلمية والعملية تُلزمنا بصدق الحديث، وصدق الحديث هو تنقية سلوكياتنا من الكذب، فالقول هو أظهر مصاديق الحديث، ولكنّه لا يتوقّف عليه، فالأفعال هي الأخرى تحكي شيئاً يصل للآخرين، سواء قصدنا إيصاله أو لم نقصد، فالحركات والسكنات هي أفعال لها ألسنة تحكي واقعها، وقد تكون حركة أو سكنة هي أبلغ من كلّ قول في موقعها، ولذلك لابدّ من الانتباه إلى صدق الحديث القولي وصدق الحديث الفعلي، والصدق فيهما زينة لهما، كما جاء في الخبر[١]، ونظراً لسموّ القيمة الأخلاقية لصدق الحديث فقد مدح الله نفسه بذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً**﴾ (النساء: ٨٧)، وفي قوله تعالى: ﴿**وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً**﴾ (النساء: ١٢٢).

ولصدق الحديث رسوم وتجلّيات كثيرة، أدناها أن لا يُحدّث الإنسانُ الآخرين بكلّ شيء قد سمعه، فذلك مشتمل على الكذب وإن لم يقصده، والاقتصاد في الكلام منجاة من الوقوع في كذب الحديث.

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في وصيّة جليلة منه لأبي ذر الغفاري، جاء فيها: «**يا أبا ذر، اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أبا ذر، كفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكلّ ما سمعه**»[٢]، فيكون موصوفاً بالكذب لمجرّد

---

(١) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**زينة الحديث الصدق**». من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٠٢ ح ٥٨٦٨؛ الأمالي، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي: ص ٥٧٦، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، قم؛ كتاب الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (ت: ٢٨١ هـ): ص ٢٢٨، التحقيق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، بيروت.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٥٣٥. وقريب منه في: مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٢٥ ح ٤٢؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ١ ص ٨؛ سنن أبي

الثرثرة بكلّ شيء سمعه، والثرثرة من الأمراض النفسية الخطيرة، فالثرثار لا يُؤتمن على شيء، وقد صحّ ما قيل في الحكمة الموروثة: إذا كان الكلام من فضّة فالسكوت من ذهب[١]، وقد ورد التحذير من القول والفعل المترتّبين على الظنّ، بإشارة قرآنية في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء: ٣٦)، وبحديث نبويّ شريف: «**إيّاكم والظن؛ فإنّ الظنّ أكذب الحديث**»[٢]، فيكون اليقين هو أصدق الحديث، وصدق الحديث هو واحد من دلائل صدق النبوّة، وقد كان الصحابي جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه يُعرّف الإسلام لملك الحبشة بصفاته المعاملاتية قبل الصفات العبادية، فكان ممّا عرّف به: «أيّها الملك كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ... فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عزّ وجلّ لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول

داود، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٧٥ ح ٤٩٩٢.

(١) يُحكى ذلك عن لقمان الحكيم، حيث قال لابنه: «**يا بنيّ ما ندمت على السكوت قطّ، وإن كان الكلام من فضّة فالسكوت من ذهب**». البداية والنهاية، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٥٢.
وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «**قال لقمان لابنه: يا بنيّ إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة، فإنّ السكوت من ذهب**». أصول الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص ١١٤ ح٦.
ونعم ما علّق به ابن أبي دنيا على هذه الحكمة الفريدة بقوله: «**لو كان الكلام بطاعة الله من فضّة، فإنّ الصمت عن معصية الله من ذهب**». كتاب الصمت، مصدر سابق: ص ٣٠٨.

(٢) مصنّف عبد الرزاق الصنعاني: ج ١١ ص ١٦٩ ح ٢٠٢٢٨؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج٢ ص٢٨٧؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج٦ ص١٣٦؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج٨ ص١٠؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج٩ ص١٤٧ ح ٣.

الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنـا أن نعبـد الله لا نـشرك بـه شـيئاً وأمر بالصلاة والزكاة والصيام...»[١].

ومن المصاديق الملحوظة في صدق الحديث: صدق الحديث في الجدّ والهـزل معاً، والمؤمن الحقيقي لا يكذب فيهما معاً، كما ورد في الخبر عن رسول الله صـلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**ويلٌ للذي يحدّث ويكذّب ليضحك به القوم، ويـل له، ويـل له، ويل له ... من صمت نجا، فعليك بالصدق ولا تخرجنّ من فيك كذباً أبداً**»[٢].

وفي خبر آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنّة لمن تـرك المراء وإن كان محقّاً، وببيت في وسط الجنّة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنّة لمن حسن خلقه**»[٣].

---

(١) سيرة النبي صلّى الله عليه وآله (سيرة ابن هشام)، لأبي عبد الله بن إسحاق بن يسار المطلبى (ت: ١٥١ هـ): هذّبها أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٨ هـ): ج ١ ص ٢٢٤، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة محمد على صبيح وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ، القاهرة؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج١ ص٢٠٢؛ صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة السلمي النيسابوري: ج٤ ص١٤، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، بيروت؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٦ ص ٣٠٩؛ ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، لمحبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري: ص٢١٠، عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، عنيت بنشره: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، ١٣٥٦ هـ، القاهرة.

(٢) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج٥ ص٣؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج٢ ص٤٧٥ ح ٤٩٩٠؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج٣ ص٣٨٢ ح٢٤١٧؛ سنن الدارمي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٩٦؛ أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٥٣٧؛ مكارم الأخلاق، للشيخ الحسن بن الفضل الطبرسي: ص ٤٧٠، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٩٧٢م، قم.

(٣) سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٣٦ ح ٤٨٠٠؛ السنن الكبرى، للمحدّث

مع الرسول صلّى الله عليه وآله

ينبغي أن لا يتوهّم أحد بأنّ النقد موجّه للمزاح، فالكلام إنّما كان في الصدق، والمزاح وإن أُريد به إيجاد الفرحة والسرور إلّا أنّه لا يكون على حساب الصدق، فمن مازح إخوانه وضاحكهم وهو صادق فبها ونعمت، وإلّا فلا، ولو تصفّحنا السيرة المباركة لرسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمّة والصالحين سنجد عدّة موارد للمزاح الصادق.

يقول ابن أبي الحديد: «أقوال وحكايات في المزاح، ونحن نذكر من بعد ما جاء في الأحاديث الصحاح والآثار المستفيضة، المتّفق على نقلها، مزاح رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومزاح الأشراف والأفاضل والأكابر من أصحابه والتابعين له، ليعلم أنّ المزاح إذا لم يخرج عن القاعدة الشرعية لم يكن قبيحاً»(١)، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «**إني لأمزح، ولا أقول إلّا حقّاً**»(٢).

وقد كان الإمام علي زين العابدين عليه السلام يقول لِولْده: «**اتّقوا الكذب،**

الحافظ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: ج ١٠ ص ٢٤٩، نشر: دار الفكر، بيروت؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ٨ ص ٩٨؛ تهذيب الكمال، مصدر سابق: ج ٣ ص ٤٩٨ رقم (٦٢٨).

(١) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٦ ص ٣٣٠.

(٢) مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٢١؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي: ج٨ ص ٨٩، نشر: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، بيروت.

وقد رويت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قصص كثيرة حول ذلك، من قبيل قوله لامرأة من الأنصار: «**الحقي زوجك فإنّ في عينه بياضاً**»، وقوله لعجوز سألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنّة، فقال: «**إنّ الجنّة لا تدخلها العجائز**، فصاحت، فتبسّم صلّى الله عليه وآله فتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ (الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج٦ ص٣٣٠.

الصغير منه والكبير في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير، أما علمتم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذّاباً»(١) .

صدق الحديث بوّابة الملكوت

الصدق يحكي طهارة الروح والمنشأ، وهو السبيل الذي تتفتّح من خلاله عينا القلب وأذناه ولسانه، حيث يمكنه رفع حجب كثيرة، والانفتاح على العوالم الأخرى، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول لأصحابه: «**ولولا تمزّع قلوبكم، وتزيّدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع**»(٢) .

فالأذن الملكوتية لرسول الله صلّى الله عليه وآله يُمكن التمثّل بها بالقدر المُتاح، وذلك من خلال أمرين، الأوّل توحّد وجهة القلب إلى الله تعالى، والثاني هو الصدق في الحديث، فلا زيادة ولا نقيصة، ولا تشويه وتمويه.

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٣٨ ح ٢.

(٢) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٥ ص ٢٦٦؛ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: ج ٣ ص ص ٤٩٧ ح ٣، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، بيروت؛ صريح السنّة، محمد بن جرير الطبري: ص ٢٩، تحقيق: بدر يوسف معتوق، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، الكويت؛ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢ هـ): ج ١٠ ص ١٢، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، بيروت؛ كنز العمّال، مصدر سابق: ج ١٥ ص٦٤٣ ح ٤٢٥٤٢. والمراد من (التمزّع) هو التشتّت، فتكون القلوب مستودعاً لولاءات كثيرة، وقد ورد الحديث بألفاظ مختلفة ذات معنى واحد أو متقارب، من قبيل: (ولولا تمريغ قلوبكم)، و: (لولا تمريج قلوبكم).

النوع الخامس: صدق المعاملة

إذا كان الدين هو النصيحة، وهو المعاملة، والدين هو الصدق، فالصدق هو المعاملة، والمعاملة هي الصدق، ومنه يتّضح المعنى الأوّلي لصدق المعاملة من أنّه الدين نفسه، ولذلك فإنّ التجرّد من صدق المعاملة يعني التجرّد من الدين، ولذلك أيضاً صار المتجرّد من صدق المعاملة هو المفلس، فالمفلس في المنطق الروحي والمعنوي والوجداني للإسلام ليس الفاقد للمال، وإنّما الفاقد لصدق المعاملة التي اصطبغت بالإساءات للناس، وهذا ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله مخاطباً جمعاً من الصحابة: «قال: **أتدرون من المفلس؟** قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **المفلس من أمّتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقعد فيقتصّ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فُنيت حسناته قبل أن يقتصّ ما عليه من الخطايا أُخذ من خطاياهم فطُرح عليه ثمّ طُرح في النار**»[1].

كلمات على الطريق

● قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٣٣)،

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٠٣؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٦ ح ٢٥٣٣؛ تذكرة الفقهاء (طبعة قديمة)، للعلامة الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلي: ج ٢ ص ٥٠، من منشورات المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية، مشهد، إيران؛ الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ): ج ١ ص ٤١، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، تقديم وتقريظ: الدكتور محمد عبد المنعم البري والدكتور عبد العتاح أبو سنة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ، بيروت؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٩ ص ٥.

حيث عبّر عن الدين القويم بالصدق، وعبّر عن الإيمان بالدين القويم بالتصديق به، فمن جمع الصدق بالصدق يكون متّقياً.

- عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام علّم أصحابه في مجلس واحد أربعمائة باب ممّا يصلح للمسلم في دينه ودنياه، فكان ممّا جاء فيه: «**الزموا الصدق فإنّه منجاة، وارغبوا فيما عند الله عزّ وجلّ ...**»[١]، والعاقل من يطلب نجاته، ويرغب فيما عند الله تعالى.
- قال أرسطو طاليس: الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب[٢].

خلاصة الدرس

- لأنواع الصدق علاقة وثيقة بمكامن الصدق نفسها، ولكنّها تُلحظ مع جهات مصداقية خارجية، فالمكامن تأتي بشكل جمعي أو بعضي في أنواع الصدق.
- أنواع الصدق تمثّل مساحات جديدة لتطبيقات عملية لمكامن الصدق.
- الصدق مع النفس: هو الصراحة والوضوح مع النفس، فلا يمارس معها خداعاً ولا تمويهاً ولا تبريراً.
- الصدق مع النفس أرضيّة لمكامن الصدق وأنواعه، ومن دونه يكون الفاقد كالزراع في غير أرضه.
- لابدّ للإنسان الصادق مع نفسه أن يتّهم نفسه فيما يصدر عنها، فلا يحمل أقواله وأفعاله على الصحّة في كلّ مقالٍ ومقام، فذلك من الغرور.

---

١ ـ الخصال، مصدر سابق: ص ٦١٤ ح ١٠.

(٢) انظر: المستطرف في كلّ فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي: ج٢ ص ٣٥٦، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، بيروت.

- من أسوأ موارد انعدام الصدق مع النفس: التحايل على الشريعة بالحيل الشيطانية مبرّراً ذلك بأنّها حيل شرعية ورحمانية.
- الصدق هويّة النفس، وقوام الإيمان، وأرضية النبوّة، واستبداله بأيّ شيء آخر سيكون خسارة عظيمة.
- النفس ضعيفة الاستجابة للحقّ والتغيير عندما تفتقر لصفة الصدق.
- الصدق مع الله لا يتحقّق البتة إلّا بالإخلاص التامّ في جميع سلوكياتنا، فلا تكون إلّا لله تعالى، بمعنى أن تكون أعمالاً صالحة، وخالية من الرياء وطلب السمعة.
- من الصدق مع الله لزوم الطاعة والمتابعة للشريعة، فلا يكفي التفقّه فيها.
- من الصدق مع الله خشيته في العلن والسرّ، واستشعار وجوده بشكل دائم.
- من الصدق مع الله الوفاء بالعهد معه، بل هو ذروة الصدق معه سبحانه.
- الصدق مع الله طريق لتلقّي الفيوضات الإلهية، المعرفية والمعنوية.
- من مقتضيات الصدق مع الناس وملازماته: التناصح، وحسن الظنّ بهم، وأن تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكرهه لنفسك.
- الثقة المتبادلة بين الناس وليدة للصدق بينهم، وهي عماد علاقاتهم.
- لصدق الحديث تجلّيات كثيرة، أدناها أن لا نحدّث بكلّ شيء قد نسمعه.
- المؤمن الحقيقي لا يكذب في الجدّ والهزل.
- صدق الحديث هو بوّابة مشرعة تطلّ على عالم الملكوت.
- صدق المعاملة هو الدين نفسه، والتجرّد منه مساوٍ للتجرّد من الدين.

مذاكرة

- ما وجه علاقة أنواع الصدق بمكامن الصدق؟
- ما هو الصدق مع النفس؟ وماذا يكون الفاقد له؟
- ماذا يعني أن يتّهم الإنسان نفسه فيما يصدر منه؟
- ما هي أسوأ موارد انعدام الصدق مع النفس؟
- ماذا يعني أن يكون الصدق هويّة النفس، وقوام الإيمان، وأرضية النبوّة؟
- متى تكون النفس ضعيفة الاستجابة للحقّ والتغيير؟
- متى يتحقّق الصدق مع الله تعالى؟
- ما هي علاقة الصدق مع الله تعالى باستشعار وجوده بشكل دائم؟
- ما ذروة الصدق مع الله تعالى؟
- ماذا نعني بالتناصح؟ وبأيّ أنواع الصدق تكون علاقته؟
- الثقة المتبادلة بين الناس وليدة أيّ شيء؟
- ماذا تفهم من الحكمة القائلة: من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه؟
- ما هي أدنى تجلّيات صدق الحديث؟
- هل هنالك تسامح بالصدق، ولو في المزاح؟
- ما معنى: (ولولا تمزّع قلوبكم، وتزيّدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع)؟
- كيف تفهم أنّ التجرّد من الصدق مساوٍ للتجرّد من الدين؟

الدرس الرابع

معوّقات الصدق وأزماته الحادّة

- أهداف الدرس
- تمهيد
- أوّلاً: أزمة مواجهة النفس (أزمة الذات)
  - ✓ الكفّ عن سوء الظنّ

    البيان الأوّل: أهمّية رصد الأشياء الجميلة

    البيان الثاني: وسائل تدريبية

    البيان الثالث: أهمّية التغافل ودوره في معالجة سوء الظنّ
  - ✓ الكفّ عن التخيّلات الفاسدة
  - ✓ التحذير من طائر الخيال
  - ✓ الكفّ عن الآمال والأماني
- ثانياً: أزمة مواجهة الأقرباء (أزمة الأغيار العسيرة)
- ثالثاً: أزمة مواجهة الأصدقاء (أزمة الأغيار الصعبة)
- رابعاً: أزمة مواجهة الغرباء (أزمة الأغيار السهلة).
- نتائج متوقّعة
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان أزمة مواجهة النفس (أزمة الذات)
- بيان أهمّية رصد الأشياء الجميلة مع عرض وسائل تدريبية لذلك
- بيان أهمّية التغافل ودوره في معالجة سوء الظنّ
- بيان كيفية الكفّ عن التخيّلات الفاسدة والآمال والأماني
- بيان أزمة مواجهة الأقرباء والأصدقاء والغرباء

تمهيد

بعد أن اتضحت لنا مكامن الصدق وأنواعه لابدّ أن تكون قد تجدّدت الرغبة الصادقة في توخّي هذه المكامن والأنواع، وعند السير في هذا الاتجاه ستواجه السائر عدّة أمور تقف عائقاً ومانعاً من الاتصاف بالصدق في مجمل تلك المكامن، وتغيب واقعية تلك الأنواع أو بعضها عن مسرح الحياة، مع أنّ الرغبة في التحصيل والاتصاف كبيرة، ولذلك ناسب أن يقع البحث بعد ذلك في المعوّقات التي تقف حائلاً بيننا وبين الكينونة في جميع ما تقدّم من مكامن وأنواع للصدق، فنقول:

كلّنا يطلب الصدق، ونريد العمل به، ولكنّنا على الغالب لا نعمل لذلك، ممّا يعني أنّنا غير واضحين في طلب الصدق نفسه، بل ربما نكون غير صادقين في ذلك؛ والسرّ في ذلك هو أنّنا لازلنا نحمل معنا تبعات الماضي ومتعلّقات الدنيا، بصورها وموادّها، وهذا ما نعني به الغرائز والمشتهيات واللذات المادّية، فما دام الإنسان رهناً لها، تبعاً لحاكميتها، ذليلاً لسطوتها، فهو تابع للدنيا، وهذا ما عناه الإمام الحسين عليه السلام في خطبته عند توجّهه إلى كربلاء: «**إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ**

الديّانون»[1]، والعبودية للدنيا بمعنى الخضوع لها، فهو مأسور بها، مُستحوذ عليه، لا يقطع بشيء، ولا يقدّم خطوة إلّا بما ينسجم مع تلك العبودية المُذلّة.

إنّ الإنسان يأنس بالدنيا لأنّه ــ بوضوح ـ يحمل تبعاتها وآثارها المادّية المتمثّلة في جزئه المادّي، وهو مُستجيب لذلك الجزء المادّي استجابة وكأنّه الجزء الأوحد في تكوينه، مع أنّ تركيبة الإنسان تتشكّل من جزء مادّي، وهو البدن، ومن جزء مجرّد غير مادّي، وهو الروح، بل إنّ مقتضى العلم والتحقيق هو القول بأنّ حقيقة الإنسان تكمن في روحه لا بدنه، فحقيقته مجرّدة وليست مادّية، وأمّا الجزء المادّي فيه فهو الوجود الصوري فيه، ولأجل الارتباط الوثيق بالجزء المادّي على حساب الجزء المجرّد فإنّنا نجد حالة الصدق متزلزلة، لأنّها تتعثّر بشبح الدنيا الكائن في أحد جزئي الإنسان، أعني به الجزء الصوري المتمثّل بالمادّة.

ولأجل تحصيل الصدق، أو العودة للأصل الذي كنّا عليه[2] لابدّ من مواجهة المعوِّقات التي تُشكِّل أزمات حقيقية، والتي يخوض فيها الإنسان السوي معارك عنيفة، لأنَّ الخير والشر كلاهما يدافع عن نفسه، ما دامت الحياة الدنيا قائمة، وهذا هو ملخص الجهاد الأكبر، فإنّه صراع بين قوى النفس في جذبها لقيم الخير أو لقيم الشرّ، فتتمزّق النفس في صراع قواها، ويعيش الإنسان

---

(١) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٢٤٥؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٧٥ ص ١١٦ ح١.

(٢) فالإنسان يولد ومعه الفطرة السليمة الداعية للصدق، وما يقع منه من الكذب فهو الأمر العارض عليه بسبب ظروف تتعلّق بالعقيدة والتربية والتعليم، وبالعلاقات الاجتماعية، وسبب الاستخفاف بالأمور الشرعية، وغير ذلك، فهو من حيث الأصل والنشأة الأولى صادق وطاهر، ولكنّه يبدّل صدقه بالكذب، وطهارته بالتلوّث لتلك الأسباب الآنفة وغيرها، وقد نبّه السيد الأستاذ (دام ظلّه) لذلك في أكثر من مورد تقدّم في الحلقتين السابقتين.

مساحة غير عادية من الازدواجية حتى يحسم أمره، إمّا إلى الخير أو إلى الشرّ، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (الإنسان: ٣)، والإنسان بفطرته عرّاف بالخير والشرّ معاً، فضلاً عمّا يكتسبه من علم وخبرات في ذلك، فهو محجوج بفطرته وتعليمه، وقد قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ١٠)، أي: بينّا له طريق الخير والشرّ، وهو بعد ذلك عاقل ومختار، ولا عذر له بعد ذلك.

أمّا المعوّقات والأزمات التي تواجه الصدق فهي: أزمة الذات وأزمة الأغيار، ويمكن تقسيمها إلى ما يلي:

أوّلاً: أزمة مواجهة النفس (أزمة الذات).

ثانياً: أزمة مواجهة الأقرباء (أزمة الأغيار العسيرة).

ثالثاً: أزمة مواجهة الأصدقاء (أزمة الأغيار الصعبة).

رابعاً: أزمة مواجهة الغرباء (أزمة الأغيار السهلة).

أوّلاً: أزمة مواجهة النفس (أزمة الذات)

وهي من أعظم الأزمات، وفيها تكون أشدّ المواجهات، كما أنّها تمثّل حجر الزاوية في جميع المواجهات الأُخرى، ولذلك فإنّ كلّ نجاح نحصل عليه في مواجهة الأغيار فمرجعه إلى نجاحنا في مواجهة الذات، وكلّ هزيمة تقع لنا في مواجهة الذات والنفس فأثرها سيكون واضحاً في أزمات الصدق مع الأغيار (الأقرباء والأصدقاء والغرباء)، فالتناسب طرديّ في صورة النجاح وفي صورة الفشل.

وبعبارة أخرى: إنّ مواجهة النفس وأزمة الذات معركة يكون النصر الفعلي فيها نصراً بالقوّة على أزمات الصدق مع الأغيار، كما أنّ الهزيمة فيها بالفعل هزيمة بالقوّة مع الأغيار، وهذا ما يدعونا إلى التركيز على أزمة مواجهة الذات،

والعناية الفائقة بحلحلتها والخروج منها إلى الأمن والطمأنينة.

وعليه فكيف نتعاطى مع هذه الأزمة العميقة؟ وكيف نكون صادقين في هذه المواجهة؟ وكيف نُروِّض النفس على التوطّن في مواضع الصدق فيها؟

لقد مرّ بنا في درس سابق[1] أنَّ هنالك ثلاثة أُمور لابدَّ منها، وهي:

١. الكفّ عن سوء الظنّ.

٢. الكفّ عن التخيّلات الفاسدة.

٣. الكفّ عن الآمال والأماني.

الكفّ عن سوء الظنّ

لازلنا في بحث أزمة الذات، وضمن الأمور الثلاثة أعلاه، ولنبدأ بالكفّ عن سوء الظنّ الذي هو عمل نفسانيّ خالص، فإنّ منشأ سوء الظنّ هو سوء الطويّة مع الجهل بالواقع، وقد حاول الشارع المقدّس معالجة ذلك بطرق مختلفة، من جملتها الحثّ على حسن الظنّ، وحمل الناس على سبعين محملاً من محامل الخير والصحّة، بغية الابتعاد عن براثن سوء الظنّ، كما أنّ هنالك حلولاً أخلاقية وتربوية ونفسية واجتماعية، يمكن التعبير عنها بفكرة التدرّب على رصد الأشياء الجميلة، والتغافل عن الأشياء السيّئة، ففي ذلك راحة للنفس، وطهارة للقلب، وصلاح لذات البين، وإنّما عبّرنا عن ذلك بفكرة التدريب لأنّ الأمر ليس سهلاً، فهو ليس معلومة تُعلم، ولا هو مطلب علميّ يُدرك، وإنّما هو سلوك عملانيّ يحتاج منّا إلى مساحات واسعة من العمل الدؤوب، والتدريب المتواصل، المعتمد على الرغبة والإصرار، والحبّ والإرادة، والعناية والتركيز، وتجاوز جميع محطّات اليأس والتيئيس والإحباط، ومن أجل التدرّج في تقصّي ورصد الأشياء الجميلة

(١) في الدرس الثاني من هذه الحلقة.

والتغافل عن الأشياء السيّئة نحتاج إلى بيان وتفصيل، حيث سنقدّم ثلاثة بيانات تتعلّق بدور رصد الأشياء الجملية في معالجة سوء الظنّ، وبعرض بعض الوسائل التدريبية لذلك، وبأهمّية التغافل ودوره في معالجة سوء الظنّ، وتفصيلها كالتالي:

البيان الأوّل: أهمّية رصد الأشياء الجميلة ودوره في معالجة سوء الظنّ

إنَّ رصد الأشياء الجميلة في الآخر يُساعد كثيراً على تضييق دائرة مناشئ سوء الظنّ، حيث لا تبقى بعد ذلك مادّة أمام النفس لبناء سوء الظنّ، فضلاً عن استفحاله أو استحكامه؛ فإنّ الأشياء الجميلة تسعدُ بها النفس، وتُبدّل النفور والبغض إلى رغبةٍ وحبٍّ، وهذا أمر وجدانيّ وملموس.

ومن الواضح أنّ مثل هذا العمل ليس سهلاً بطبيعة الحال، حيث ستواجهنا مطبّات كثيرة، وإغراءات ووساوس شيطانية كثيرة؛ فإنّ قطع دابر سوء الظنّ يعني تحطيم أعظم قواعد الشيطان، ولذلك فإنَّ الشيطان سوف يدافع عن قواعده بضراوة، وهو المحكيّ عنه في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ (الأعراف: ١٦)؛ وهنا تبرز الإرادة الحرّة وقوّة الإيمان، بل وهنا تتجلّى حقيقة نيّة طلب الصدق، ويتبيّن المُصلح من المُفسد، والصادق من الكاذب.

إنّنا ـ وبوضوح ـ لابدَّ لنا من خوض هذه المعركة الحاسمة، ولابدّ لنا أن ننتصر، وإلّا سنكون أُلعوبة بيد الأهواء والشيطان، ولذلك لابدّ أن نركّز على الأشياء الجميلة والطيّبة المنظورة في الطرف المقابل، ولنأخذ أمثلة على ذلك:

مثال أوّل: لو قُدِّم لنا طعام غير مرغوب به، إمّا للونه أو لطعمه أو لطبيعة إعداده، فعلينا أن نفتّش في أفضل صفة فيه ونتحدَّث عنها أمام صاحب الطعام، فنقول له ـ دون أن نخالف الواقع ـ إنَّ ألوان الطعام جذّابة، أو نقول: لقد جاء

الطعام في الوقت المناسب؛ وهكذا نكون قد انتقلنا من دائرة رصد الأشياء السيّئة إلى دائرة رصد الأشياء الجميلة، فنترك انطباعاً إيجابياً، وبهذه الدربة نعين أنفسنا على معاينة الأشياء الجميلة، والتغافل عن الأشياء السيّئة، وإذا ما أردنا أن نعطي ملاحظات حول النقوصات الملحوظة لنا في ذلك الطعام المقدّم لنا فلابدّ من عدم الاقتصار عليها، فالنقد لا يعني ذكر الأمور السيّئة، ولا تقويض الأشياء، وإنّما هو عبارة عن تقويم الشيء نحو الأفضل، ولا ريب أنّ ذكر الحسنات جزء من النقد والتقويم الموضوعي، وهذا منسجم تماماً مع القاعدة القرآنية: ﴿**وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ (هود: ٨٥)، وبالتالي فإنّ إغماط الحقوق مصداق من مصاديق العيث في الأرض، ومخالف للعدل، والله تعالى يقول: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (المائدة: ٨)، وطوبى لأهل العدل والإنصاف.

مثال ثانٍ: إذا أطلعوك على نتيجة امتحانية لطالب ما، فعليك أن تلتقط الدرجة العالية من بينها وتتحدّث عنها، حتى وإن كانت بقيّة الدرجات ضعيفة، فمن خلال الدرجة العالية ستكون لديك فرصة لذكر شيء جميل يفرح به المقابل، ثمّ الحديث عن الدرجات السلبية فيما إذا كانت هنالك مصلحة، وكنت قادراً على تقديم يد العون في ترشيد الطالب والانتقال به نحو الأفضل، لا أن تذكّره بالدرجات الضعيفة فقط، فذلك ممّا يزيده ألماً وحنقاً، ولا يصحّ أن تذكّره بنصائحك السابقة له، فتُظهر نفسك بأنّك صاحب الرأي السديد، وأنّ المقابل شخص غير مُبالٍ، وإنّما عليك أن تبحث عن الحلّ المناسب ليتجاوز مشكلته، فتكون بذلك قد نجحت مع نفسك في رصد الأشياء الحسنة، وتجاوز الأشياء السيّئة، كما أنّك تكون قد نجحت في مساعدة الآخرين من دون أن تجرح مشاعرهم.

ولو تفحّصنا تفاصيل حياتنا ولاحظنا علاقاتنا الاجتماعية سنجد هنالك أمثلة كثيرة لذلك، وكيف أنّ الفرصة متاحة لنا في كلّ آنٍ للخروج من الرؤية السلبية للأشياء والتي تورث الظنّ السيّئ، والرغبة الجامحة لتحقيق ذلك أمر مهمّ، ولكنّها غير كافية، وإنّما علينا:

أوّلاً: الرصد بعناية وموضوعية.

ثانياً: الوقوف على وسائل تعليمية؛ للتدريب على ذلك.

البيان الثاني: وسائل تدريبية

هنالك عدة وسائل تساعدنا على الخروج من الرؤية السلبية إلى الرؤية الإيجابية، أو قل بأنّها تساعدنا على الخروج من سوء الظنّ بالآخرين إلى حُسن الظنّ بهم، فنكون قد اقتربنا كثيراً من جادّة الصدق، وابتعدنا كثيراً من متعرّجات الكذب، وهذا هو الهدف السامي الذي نصبو للوصول إليه، أمّا الوسائل فمنها:

الوسيلة الأُولى: أينما وجدت نفسك فعليك أن تعتبر نفسك مكلّفاً بتنظيم الأشياء وترتيبها، ففي البيت أو المدرسة أو الشارع أو المكتبة، عليك أن تسعى حثيثاً على ترتيب الأشياء المبعثرة، دون أن تعيب على الآخرين سوء التنظيم والترتيب، عليك أن تدَع الآخرين يتأثّرون بخُلقك من خلال فعلك، لا من خلال قولك، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله كثيراً ما يرشد الناس من خلال فعله لا من خلال قوله، فيكون فعله أكثر تأثيراً فيهم، وأسرع تحقيقاً للهدف، وقد كان صلّى الله عليه وآله لا يأمر أحداً بشيء من المندوبات أو الأمور المستحسنة عقلائياً إلّا بعد أن يكون قد جاء هو بذلك، وهذا هو أرفع درجات الصدق التي كان يتمتّع بها رسول الله صلّى الله عليه وآله، وفي الأخبار ما يدلّ على ذلك[1].

(١) من قبيل أنّه صلّى الله عليه وآله ما كان يأمر أحداً بعتق رقبة حتى يقوم هو بذلك.

الوسيلة الثانية: عندما تكون في الشارع عليك أن تعتبره جزءاً من بيتك، فإذا ما وجدت قاذورات في الطريق أو أُموراً تُؤذي الناس فعليك إزالتها، ففي إزالتها تكون قد صنعت أمراً جميلاً، ونحن نطلب الأشياء الجملية، وهكذا نجد في تراكم هذه الجزئيات الموجّهة للنظرة الإيجابية حضوراً عملياً في دائرة حسن الظنّ، والالتزام برسوم الصدق، فالصدق ليس كلمة تُقال، وإنّما هو ممارسات عملية.

ولذلك إذا ما استطعنا أن ننتصر في مواجهة النفس وأزمة الذات في الصدق مع نفسها، وتجاوز النفس وعدم الركون إليها، وذلك من خلال رصد الأشياء الجميلة، والسعي لتحقيقها، فإنّنا سوف نكون قد قطعنا شوطاً طويلاً في توطيد قاعدة حسن الظنّ، وتحطيم قاعدة سوء الظنّ.

وإذا ما تعوّدنا على رؤية الأشياء الجميلة فسوف تنفتح النفس وتشرق وتصبح ذات مزاج معتدل؛ لأنَّ النفس تطيب بعمل الخير، وتطيب في أن تكون هي مصدر خير، وتطيب أكثر في طرد ما يزعجها، وإذا ما انتقلنا من دائرة التنظير إلى دائرة التنفيذ فإنّنا سنجد أنّ عملية التحوّل ليست عسيرة، إن لم تكن ليست صعبة.

البيان الثالث: أهمّية التغافل ودوره في معالجة سوء الظنّ

وأمّا الطريق الآخر لتحصيل راحة النفس، وطهارة القلب، وصلاح ذات البين، وتضييق دائرة سوء الظنّ، وتحصيل الصدق كهدف غائيّ، فهو العمل على تطبيع سياسة التغافل عمّا تعلمه من سوء وأخطاء عند الآخرين، والتغافل ليس غفلة ونقص وخسران، التغافل قد يكون كمالاً مطلوباً، وقد يكون نقصاً غير مرغوب فيه، وما نعنيه من التغافل المعنيّ في المقام هو ما يتعلّق بالحقوق الشخصية، وأمّا ما يتعلّق بحقوق الله تعالى أو بحقوق الناس فالأمر مختلف

تماماً.

وما يهمّنا هو الكفّ عن محاسبة الناس من خلال سياسة التغافل والتسامح، فذلك أنفع لقلبك، وأنجع في جذب الآخر للصواب، بل هو طريق أمثل للخروج من دائرة سوء الظنّ، والدخول في دائرة حسن الظنّ، وبالتالي فهو خروج عمليّ من دائرة الكذب إلى دائرة الصدق، وهو الغاية والمطلوب.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**تغافل يُحمد أمرك**»(١)، وفي خبر آخر عنه عليه السلام: «**ثلثاه استحسان وثلثه تغافل**»(٢)، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة وثلثه تغافل**»(٣)، والتغافل في هذا المورد لا يكشف عن جهل، إنّما يكشف عن حكمة وخُلقٍ رفيع، فضلاً عن كونه وسيلة عملية للإصلاح والتعايش السلمي؛ فالذي يُدقِّق في أُمور الناس ويُحاسبهم على صغائر الأُمور يكون منبوذاً، والمنبوذ لا يمكن أن يكون مصلحاً، وعليه فلا تكن نقناقاً، مترصّداً لأخطاء الآخرين، فذلك من حقارة النفس، وأمّا التغافل مع العلم فإنّه من علوّ همَّة النفس، ولذلك فإنّه لا يتغافل عن صغائر الأُمور ممَّا فيه فقْدٌ لحقِّه الشخصي إلّا أصحاب النفوس الشريفة الرفيعة. عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أشرف أخلاق الكريم تغافله عما يعلم**»(٤)، وعنه عليه السلام: «**أشرف خصال الكرم غفلتك عمّا تعلم**»(٥)، وعنه أيضاً: «**من أشرف أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم**»(١).

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، جمع عبد الواحد الآمدي: رقم الحكمة: ٤٥٧٠، تحقيق: السيد جلال الدين الآرموري، نشر: جامعة طهران، الطبعة الثالثة، إيران.

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٨٧.

(٣) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٥٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق: رقم الحكمة: ٣٢٥٦.

(٥) الدعوات، لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي: ص ٢٩٣ ح ٤١،

بعد هذه الجولة يكون قد اتّضح لدينا أنَّ سوء الظنّ يتنافى تماماً مع صورة الصدق، لأنَّ سوء الظنّ هو أن نحتمل شيئاً قد لا يكون واقعاً، ومخالفة الواقع كذب محض، فنكون بسوء الظنّ قد عوَّدنا النفس على الكذب بصورة خفيّة وباطنيّة، ولذلك فإنّ لسوء الظنّ آثاراً مُهلكةً قد تصل إلى الشرك أحياناً، لأنَّ حقيقة الكذب هي الشرك[٢]، فإذا ما علمنا بأن سوء الظنّ يُولِّد الكذب فإنّه يُولِّد الشرك أيضاً.

ومن المؤسف عند وقوع سوء الظنّ أن لا يُلتف إلى هذه العواقب الوخيمة، فيزداد الاستغراق في سوء الظنّ ومجانبة الصدق، ولذلك لابدَّ لنا من الالتفات، كما أنّ علينا العمل على إيجاد البدائل الناجحة، وذلك من خلال هذين الأمرين المهمّين، رصد الأشياء الجميلة، والتغافل عمَّا هو سيّئ عند الآخرين؛ لأنَّ الهدف ليس مواجهة الناس في المقام، وإنّما مواجهة النفس.

إنّ في تجاوزنا عن إساءة الآخرين بحقِّنا نصراً كبيراً، نكون قد حقَّقناه على النفس الأمّارة بالسوء، كما أنّ في توجيه نظرنا وسمعنا وقلبنا إلى الأشياء الجميلة طريقة مثلى لحجب أسباب سوء الظنّ عن القلب، فسوء الظنّ غالباً ما يحصل نتيجة ما نراه أو ما نسمعه، ولو تأمّلنا فإنّ هذه الواردات عادةً ما تكون منتجعاً لسوء الظنّ، ونكون فريسة سهلة لنوازع النفس المُغذّية لسوء الظنّ.

وينبغي أن يكون واضحاً أنَّ هذه المواجهة الحسّاسة والخطيرة لا يحدّها

تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧ هـ، قم.

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ الحكمة (٢٢٢).

(٢) إنّ الكاذب إنما يلجأ للكذب اعتقاداً منه أنّه منقذ له، وهو نوع من اللجوء لغير الله تعالى، فيكون ضرباً من الشرك، ولكنّه شرك أفعاليّ، وقد يكون فيه شيء من الشرك الصفاتي، لأنّه بكذبه يمنح الكذب صفة من صفات الله تعالى، وهي صفة الحافظ، فلا حافظ إلّا الله تعالى.

زمان أو مكان، وليس لها سقف معيّن، فقد ننجز المهمّة في يوم أو في شهر أو في سنة أو سنوات، وقد لا ننجز المهمّة أبداً، كما أنَّ العمل على تضييق دائرة سوء الظنّ ليس منحصراً بين الفوز والخسران، فقد يكون الفائز خاسراً في الوقت نفسه، وقد يكون الخاسر فائزاً في الوقت نفسه؛ فالذي كانت درجة انحرافه في دائرة سوء الظنّ تبلغ نسبة ٨٠ ٪ من سائر أعماله، فإنّه إذا بذل جهده واستطاع أن يتخلّص من نسبة ١٠ ٪ ممَّا كان عليه، فإنَّه وإن كان لازال خاسراً في نسبته النهائية البالغة ٧٠ ٪ إلّا أنّه فائز أيضاً لتخلّصه من نسبة ١٠ ٪، كما أنَّ الذي درجة انحرافه في سوء الظنّ تبلغ ١٠ ٪ فقط إذا ترك نفسه ولم يعالج هذه النسبة فإنّها قد تزداد إلى ٢٠ ٪، وهذه النسبة إذا قيست إلى نسبة حسن ظنّه من النسبة المتبقّية فإنّه يُحسن الظنّ بنسبة ٨٠ ٪، وهي درجة نجاح جيّدة جداً، فهو فائز في المحصّلة، إلّا أنّه خاسر أيضاً لأنّه قد ازدادت نسبة انحرافه في دائرة سوء الظنّ.

من هنا يمكن لنا أن نفهم بعمقٍ الحديث المرويّ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، من كان آخر يوميه شرَّهما فهو ملعون، ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة**»[1].

ولذلك ينبغي لنا أن نعلم أنّ درجات القُرب لا نهاية لها، وحقُّ العبد أن يجتهد في كلِّ نَفس حتّى يزداد فيه قُرباً[2]، وبالتالي فإنَّ كلّ سوء ظن هو تخلّف عن الركب، وهو غبن واضح للنفس، وكلّ رصد جميل هو غبطة للنفس، وسير

(١) معاني الأخبار، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي: ص ٣٤٢ ح ٣، صحّحه وعلّق عليه الأُستاذ علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ، قم المقدّسة.

(٢) انظر: المحجّة البيضاء، للحكيم محسن الفيض الكاشاني: ج ٨ ص ٧٥، صحّحه وعلّق عليه الأُستاذ علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ، قم.

نحو الأمام، والأهمّ من ذلك كلّه هو أن نكون على تماسّ مع الصدق، وبذلك نكون قد حقّقنا الهدف.

الكفّ عن التخيّلات الفاسدة

قلنا بأنّنا لابدّ لنا من التمسّك بقارب النجاة، وهو الصدق، والعمل على تحصيل ملكة الصدق، وذلك كلّه في المواجهة الأولى، وهي المواجهة مع النفس التي أسميناها بأزمة الذات، وقلنا بأنّ هذا الأمر لا يتحقّق إلّا بعد تحقيق أمور ثلاثة، كان الأوّل منها الكفّ عن سوء الظنّ، والآن نكون قد وصلنا إلى الأمر الثاني وهو الكفّ عن التخيّلات الفاسدة،وهذا الموضوع له أبعاد ثقافية ونفسية وروحية، فالإنسان قد تُفرض عليه ثقافة سلبية تجعله يعاني من عقدة الاضطهاد النفسي وكتم المشاعر الحقيقية، لاسيّما في المجتمعات ذات الطابع الديني، فيكون التعويض السلبي باستجداء التخيّلات الفاسدة، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار، وكالمرتوي من ماء البحر فلا يزيده إلّا عطشاً[1]، كما أنّ الضغوط الاجتماعية والأسرية قد تفضي بالإنسان إلى الخيالات الفاسدة هروباً من الواقع المرير الذي يعيشه، وأيّاً كانت الأسباب والخلفيات التي أودت إلى الركون إلى التخيّلات الفاسدة فإنّه لابدّ من العمل على التخلّص منها، ومن أجل تحقيق ذلك لابدّ من السير على الخطوات التالية:

الخطوة الأولى: تحرّي الفراغات التي سمحت بتفشّي تلك التخيّلات في العقل والقلب ووجدان الشخص، لمعرفة الجذور والكشف عن نقاط الضعف، وهذه خطوة أساسية تساعدنا على محاصرة المنافذ الحقيقية التي تسرّبت منها تلك

---

(١) روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله**». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص١٣٦ ح٢٤.

الخيالات، كما تساعدنا كثيراً على وضع الحلول الصحيحة، حيث يكون التعويض إيجابياً.

الخطوة الثانية: الكشف عن العلاقة الوثيقة بين الخيالات الفاسدة وبين الانفلات في حالات الصدق، فهنالك ارتباط، منه ظاهر ومنه خفيّ يحتاج إلى قوّة رصد عالية، والكثير من حالات الانفلات في الصدق ناشئة من خفاء ذلك الارتباط، وهذا ما يحتاج منّا إلى جدّية عالية، فعدم توخّي الصدق في موقف ما قد تكون خلفيّته الحسد أو الغيرة أو الكراهية أو عدم المبالاة، أو غير ذلك من الأمراض المعنوية والتركات الاجتماعية، وهي التي تولّد خيالات فاسدة في عقل وقلب صاحبها، فيكون الكشف عن تلك العلاقة كشفاً عن هذه الأمراض المعنوية، فيتمّ رصد العلّة الخفية التي تقف وراء السلوك غير السوي في الكذب والافتراء وغير ذلك من السلوكيات المضادّة للصدق، وحيث إنّ النزاع نفسيّ فإنّ صاحب المواجهة في أزمة الذات سيكون المطلوب منه أن يكون على مستوى عالٍ من الانتباه والمسؤولية، والجدّية والصراحة، والقوّة والعزم في كبح جماح النفس؛ لأنّها بطبيعتها الانفلاتية سوف تصطنع عشرات الأعذار الواهية، ولكنّها سرعان ما تتهاوى عندما تكون المواجهة جدّية.

الخطوة الثالثة: عند رصد الفراغات وطبيعة العلاقة بين الخيالات الفاسدة وبين الانفلات من الصدق، فإنّه تبدأ خطوة المعالجة الصحيحة والصريحة، فإذا ما اكتشفنا أنّ هنالك فراغات علمية أو معلوماتية فعلينا المسارعة إلى التعلّم والتفقّه، وإذا ما وجدنا النفس متعنّتة في التحصيل المعرفي فذلك دليل آخر على تركيبية المرض وازدواجية خلفيات الانفلات عن الصدق، حيث نكتشف أنّ هنالك جهلاً بالمعلومات وأنّ هنالك كبْراً وأنفةً لا موضوع لهما، وبقدر ما تكون المهمّة أصعب وأعقد ستكون أفضل حالاً من خفاء شيء وظهور شيء، والمستلزم إلى أن تكون العلاجات سطحية لا تمسّ الواقع الحقيقي، وأمّا إذا

اكتشفنا أنّ هنالك فراغات معنوية وليست علمية ومعلوماتية فهنا سوف نواجه مشكلة أكثر تعقيداً؛ لأنّنا لا نتقاطع مع الصدق بسبب فقدان المعلومات الكافية، وإنّما بسبب أمراض معنوية خطيرة، وسرّ خطورتها هو أنّها تجاوزت ما تفقّهنا به، وأصبحت تبرّر لنفسها ما ترتكبه من أخطاء جسيمة في محصّلة الصدق، وهذا نوع من الاستعصاء والتعنّت، بل نوع من الملكات في الاتجاه المخالف، أي: ملكات في الأمراض المعنوية، وبالتالي لا تكون المعالجة معلوماتية، وإنّما هي معالجة معنوية، والتي يُفضّل فيها أن تعتمد فيها قواعد التطهير المعنوي، والتي نعني بها: (المشارطة، والمراقبة، والمحاسبة، والمعاتبة، والمعاقبة)، وهي من أفضل الوسائل وأنجع العلاجات، وليس من الصحيح أن نقوم بمواجهة كلّ الأمراض المعنوية دفعة واحدة؛ لأنّنا سوف نعاني من حالات ضغط شديد، قد يؤدّي إلى الانفجار، كما أنّ العلاج التدريجي هو الأوفق ولكنّه ليس قاعدة في المقام، فقد يكون الشخص له همّة عالية واندفاع كبير نحو الإصلاح، فعليه استغلال ذلك في اقتلاع المرض المعنوي اقتلاعاً ودفعةً واحدةً، من خلال الكفّ عنه وتحصين النفس منه بقواعد التطهير المعنوي، فتكون الدفعية والتدريجية راجعة بالأساس إلى طبيعة الشخص وإلى الظروف الموضوعية التي تحيط به، علماً بأنّ الضغط والانفجار يولّدان حالات عكسية ومضادّة تماماً للهدف المطلوب، حيث سيجد الإنسان نفسه في حالة من اليأس، وإذا تكرّرت المواجهة بالطريقة المفضية للضغط والانفجار فإنّ اليأس المتوقّع لن يكون عادياً، وإنّما هو يأس شديد، ولذلك من الضروري جداً أن تكون المواجهة مدروسة وموضوعية، والأفضل في هذه الأحوال الاستعانة بأستاذ أخلاقيّ متمرّس.

الخطوة الرابعة: عند التدرّج في المواجهة مع الحالات المكتشفة بصورة جزئية ومقطعية، أي: مواجهة الأمراض مرضاً مرضاً لا دفعةً واحدةً، فإنّنا ـ في صورة الانتقال إلى معالجة المرض الثاني بعد تحقيق الشفاء من المرض الأوّل ـ ملزمون

بعدم ترك المرض الأوّل، بمعنى: أنّنا لازلنا في طور النقاهـة مـن المـرض الأوّل، ولذلك لابدّ من رعاية ضعف الحالة وأنّ هنالك احتمالات معتدّاً بهـا في رجـوع المرض من جديد، كما هو الحال في الإقلاع عن التدخين، فإنّـه يحتـاج إلى مراقبـة شديدة، وإلّا فإنّ الانتكاسات في ذلك ستكون متوقّعة.

وهكذا نكون على مراقبة شديدة لجميع الأمراض التي تخلّصنا منها، ولابـدّ أن يكون عندنا مستند حقيقيّ يدلّ على تحقّق العلاج، وهذا المـستند شيء واحـد لا غير وهو تحقيق الصدق، فإذا ما وجدنا أنفسنا غير منفلتين عـن الكـذب ولـو جزئياً فعلينا أن نعلـم أنّنـا لازلنـا محكـومين لتلـك الأمـراض وتحـت طائلتهـا، فالصدق هو المحصّلة الحقيقية الكاشفة عن حصول الشفاء من تلك التخـيّلات الفاسدة.

التحذير من طائر الخيال

يُعتبر سكون الخاطر وطمأنينة النفس وتوقّف طائر الخيال عن تنقّلاته، مـن الأمور المهمّة التي بإصلاحها يحصل العلاج القطعي، وطائر الخيال هـذا جـوّال فرّار، ينتقل كطائر من غصن إلى غصن، وكونه فرّاراً فإنّه يشكّل ابتلاءً شديداً، إذ من الصعب محاصرته وتطويقه وتطويعه، حتى ظنّ كثير من العلـماء أنّ محـاصرة طائر الخيال وتطويعه من الأمـور الخارجـة عـن حيّـز الإمكـان، أو أنّـه ملحـق بالمحالات العادية، ولكنّ الصحيح أنّ الأمر ليس كذلك، حيث يمكـن تطويعـه بالرياضة والتربية، بحيث يكون طائر الخيـال في قبـضته، لا يتحـرك إلّا بإرادتـه واختياره، فيحبسه متى أراد، في أيّ مقصد أو أيّ مطلب.

وبعبارة أخرى: إنّ من القوى التي تقبل التربية قوّة الخيـال وقـوّة الواهمـة، فإنّهما قبل التربية كطائرٍ فرّارٍ ومتحرّكٍ بلا نهاية، بحيث إنّ الإنـسان إذا حاسـبها دقيقةً واحدةً يرى أنّها انتقلت إلى أشياء مختلفة، بمناسبات ضـعيفة، وارتباطـات

غير متناسبة، ولكنّها على قدرتها وصعوبة تذليلها فهي ممكنة التطويع، ولكن بالرياضة الشرعية والمراقبة والمحاسبة[1].

إنّ طائر الخيال ـ عند عدم محاصرته وتطويعه ـ قادر على المماطلة والتمويه، فيختلق للكاذب الأعذار الواهية من خلال قدرته على صنع القصص والاحتمالات التي سرعان ما يستسلم لها مَن لم يعمل على تطويعه، ولذلك ينبغي الحذر منه كثيراً، فإنّه فضلاً عن تمويهه وخداعه فإنّه يقف عائقاً حقيقياً أمام مواجهة النفس ومعالجة أزمة الذات، فأزمة الذات تتفاقم مع وجود هذا الطائر الكارثي، والذي يشكّل ابتلاءً حقيقياً نعيش تبعاته في كلّ ساعة ساعة، لاسيّما عند الشباب والمراهقين فإنّهم في الغالب يقعون ضحيّة لطائر الخيال، ويجعلهم أُسارى لأحلام اليقظة، حتى أنّ البعض منهم لا يجد راحته وأُنسه إلّا مع طائر الخيال، فيُحقّق له آماله وأحلامه، ولكن في واقع الخيال، ولذلك في العادة تجد هؤلاء يعيشون نمطاً من العزلة والتوحّد والحزن والكآبة والتمرّد.

الكفّ عن الآمال والأماني

إنّ الآمال والأماني إن لم تُستتبع بالعمل فهي فارغة وضالّة، وهي الترجمة العملية لأحلام اليقظة الآنفة الذكر، وهذه الأحلام وإن كانت متفشّية عند الشباب والمراهقين إلّا أنّها لا يكاد أن يخلو منها إنسان إلّا ما ندر، ففي الغالب يبلغ الإنسان حافّة شفير الموت وهو أسيرٌ لأحلام اليقظة، فتكون الجنّة له أملاً وأُمنية، يطلبها ولكن من دون عمل، فهو داعٍ بلا عمل، و: «**الداعي بلا عمل**

---

(١) انظر: الآداب المعنوية للصلاة، للسيّد الإمام روح الله الخميني الموسوي: ص ٩٠ ـ ٩٤، تعريب وتعليق السيد أحمد الفهري، نشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدّسة؛ التربية الروحية، للمرجع الديني السيد كمال الحيدري: ص ١١٧، فصل في المشارطة والمراقبة والمحاسبة، الناشر: دار فراقد، الطبعة الثامنة، ١٤٢٨ هـ، قم.

كالرامي بلا وتر»[١]، لأنّ الرامي من قوس بلا وتر لا سهماً رمى، ولا صيداً أصاب، ومثل هذا الداعي والرامي لا يستدعي صدقاً، ولا يصطاد إلّا كذباً.

إنّ الكفّ عن التعايش مع الآمال والأماني لا ينبغي أن يكون هو الآخر من الآمال والأماني، وسبل الخلاص من هذه الغيبوبة التي يدمنها البعض، ويتلذّذ بها آخرون، تكمن في ثلاثة أمور، هي:

الأوّل: تقوية العزيمة والإرادة، واستبدال الشعور بالضعف والاستسلام بالشعور بالقوّة والمواجهة والصمود، ومن الطبيعي جداً أن تقع إخفاقات وانكسارات في الطريق، ولكنّها يمكن أن تتحوّل إلى محفّزات للمواصلة؛ لأنّها تكشف للإنسان مواضع الضعف وخلفيات الانكسار، فيقدم بعزيمة جديدة مع دراية جديدة بمواطن الضعف، وتكون فرصة النجاح أكبر، ومساحة الانكسار أقلّ، وهنا يقع التحوّل شيئاً فشيئاً.

الثاني: الاستعانة بالعبادات، لقوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ (البقرة: ٤٥)، وأن يتعوّد التقوى ففيها مخرج سريع، ومأمن وسيع، لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾ (الطلاق: ٢)، والعبادات بطبعها تُحرق أوراق الآمال الباطلة وتُهشّم أغصان الأماني الضالّة، وما لم نستعن بالعبادات فالطريق موحش وغير آمن، ومَن استعان بالصلاة سيجد نفسه رخيصة وهي مملوكة للآمال والأماني فينتفض لها نتيجة ما أودعته العبادات في قلبه وروحه من طاقة روحية خارقة وعنيفة، تقوّض قلاع الدنيا والأنس بأحلامها غير الواقعية، ولا تستقرّ به الحال إلّا بحصول الانتقالة الواقعية، فيرى قلبه قد أشرق فيه الصدق، وقد نمت فيه قدرات غير معهودة ستكون حصناً منيعاً يقف في مواجهة النفس وحلحلة أزمة الذات، فتنمو شجيرات الصدق، وتحترق أشواك الكذب.

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٧٩ ح ٣٣٧.

الثالث: الاستعانة بالأعمال الحياتية، فالعمل موقد حيويّ يمنح صاحبه طاقةً واندفاعاً واشتغالاً عن التفكّر بأحلام اليقظة، كما أنّ العمل الحياتي يملأ وقت الإنسان، ويُقلّل من مساحات الانجراف وراء الآمال والأماني، وإذا ما امتلأ وقت الإنسان بالعمل فإنّه سوف يقفل صندوق أحلام اليقظة والخيالات الفاسدة ويُقطّع أجنحة طائر الخيال، لاسيّما إذا كان العمل الحياتي مقصوداً به وجه الله تعالى، فذلك سيُسهّل المهامّ كثيراً، ويجعل الانتصار في مواجهة النفس وحلحلة أزمة الذات أمراً حتمياً، فضلاً عن السعادة القلبية والطمأنينة التي سيعيشها المنتصر، لأنّه سيكون بعيداً عن الغرور والكبرياء في تحقيق انتصاره كما أنّه سوف يقي نفسه من أثر الإخفاقات المحتملة؛ لأنّه حتى مع الإخفاق نفسه يكون قد حقّق مطلبه الواقعي، وهو رضا الله تعالى، وإنّما الأعمال بالنيّات.

ثانياً: أزمة مواجهة الأقرباء (أزمة الأغيار العسيرة)

في هذه المواجهة الجديدة إذا ما خضناها ونحن منتصرون في مواجهتنا الأُولى فإنّها ستكون ممكنة وسهلة، كما ستكون لنا الغلبة الحتمية، وأمّا إذا ما خضناها ونحن لم ننتصر بعد في معركتنا الأُولى فإنّ هذه المواجهة ستكون عسيرة وشديدة، والمغلوب فيها هو الإنسان، والغالب فيها هو الخُسران.

إنَّ عُسر هذه المواجهة ناشئ من كوننا لا بدائل عندنا، فالصديق وإن كان عزيزاً علينا إلّا أنّه يمكن تعويضه بصديق آخر، ولذلك فنحن عادة ما نجد أنَّ أصدقاء الطفولة هم غير أصدقاء الفتوّة، وهما غير أصدقاء الشباب، ولكنّنا في جميع هذه المراحل ندور في نفس دائرة الآباء والأُمّهات والإخوان والأخوات، فإذا فقدت أحد أبويك ـ أو كليهما ـ فلا بديل له[1]، وإذا فقدت أخاك لا بديل له.

---

(١) ليس المقصود من الفقد هو الموت، وإنّما فقد العلاقة الاجتماعية والتواصل، فمن وقعت خصومة عميقة بينه وبين أبويه فإنّه يكون بمثابة الفاقد لهما، وسبب الفقد هو عدم

إذن فعسر المواجهة يرجع إلى فقدان البدائل، ولذلك علينا أن نكون حذرين جداً في خوض هذه المواجهة، فكيف نكون صادقين مع أهلنا دون أن نفقدهم؟

وهنا لابدَّ من العمل على الوضوح والتدرّج في التعاطي معهم، فليس من الصحيح أن تكون مبهماً، وليس من الصحيح أن تكون مُباشراً، لابدَّ أن تثبت للوالدين أنّك مطيع لهما أوّلاً، ثمّ تقوم بتوفير الفرصة لمساعدتهما على اتخاذ الخطوات التي تُهيّئ لك الفرصة كاملة بالصدق معهم.

لنأخذ شاهداً على طلب التكذيب: لو كان الأب متعوِّداً على القيام بتصرّفات تتضمّن الكذب، من قبيل قوله لابنه: إذا سأل عنّي فلان فقل له إنّي غير موجود، ومن قبيل قول الأُمّ له: إذا سألتك فلانة عنّي فقل لها بأنّي خرجت للسوق، وهكذا.

إنّها تصرّفات كاذبة وتدعوك للكذب أيضاً، والمفروض أنّنا نريد أن نخوض تجربة الصدق، وهذه المواجهة لابدّ أن ننتصر فيها، فهنا إذا تعودَّ منك أبواك الصدق فإنّهما سيراعيان ذلك، وغالباً لا يطلبان من ابنهما الصادق أن يكذب لهما، ولذلك كنّا نقول بأنّ الانتصار في مواجهة النفس (أزمة الذات) سوف يقدّم لنا حصانة كبيرة، ويوفّر لنا أسباب الانتصار في المواجهات القادمة مع الأغيار.

ولكن لنفترض أنّنا لم ننتصر انتصاراً نهائياً في مواجهة النفس، وقد تعوَّد الأبوان أن تكذب لهما، فماذا سنفعل؟ هنا توجد عدّة حلول، منها:

الحلّ الأوّل: أن تواجه الأبوين برفقٍ، وتطلعهما على كون هذا الهروب من

الصدق معهما، فالأبوان إذا شعرا بأنّ ولدهما كاذب فإنّهما سيفقدان الثقة به، أو أنّ الابن قد يشعر بالشيء نفسه عندما يجد أبويه يكذبان، وهنا تقع المواجهة الحقيقية، فليس من الصحيح أن يصدم الابن أبويه بعدم صدقهما، وإنّما لابدّ له من خطوات عملية، وهذا ما يريد السيد الأستاذ (دام ظلّه) بيانه في هذه الفقرة الثانية من المواجهات.

الآخرين ليس صحيحاً، ولكن دون أن تذكر كلمة الكذب لهما، فلا يجوز لك أن تصفهما بالكذب، فإن كنت قادراً على القيام بهذه المواجهة دون إحداث أضرارٍ جسيمة في علاقتك معهما فعليك أن تقوم بذلك فوراً.

الحلّ الثاني: إذا وجدت نفسك غير قادر على هذه المواجهة، فعليك أن تجد لك عذراً في عدم التواجد في المكان الذي سيضطرّك للكذب؛ من قبيل خروجك لزيارة صديق أو إلى مكان ما.

الحلّ الثالث: إذا لم يُمكنك الخروج من هذا المأزق، وحصل أن اتصل الشخص المطلوب أن تكذب أمامه بإخباره بعدم وجود أبيك ـ مثلاً ـ وسألك عن أبيك طالباً حضوره، فاطلب منه البقاء على الخطّ للسؤال عن أبيك، فإنّ وجدته مشغولاً فأخبره بأنَّ أباك مشغول الآن، وإن وجدته نائماً فأخبره بذلك، وإن قال لك أيقظه من نومك فقل له: ذلك ليس مناسباً، وإن وجدت أباك غير مشغول بشيء فأخبره بهدوء بأنَّ فلاناً على الهاتف وأنّك لم تتمكّن من إخباره بعدم وجودك.

لابدّ لنا من تطبيع الأقرباء على الصدق من خلال إثباتات تدلّ على كوننا نتنفَّر من الكذب، ولابدّ أن تكون إثباتاتنا عملية وليست قولية، فليس من المناسب بأن نُخبر أبوينا بأنّنا لا نكذب ولا نحبّ الكذب، فذلك ليس من الأدب معهما، بل هو من سوء الأدب في حضرتهما، وإنّما يكون ذلك بواسطة أفعالنا، مثلاً إذا وعدنا الأبوين بشيء فلابدّ أن نصدق بوعدنا معهما، إذا قلت لأحدهما بأنّك ذاهب للنوم ـ مثلاً ـ فلابدّ أن تذهب للنوم، وإذا أخبرتهما بأنّك ذاهب للصديق الفلاني فلابدّ أن تذهب له، فلا تقل شيئاً وأنت غير قادرٍ على فعله.

وهكذا الحال مع الإخوان والأخوات، وسائر الأقرباء، ولا ريب أن نجاح تجربة الصدق مع الأبوين كفيلة بإنجاح التجربة مع الأقرباء الآخرين.

ثالثاً: أزمة مواجهة الأصدقاء (أزمة الأغيار الصعبة)

لابدّ أوّلاً من انتخاب الأصدقاء بعناية فائقة، فالصديق هو من صدقك وصدّقك، وإنّما سُمّي الصديق بذلك لاقترانه بالصدق والنصح، وهنا ينبغي أن نرفع شعار التناصح في رحلة الصدق عند مواجهتنا للأصدقاء، فإذا ما راعينا هذا الشرط الأخلاقي فإنّنا سننجو من براثن سوء الظنّ وبراثن الكذب، لابدّ أن نشعِر الأصدقاء بنصحنا لهم، وهذا لا يمكن تحقيقه إلّا إذا أثبتنا لهم في رتبة سابقة بأنّ علاقتنا معهم ليست نفعية، ولا لأجل إملاء فراغات في حياتنا، وإنّما هي حاجة تفرضها الفطرة الإنسانية، ويدعو لها ديننا القويم.

إذن لابدّ أن نثبت عملياً أنّنا نحترم صداقتنا، وهذا الاحترام قائم على أساس متين هو الصدق، وأنَّ سقاية شجرة الصدق بالتناصح، ولابدّ أن نظهر عدم رضانا لهم إذا شعرنا منهم الكذب، ولا يجوز لنا السكوت عن ذلك فضلاً عن عدم جواز تشجيعهم على ذلك، ولكن مواجهتهم لابدّ أن تكون منطلقة من باب التناصح لا من باب إساءة الأدب مع الأصدقاء، ولا من باب الحسد أو الانتقام أو الشماتة وغير ذلك من الأخلاق الدفينة البائسة.

رابعاً: أزمة مواجهة الغرباء (أزمة الأغيار السهلة)

وهي من المواجهة السهلة التي تتحقّق تلقائياً بمجرّد تجاوز الأزمات السابقة، وإنّما كانت سهلة لأنّها عادةً لا تتضمّن خسائر كبيرة، فخسارة الغريب ليس كخسارة القريب والصديق، كما أنّ خسارة القريب ليس كخسارة الصديق، ولكن ليس من المنطقي أن تفقد غريباً كان بالإمكان أن يكون صديقاً، كما أنّ التعامل الإسلامي مع الغرباء إنّما يكون منطلقاً من قاعدة (الأخوّة الإيمانية)؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، وبينهم ولاء ومحبّة، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١)، ولذلك

هنالك مسؤولية دينية وإنسانية تجـاه الغربـاء، فيكـون تحـصيل الـصدق معهـم، وحثّهم على الصدق معنا جزءاً مـن مـسؤولياتنا، وعلينـا مراعـاة مـشاعرهم في تحفيزهم على الصدق؛ لأنّنا نفتقد العلاقة الوثيقة بهم، فيكون حثّنا وطلبنا مـنهم بتوخّي الصدق فيه شيء مـن الغرابـة، ومـن الطبيعـي أن يُواجهونـا بـالرفض، ولذلك فإنّ الأَولى في هذا التناصح أن يقع من الأكبر سنّاً للأصغر منـه، ليكـون ذلك مشجّعاً على القبول.

نتائج متوقّعة

من النتائج المتوقعة في جميع مواجهاتنا الأربع (مع الـذات، ومـع الأقربـاء، ومع الأصدقاء، ومع الغرباء): أن نخسر محبّة البعض لنـا، فالنـصيحة بالـصدق تستبطن اتهاماً بكذب المقابل، وهذا ما يترك شعوراً سلبياً، ولكن مع ذلـك فإنّنـا لا نملك طريقاً غير المضيّ في نشر ثقافـة الـصدق، وتحمّـل تلـك الخـسائر التـي سرعان ما تُعوّض بما هو أفضل منها، فلو كسبت صديقاً صادقاً فهو أفـضل مـن مائة صديق كاذب، ولو غيّرت سلوك أحد أبويـك، أو أحـد إخوانـك، ولـو في واقعة معيّنة، فتلك غنيمة عظيمة.

إنّ الخسائر المتوقّعة هي حاصلة حتى في نشر الكذب أو في السكوت عليـه، فكيف لا نتأذّى منها ونحن نراها ثمناً لصدقنا؟ ولذلك لا ينبغي أن تثنينـا تلـك الخسائر الضئيلة ـ إذا ما قيست بثمرة الصدق ـ حتى ولو بلغ بنا المقـام أن يخـرج من قلوب الأغيار محبّتنا، فحبّ الصدق ومتابعته هـو حـبّ الله تعـالى وطاعتـه، وحبّ الله تعالى وطاعته فوق كلّ محبّة، فما الذي سننتفع به من محبّة غير محرزة مع وقوع الكذب أو الرضا به؟ وكيف تطمئنّ قلوبنا ونحن نواجه كذباً صريحـاً ولا نعمل على مواجهته؟ وكيف نكـون قـد حقّقنـا الاحـترام لأنفـسنا ونحـن غـير سائرين في رحلة المواجهات الأربع الآنفة الذكر؟

قال الحارث المُحاسبي: «الصادق: هو الذي لا يبالي لو خرج كلّ قدر لـه في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحبّ اطّلاع الناس على مثاقيل الـذرّ مـن حسن عمله، ولا يكره اطّلاعهم على السيّئ من عمله؛ لأنّ كراهتـه ذلـك دليـل على أنّه يحبّ الزيادة عندهم، وليس هذا من أخلاق الصدّيقين»[١].

كلمات على الطريق

- قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ (الإسراء: ٨٠)، أي: أنّ يـرى الـصدق في كـلّ مـدخل منـه ومخـرج ويستوعب وجوده، وهذا هو مقام الصدّيقين. ويرجـع معنـاه إلى نحـو قولنا: اللهم تولَّ أمري كما تتولّى أمر الصدّيقين[٢].
- قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يـضرّك على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملـك، وأن تتّقي الله في حديث غيرك**»[٣].
- قال التستري: «لا يشمّ رائحة الصدق عبدٌ داهن نفسه أو غيره»[٤].

---

(١) المجموع (شرح المهذّب)، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ): ج ١ ص ١٧، نشر: دار الفكر، بيروت؛ الأذكار النووية، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي: ص ٧، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، بيروت؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤف المناوي: ج ٤ ص ٤٥٢، تحقيق: أحمد عبد السلام، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ، بيروت.

(٢) انظر: الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي: ج ١٣ ص١٧٦، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المقدّسة.

(٣) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٠٥ رقم (٤٥٨).

(٤) المجموع (شرح المهذب)، مصدر سابق: ج ١ ص ١٧؛ الأذكار النووية، مصدر سابق: ص ٧؛ فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٥٢.

خلاصة الدرس

- كلّنا يطلب الصدق، ولكنّ الغالب لا يعمل لـذلك، وهـذا دليـل عـدم الوضوح.
- الإنسان يأنس بالدنيا لأنّه يحمل تبعاتها المادّية المتمثّلة بجزئه المادّي.
- الارتباط بالجزء المادّي على حساب الجزء المجرّد يجعل الصدق متزلزلاً.
- الخير والشرّ كلاهما يدافع عن نفسه، وهذا هو ملخّص الجهاد الأكبر.
- المعوِّقات والأزمات التـي تواجـه الـصدق هـي: أزمـة الـذات وأزمـة الأغيار.
- أزمة الأغيار مع الأقرباء عسيرة، ومع الأصدقاء صـعبة، ومـع الغربـاء سهلة.
- أزمة مواجهة النفس (أزمة الذات) هي أعظم الأزمـات، وفيهـا تكـون أشدّ المواجهات، وتمثّل حجر الزاوية في جميع المواجهات الأُخرى.
- النصر الفعلي مع النفس نصرٌ بالقوّة على أزمات الصدق مع الأغيار.
- مواجهة النفس تعني الكـفّ عـن سـوء الظـنّ، والتخـيّلات الفاسـدة، والآمال.
- رصد الأشياء الجميلة يُساعد كثيراً على تضييق دائرة مناشئ سوء الظنّ.
- إنّ قطع دابر سوء الظنّ يعني تحطيم أعظم قواعد الشيطان، وهنـا تـبرز الإرادة الحرّة وقوّة الإيمان، وحقيقة نيّة طلب الصدق.
- من وسائل الخروج من سوء الظنّ بالآخرين إلى حُـسن الظـنّ بهـم: أن نعتبر أنفسنا مكلّفين بتنظيم الأشياء، واعتبار الشارع جزءاً من بيتنا.
- التعوّد على رؤية الأشياء الجميلة يفتح النفس ويجعل مزاجها معتدلاً.
- التغافل قد يكون كمالاً مطلوباً، وقد يكون نقصاً غير مرغوب فيه.

- تجاوزنا عن إساءة الآخرين بحقّنا نصر نحقّقه على النفس الأمّارة بالسوء.
- درجات القُرب لا حصر لها، وللعبد أن يجتهد في كلّ نَفس يزيده قُرباً.
- الإنسان قد تُفرض عليه ثقافة سلبية تجعله يعاني من عقدة الاضطهاد النفسي وكتم المشاعر، لاسيّما في المجتمعات ذات الطابع الديني.
- الضغوط الاجتماعية قد تفضي بالإنسان إلى خيالات فاسدة هرباً من واقعه.
- للتخلّص من التخيّلات الفاسدة لابدّ من تحرّي الفراغات التي سمحت بها، ثمّ الكشف عن علاقتها بالانفلات عن الصدق، ثمّ المعالجة الصحيحة.
- في صورة الانتقال إلى معالجة مرض ثانٍ بعد شفاء الأوّل فإنّنا ملزمون بعدم ترك الأوّل لأنّنا لازلنا في طور النقاهة منه، وتركه يقوّي احتمال رجوعه.
- طائر الخيال جوّال فرّار، ينتقل كطائر من غصن إلى غصن، ومحاصرته وتطويعه أمر صعب ولكنّه ليس عسيراً، حيث يمكن تطويعه بالرياضة.
- طائر الخيال قادر على التمويه، واختلاق الأعذار الواهية المبرّرة للكذب.
- أكثر الشباب والمراهقين واقعون تحت تأثير طائر الخيال أو أحلام اليقظة.
- الكفّ عن الآمال والأماني الضالّة يكمن في: تقوية العزيمة والإرادة، واستبدال الشعور بالضعف والاستسلام بالشعور بالقوّة والمواجهة والصمود، وبالاستعانة بالعبادات، وبالاستعانة بالأعمال الحياتية.
- إذا ما امتلأ وقت الإنسان بالعمل فإنّه سوف يقفل صندوق أحلام

اليقظة والخيالات الفاسدة ويُقطّع أجنحة طائر الخيال، لاسيّما مع قصد وجه الله.

- عُسر المواجهة مع الأقرباء ناشئ من عدم وجود بدائل، ولذا علينا الحذر.
- عند المواجهة مع الأقرباء لابدَّ من العمل على الوضوح والتدرّج في التعاطي معهم، فلا نكون مبهمين، ولا مباشرين.
- ينبغي رفع شعار التناصح في رحلة الصدق عند مواجهتنا للأصدقاء، فإذا ما راعينا هذا الشرط الأخلاقي فإنّنا سننجو من سوء الظنّ وبراثن الكذب.
- لابدّ أن نثبت عملياً أنّنا نحترم صداقتنا على أساس متين هو الصدق.
- التعامل الإسلامي مع الغرباء ينطلق من قاعدة قرآنية، هي الأخوّة الإيمانية، والمحبّة والولاء، فهنالك مسؤولية دينية وإنسانية تجاههم.
- من النتائج المتوقعة في مواجهاتنا الأربع: أن نخسر محبّة البعض لنا، ولكنّنا لا نملك طريقاً غير المضيّ في تبنّي الصدق ونشر ثقافته.

مذاكرة

- لماذا الأُنس بالدنيا؟ وما هي نتيجة الارتباط الوثيق بالجزء المادّي في الإنسان؟
- ما هو ملخّص الجهاد الأكبر؟
- ماذا نعني بأزمة الذات وأزمة الأغيار؟
- ما هي الأزمات العسيرة والصعبة والسهلة؟
- ما هي المواجهة التي تمثّل حجر الزاوية في جميع المواجهات الأُخرى؟
- لمواجهة النفس (أزمة الذات) ما الذي ينبغي أن نكفّ عنه؟

- ما الذي يُساعدنا كثيراً على تضييق دائرة مناشئ سوء الظنّ؟
- ما هي وسائل الخروج من سوء الظنّ بالآخرين إلى حُسن الظنّ بهم؟
- متى يكون التغافل كمالاً مطلوباً، ومتى يكون نقصاً غير مرغوب فيه؟
- كيف يكون الفائز خاسراً في الوقت نفسه، والخاسر فائزاً في الوقت نفسه؟
- ما هي نوع الثقافة التي تجعل الإنسان يعاني من عقدة الاضطهاد النفسي؟
- إلى أيّ شيء تؤدي الضغوط الاجتماعية؟ ولماذا؟
- كيف نتخلّص من التخيّلات الفاسدة؟
- ما هو طائر الخيال؟ وهل يمكن محاصرته وتطويعه؟
- من هم الأكثر وقوعاً تحت تأثير طائر الخيال أو أحلام اليقظة؟
- كيف يُمكن الكفّ عن الآمال الفارغة والأماني الضالّة؟
- كيف يمكن قفل صندوق أحلام اليقظة والخيالات الفاسدة؟
- من أيّ شيء نشأ عُسر المواجهة مع الأقرباء؟
- ما الذي نعنيه بالتناصح في رحلة الصدق عند مواجهتنا للأصدقاء؟
- ما هو الأساس المتين الذي يجب أن تبتني عليه صداقاتنا؟
- ما هي القاعدة القرآنية التي يبتني عليه التعامل الإسلامي مع الغرباء؟

الدرس الخامس

ثمرات الصدق

(الدينية والدنيوية والآخروية)

- أهداف الدرس
- تمهيد
- الثمرات الدينية للصدق
- الثمرات الدنيوية للصدق
- الثمرات الأخروية للصدق
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان أهمّ الثمرات الدينية للصدق المتعلّقة ببناء الشخصية الإيمانية، وعلاقتنا بالله، وواقعية العبادة.
- بيان أهمّ الثمرات الدنيوية للصدق المتعلّقة بالبركة، والبهاء، وقبول التوبة، وقوّة الحجّة، وإحراز الثقة، والتوفيق لحسن العاقبة.
- بيان أهمّ الثمرات الأخروية للصدق المتعلّقة بنعيم الجنّة، ونيل منزلة الشهداء، ومعرفة الله تعالى.

تمهيد

بعد أن اكتملت أهمّ حلقات الصدق، في بيان حقيقته ومكامنه وأنواعه ومعوّقاته وأزماته، ينتهي بنا البحث عند ثمرات الصدق، وهذه الثمرات على أهمّيتها وكثرتها وتنوّعها؛ لصلتها بحياتنا الدينية والدنيوية والأخروية، المعرفية والمعنوية، إلّا أنّ أهمها على الإطلاق هو نفس الوصول إلى جادّة الصدق؛ لأنّ الصدق بنفسه قيمة معنوية عظيمة، بل هي هويّة الإنسان المؤمن، فالإيمان هو الصدق والتصديق، وهو قوام بعثة الأنبياء عليهم السلام أو أحد ركنيها ـ كما عرفنا ذلك في الدروس السابقة ـ وبالتالي فإنّنا وبغضّ النظر عن الثمرات الأخرى المتصوّرة، والتي سيأتي بيان الكثير منها، نكون قد حقّقنا ذلك الهدف السامي الرفيع، وهو أن نكون صادقين، سواءٌ مع أنفسنا أو مع ربّنا أو مع الناس.

وأمّا الثمرات المطلوب بحثها فسنتناولها من ثلاثة أبعاد، الديني والدنيوي والأخروي.

البعد الأوّل: الثمرات الدينية للصدق

يمكن تقسيم الثمرات الدينية على ثلاثة أقسام، وهي:

أوّلاً: الثمرات المتعلّقة ببناء الشخصية الإيمانية

ثانياً: الثمرات المتعلّقة بعلاقتنا بالله تعالى

ثالثاً: الثمرات العبادية

وسنحاول أن نسجّل حضوراً روائياً في هذه الأقسام الثلاثة بغية التأصيل.

الثمرات المتعلّقة ببناء الشخصية الإيمانية

اتّضح من الدروس السابقة أنّ للصدق علاقة وثيقة بالإيمان، فالإيمان صدق وتصديق، وبناء على ذلك فإنّ التحقّق بالصدق سينعكس بصورة تلقائية على واقعية الإيمان، بمعنى أنّ الإيمان قد يتحقّق من الإنسان ولكنّه من الناحية العملية قد لا يكون له حضور، فتجد مؤمناً ولكنّه يسرق ويسيئ الظنّ ويتّهم الناس ويتتبّع عوراتهم، ويفحش بالقول، وغير ذلك من الموبقات المعلومة الوقوع من أناس يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، وهذا هو الإيمان الصوري، أو الفاقد لآثاره العملية، وأمّا المؤمن الحقيقي فهو مَن سلم الناس مِن لسانه ويده، بل سلم الناس من مقاصده السوء، وهذا لا يمكن أن يتحقّق عملياً إلّا بواسطة الصدق، ولذا ورد في الأخبار أنّ المؤمن لا يكذب.

عن عن أبي الدرداء وابن جراد «أنّهما سألا النبيَّ صلّى الله عليه وآله: هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذاك، قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذاك، قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: لا، ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ (النحل: ١٠٥)»[1]، وعنه صلّى الله عليه وآله بألفاظ متقاربة: «**يطبع المؤمن على**

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق: ج ٢٧ ص ٢٤١؛ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور،

كلّ خصلة ولا يطبع على الكذب، ولا على الخيانة»[(١)]، وعن الحسن بن محبوب أنّه قال للإمام جعفر الصادق عليه السلام: «يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: **نعم**، قال: قلت: فيكون جباناً؟ قال: **نعم**، قلت: فيكون كذّاباً؟ قال: **لا، ولا جافياً**، ثمّ قال: **يجبل المؤمن على كلّ طبيعة إلّا الخيانة والكذب»**[(٢)]، أي: الطباع المختلفة، كالانفتاح والانطواء، والحركة والاستقرار، والوداعة والحدّة، والأُلفة والوحشة، والجذب والطرد، وغير ذلك من الطبائع البشرية، فإنّها تعرض على المؤمن ولا تقدح بواقعية إيمانه، إلّا طبع الكذب؛ لأنّ الكذب ـ وهو منافٍ للصدق ـ مُفضٍ إلى منافاة الإيمان، وبحسب تعبير أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان**»[(٣)]، ولذلك فإنّ البناء الداخلي للمؤمن قائم على أرضيّة الصدق، فهو جبلّة وفطرة، ومخالفته إلى الكذب ما هو إلّا خروج سافر عن تلك الجبلّة والفطرة، بل هو خروج عمليّ عن الإيمان، ولذلك ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الكذب هو خراب الإيمان**»[(٤)]، وفي قوله (خراب الإيمان) مبالغة واضحة لتعظيم فساد الكذب من كونه يمسّ الإيمان نفسه لا مجرّد إيمان

للحافظ جلال الدين السيوطي: ج ٤ ص ١٣١، نشر: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ، بيروت؛ كنز العمّال، مصدر سابق: ج ٣ ص ٨٧٤ ح ٨٩٩٤.

(١) مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ١١ ص ١٦١ ح ٢٠٢٠١؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٥ ص ٢٥٢؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٥٥.

(٢) الاختصاص، للشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبرى البغدادي (ت: ٤١٣ هـ): ص ٢٣١، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، رتّب فهارسه: محمود الزرندي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٩ ص ٨٤ ح ٥.

(٣) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٠ الخطبة ٨٦.

(٤) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٣٩ ح ٤.

الكاذب نفسه، وكأنّ فيه نوع من تحمّل المسؤولية الكبرى، فيكون مـن قبيـل مـا جاء في قوله تعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْـساً بِغَـيْرِ نَفْـسٍ أَوْ فَـسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَـا قَتَـلَ النَّاسَ جَمِيعاً**﴾ (المائدة: ٣٢)، مع أنّ المقتول في الواقع هو واحد لا الناس جميعـاً، ولكنّه يريد الإشارة إلى كون ذلك القتل قد مسّ عنوان الإنسانية الجامع لأفراده، وهكذا الحال في الصدق والكذب، فالصدق عمار الإيمان، والكذب خرابه.

وقيل في معنى الحديث: «الحمل للمبالغـة في الـسببية؛ لأنّ الكـذب يخـرب إيمان الكاذب، ويذهب بصالح دينه، ويورث النفاق، ويمنع أن ينتقش في النفس صورة الحقّ والصدق، ويسدّ باب الخـير، وكـلّ ذلـك سـبب لـزوال الإيـمان أو نقصانه»[١].

الثمرات المتعلّقة بعلاقتنا بالله تعالى

الصدق هو أقرب وأفضل الطرق لبناء العلاقة مع الله تعالى، بـل لا يُتـصوّر طريق آخر لبناء هذه العلاقة وتعميقها غير الصدق، أو قل بأنّه لا يُتـصوّر ذلـك من غير الصدق، فالصدق وحده الذي يجعل الإنسان صدّيقاً عند الله تعالى، وقد جاء في خبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**ما يزال الرجل يصدق حتى يُكتب عند الله عزّ وجلّ صدّيقاً ... وما يزال الرجل يكذب ويتحرّى الكـذب حـتى يُكتب عند الله عزّ وجلّ كذاباً**»[٢]، كما أنّ الصدق سيجعل المؤمن وفيّـاً بعهـوده مع الله تعالى، وهذا ما يعمّق علاقته بالله تعالى، وقـد نُبّـه لـذلك في قولـه تعـالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ (الأحزاب: ٢٣).

---

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ٩ ص ٤٠٠.

(٢) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٨٤؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٧ ص ٩٥؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٩.

الثمرات العبادية

تتمثّل الثمرات العبادية في قبول الأعمال، فالعبادة من غير الصدق ستكون موبوءة بالعُجب والرياء، بل وبالنفاق أيضاً، وإنّما يقع كلّ ذلك لفقدان واقعية الصدق، ففي قولنا في كلّ صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: ٥ ـ ٦)، من غير الصدق فيه سيكون فاقداً لمعناه، وهكذا في سائر العبادات الأخرى، فأيّ معنىً يبقى للتلبية في الحجّ (لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك) إذا لم تكن قائمة على أساس الصدق في القصد، ومن الواضح أنّ النيّة التقرّبية لله تعالى لا تبقى لها واقعية من غير الصدق، والأعمال العبادية من غير نيّةٍ صادقةٍ فاقدةٌ للاعتبار، ففي الصلاة تكون الصلاة مجرّد حركات وسكنات، وفي الصوم يكون الصوم مجرّد جوعٍ وعطش، وهكذا في سائر الأعمال الأخرى.

البعد الثاني: الثمرات الدنيوية للصدق

فضلاً عن راحة البال وصفو الخاطر وسلامة القلب فإنّ هنالك ثمرات كثيرة ننالها ببركة الصدق، منها:

الأولى: البركة والنموّ في المال والحلال

فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**البيّعان بالخيار ما لم يفترقا، فإن صدقا وبيّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما**»[1]، والبركة ـ وهي ثمرة الصدق في المقام ـ تعني الحفظ والنموّ والزيادة في الثمن والمثمن.

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٣ ص ٤٠٢؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٠؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٠؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ١٣ ص ٢٩٨ ح ٨؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٣٦ ح ٣٤٥٩.

الثانية: البهاء وحُسن المنظر

عادةً ما يهتمّ الإنسان السويّ بحسن منظره وبهائه، وللصدق أثر معنويّ وتكوينيّ على ظاهر الإنسان وباطنه، فالأثر الظاهر هو الحُسن والبهاء، والأثر الباطني هو الأمن والطمأنينة والاستقرار، وكلاهما لا غنى للإنسان السويّ عنهما، فإذا ما انعدم الصدق وحلّ الكذب محلّه فإنّ كلّ ذلك سيذهب سدى، وقد ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**كثرة الكذب تذهب بالبهاء**»[١]، والبهاء هو الحُسن والجلال، أو هو المنظر الحسن الرائع المالئ للعين، والبهيّ: الشيء الذي يملأ العين روعه وحسنه[٢]، والكذب يذهب بذلك كلّه، ويُسقط صاحبه من الحُسن والجلال.

الثالثة: قبول التوبة والتوفيق للخير والصلاح

كما جاء ذلك في قصّة كعب بن مالك عندما تخلّف عن الالتحاق برسول الله صلّى الله عليه وآله في تبوك، فإنّه لمّا ندم على تخلّفه وقرّر الالتحاق «سأله النبي صلّى الله عليه وآله: **ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك؟** قال: قلت: يا رسول الله، إنّي والله، لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أنّي سأخرج من سخطِه بعذر، ولقد أُعطيتُ جدلاً، ولكنّي والله، لقد علمت لئن حدّثتُك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عنّي، ليوشكنّ الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدّثتك حديث صدقٍ تجد عليَّ فيه، إنّي لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قطّ أقوى ولا

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٣٤٤ ح ٤.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري: ج ٦ ص ٢٨٨ باب (بها)، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ، الطبعة الرابعة، بيروت؛ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي: ج١٤ ص٩٩، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، بيروت.

أيسر في حين تخلّفت عنك، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أمّا هذا، فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك ...**»[١]، ثمّ ما برح أن نزل فيه ـ وفي شخصين آخرين تخلّفا عن اللحوق برسول الله صلّى الله عليه وآله فتابا والتحقا وكانا صادقين ــ قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ (التوبة: ١١٧)، وإنّما قُبلت توبتهم نتيجة صدقهم وعدم اختلاقهم الأعذار الواهية، فكان الصدق منجاةً لهم، وسبيلاً واضحاً لقبول التوبة.

الرابعة: الصدق عماد الحجّة وقوّة لها

لا ريب أنّ الإنسان يسعى في جميع خصوماته أن تكون حجّته ظاهرةً مؤثرةً قويّةً، وليس هنالك طريق لتحقيق ذلك بنحوٍ صحيحٍ وصريحٍ، وأفضل وأقصر، من طريق الصدق، فالصدق يورث الطمأنينة والاستقرار النفسي، وهذان أمران ضروريّان في تحقيق الغلبة في الاحتجاج والمناظرة والخصومة، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**مَن صدقت لهجته قويت حجّته**»[٢]، ولذلك غالباً ما تجد الذي يفتعل الأحداث كذباً وزوراً ضعيف الحجّة، عاجزاً عن الصمود أمام صوت الحقّ، وليس له من نصيب غير تولية الأدبار.

الخامسة: إحراز ثقة الناس وثنائهم

من العسير جداً أن يعيش الإنسان في الوسط الاجتماعي من دون إحراز

---

(١) مصنّف عبد الرزاق الصنعاني، مصدر سابق: ج ٥ ص ٣٩٧ ح ٩٧٤٤؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٣ ص ٤٥٩؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٣١؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٠٨. وقوله: (ولقد أُعطيتُ جدلاً)، أي: أعطيت فصاحةً وقدرة في الإقناع. وقوله: (تجد عليَّ فيه)، تغضب عليَّ فيه.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق: ص ١٤١ ح ٤٣٥٢.

ثقتهم، فالثقة المتبادلة بينه وبين الناس هي إكسير العلاقة وسرّ بقائها، ولو فتّشنا في خلفيات بناء الثقة سوف نجد الصدق هو أبرز معلم فيها على الإطلاق، ومن دونها تنفرط حبّات الثقة، ولو لاحظنا خلفيات الثناء الصادق نجده هو الآخر مبتنياً على واقعيّة الصدق، وقد تقدّم منّا أنّ الصدق هو أرضيّة بعثة الأنبياء عليهم السلام، ولأجل مقام الصدق الذي تبوّؤه صاروا محلّ ثقة الجميع، حتى من قِبل خصومهم، كما أنهم صاروا لذلك محلّ المدح والثناء من قبل الجميع، وقد أُشير لذلك في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً**﴾ (مريم: ٥٠)، ولسان صدق في إحدى تفاسيره هو الثناء الحسن، ويبدو أنّ القبول عند الآخرين من قبلهم عليهم السلام هو وسيلة التواصل معهم، وهذا القبول هو عين الثقة، وهذه الثقة هي عين الصدق، وهذا ما نجده في سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام حيث يطلب ذلك صريحاً، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾ (الشعراء: ٨٤).

السادسة: التوفيق لحسن العاقبة والخاتمة

لا يختلف اثنان من العقلاء على كون حسن العاقبة والخاتمة هو المقصد الأسمى للجميع، فمن حسنت عاقبته كانت نتيجته الجنّة والرضوان، ومن ساءت عاقبته كانت نتيجته العذاب والنيران، وهذا ما يجعلنا نفكّر كثيراً في كيفية الوصول إلى هذا الهدف الممهّد لنيل الجنّة والرضوان، وإذا ما كانت هنالك طرق كثيرة فلا ريب بأنّ أوضحها ـ بعد الإيمان بالله وبرسوله واليوم الآخر ـ هو الصدق في النيّة والقول والفعل، فذلك هو الصراط المستقيم الموجب للهداية الحقّة والتزيّن بحسن الخاتمة، فلا يكون هنالك مطلب دنيويّ في قصدية حسن العاقبة، وقد مرّت بنا قصّة ذلك الأعرابي الذي بايع النبي صلّى الله عليه وآله على الشهادة ونيل الجنّة، فقال له صلّى الله عليه وآله: «**إن تصدق الله يصدقك**»، ولما

استشهد وجاءوا به لرسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «**صدق الله فصدقه**»، ثمّ كفّنه بنفسه وصلّى عليه قائلاً في صلاته عليه: «**اللّٰهُمَّ إنّ هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، فقُتل شهيداً، أنا عليه شهيد**»[١].

البعد الثالث: الثمرات الأخروية للصدق

وهنا نريد أن نسجّل الثمرات الأخروية ضمن ثلاثة أقسام، وهي:

القسم الأوّل: ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بنعيم الجنّة

القسم الثاني: ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بنيل منزلة الشهداء

القسم الثالث: ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بمعرفة الله تعالى

ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بنعيم الجنّة

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد سأله رجل «فقال: يا رسول الله! ما عمل أهل الجنّة؟ قال: **الصدق، إذا صَدَقَ العبدُ برّ، وإذا برّ آمن، وإذا آمن دخل الجنّة**، قال: يا رسول الله، وما عمل النار؟ قال: **الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر يعني دخل النار**»[٢].

وفي خبر آخر عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**عليكم بالصدق؛ فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البر يهدي إلى الجنّة ... وإيّاكم والكذب؛ فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار**»[٣]، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(١) تمّ عرض القصة كاملةً وتخريجها في الدرس الثالث، فراجع.

(٢) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٧٦؛ مجمع الزوائد، مصدر سابق: ج ١ ص٩٢؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٨ ص ٤٥٧ ح ١٦.

(٣) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٨٤؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٧ ص ٩٥؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٩.

«الصادق على شفا منجاةٍ وكرامة، والكاذب على شفا مهواةٍ ومهانة»[١].

ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بنيل منزلة الشهداء

الشهادة في سبيل الله مقام رفيع، وللشهداء منزلة عظيمة، يغبطهم عليها أهل الجنّة، وحيث إنّ الشهادة في سبيله سبحانه ليست متاحة لكلّ أحد، كان هنالك طريق مُيسّر لتحقيق هذا الهدف السامي، وهو طلب مقام الشهادة بصدق، أو قل هو التحقّق بالصدق، وهذا ما نبّه له رسول الله صلّى الله عليه وآله بقوله: «**من سأل اللهَ الشهادة بصدق بلّغه اللهُ منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[٢].

ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بمعرفة الله تعالى

وأمّا الثمرة الأخروية الأهمّ للصدق فهي تحقيق الهدف الأسمى، والمقام الأعلى، وهو معرفة الله تعالى، فالجنّة والرضوان ومقام الشهداء أهداف عظيمة ولكنّها لا تبلغ مقام المعرفة الإلهية، فذلك هو مقام الصدّيقين، ولا نعني بمعرفة الله تعالى إثبات وجوده أو إثبات وحدانيته، وهذا ما كنّا قد تعرّضنا له في دراسات سابقة[٣]، حيث بيّنا هنالك أنّ معرفة الله تعالى مرتبة ثالثة تأتي بعد مرتبة إثبات الواجب سبحانه، وبعد مرتبة إثبات وحدانيته، وهذه المعرفة هي خلاصة جميع المعارف الإلهية، بل هي كما في الأخبار علّة الوجود والإيجاد، بمعنى أنّ علّة خلقنا هي تحصيل معرفته سبحانه.

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٠ الخطبة ٨٦.

(٢) صحيح مسلم، مصدر سابق؛ ج٦ ص٤٩؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج٢ ص٩٣٥ ح٢٧٩٧؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج١ ص٣٤٠ ح١٥٢٠؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج٣ ص١٠٣ ح١٧٠٥؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج٦٧ ص٢٠١.

(٣) انظر: معرفة الله، للمرجع الديني السيد كمال الحيدري، نشر: دار فراقد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ، قم المقدّسة.

وأخيراً فإنّ الصدق خير للإنسان في الدين والدنيا والآخرة، كما أشار القرآن لذلك بقوله تعالى: ﴿**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ**﴾ (محمد: ٢١).

كلمات على الطريق

- إنّ الحياة مجعولة على نظام الابتلاء، فلا ينجو أحد من الابتلاء والفتن، ولكنّ هنالك معياراً قرآنياً للناجين في محنة الابتلاء والفتن، وهذا المعيار هو الصدق، وهذا ما يمكن أن نفهمه من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٣).
- إنّ الذنوب ملزمة بطلب العفو والمغفرة؛ لأنّ العقوبة عليها لا طاقة للإنسان به عليها، ومن الواضح أنّ العفو والمغفرة لا يأتيان بالتمنّي، وقد شاء الله تعالى أن يجعل الصدق واحداً من أربعة أمور إذا توفّرت في المذنب مُحقت ذنوبه، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**أربع من كنّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً، بدّلها الله حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر**»[1].

خلاصة الدرس

- أن نكون صادقين هو هدفٌ سامٍ، سواءٌ مع أنفسنا أو مع ربّنا أو مع الناس.
- من الثمرات الدينية للصدق: بناء الشخصية الإيمانية، بناء وتعميق العلاقة مع الله تعالى، والثمرات العبادية.
- إنّ التحقّق بالصدق ينعكس بصورة تلقائية على واقعية الإيمان، فالإيمان قد يتحقّق ولكنّه من الناحية العملية قد لا يكون له حضور.

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠٧ ح ٧.

- الصدق عمار الإيمان، والكذب خراب له، وهو أقرب وأفضل الطرق لبناء العلاقة مع الله، بل لا طريق آخر لبناء هذه العلاقة وتعميقها غير الصدق.
- تتمثّل الثمرات العبادية للصدق في قبول الأعمال، فمن دونه ستكون العبادة موبوءة بالعُجب والرياء، بل بالنفاق أيضاً.
- لا معنى للعبادة ولا واقعية لها إن لم تقم على أساس الصدق في القصد.
- أهمّ الثمرات الدنيوية للصدق: تحقيق الخير والبركة، والحسن والبهاء، وقبول التوبة، وتحصيل قوّة الحجّة، وإحراز الثقة، وحسن العاقبة.
- البركة من ثمرات الصدق، وهي تعني الحفظ والزيادة في الثمن والمثمن.
- للصدق أثر معنويّ وتكوينيّ على ظاهر الإنسان وباطنه، فالأثر الظاهر هو الحُسن والبهاء، والأثر الباطن هو الأمن والطمأنينة والاستقرار.
- الصدق يورث الطمأنية والاستقرار النفسي، وهذان أمران ضروريان في تحقيق الغلبة في الاحتجاج والمناظرة والخصومة.
- من العسير أن يعيش الإنسان في الوسط الاجتماعي من دون إحراز ثقتهم، فالثقة المتبادلة بينه وبين الناس هي إكسير العلاقة وسرّ بقائها.
- القبول عند الآخرين وسيلة التواصل معهم، وهذا القبول هو عين الثقة، وهذه الثقة هي عين الصدق.
- أوضح طريق لحسن العاقبة بعد الإيمان هو الصدق في النيّة والقول والفعل.
- أهمّ الثمرات الأخروية للصدق ما يتعلّق منها بنعيم الجنّة، ونيل منزلة الشهداء، ومعرفة الله تعالى.

- الثمرة الأخروية الأهمّ للصدق هي تحقيق الهدف الأسمى المتمثّل بمعرفة الله، فالجنة ومقام الشهداء أهداف عظيمة لكنها دون مقام هذه المعرفة.
- معرفة الله هي خلاصة جميع المعارف الإلهية، وعلّة الوجود والإيجاد.

مذاكرة

- ما هي الثمرات الدينية الملازمة للصدق؟
- كيف ينعكس الصدق على واقعية الإيمان؟
- ما هو أقرب وأفضل الطرق لبناء العلاقة مع الله تعالى؟
- كيف تكون العبادات من غير ملازمتها للصدق؟
- ما وجه كون معنى العبادة واقعيتها قائمة على أساس الصدق في القصد؟
- ما هي أهمّ الثمرات الدنيوية للصدق؟
- ما هي البركة؟ ومن أيّ أنواع ثمرات الصدق هي؟
- ما هو الأثر المعنوي والتكويني للصدق على ظاهر الإنسان وباطنه؟
- ماذا يعني الحديث النبوي: (كثرة الكذب تذهب بالبهاء)؟
- كيف نحقّق الثقة المتبادلة بيننا وبين الناس؟
- ما هي علاقة الصدق بحسن العاقبة والخاتمة؟
- كيف تفهم الحديث النبوي الشريف: (إن تصدق الله يصدقك)؟
- ما هي أهمّ الثمرات الأخروية للصدق؟
- ما هي الثمرة الأخروية الأهمّ للصدق؟ وكيف يكون ذلك؟
- ما هي خلاصة جميع المعارف الإلهية؟

الدرس السادس

علاقة الصدق بالإيمان والتغيير والمشاعر

- أهداف الدرس
- تمهيد
- الإيمان وضرورته في حياة الإنسان
- علاقة الصدق بالإيمان
- التغيير ... أقسامه ومقوماته
- التغيير في القرآن الكريم والسنّة الشريفة
- علاقة الصدق بالتغيير
- النزعة الماضوية أكبر معوّقات التغيير
- التغيير إرادة وعلم وعمل
- علاقة الصدق بالمشاعر والعواطف
- علاقة المشاعر بالتغيير
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- تصوير الإيمان وضرورته في الحياة وعلاقة الصدق به
- بيان التغيير وأقسامه ومقوّماته وعلاقة الصدق به
- تصوير التغيير في القرآن الكريم والسنّة الشريفة
- الكشف عن كون النزعة الماضوية من أكبر معوّقات التغيير
- بيان كون (إرادة وعلم وعمل) تمثّل خلفية وواقعية التغيير
- الكشف عن علاقة الصدق بالمشاعر، وعلاقة المشاعر بالتغيير

تمهيد

البحث في علاقة الصدق بالإيمان والتغيير والمشاعر هو بحث في مفاصل أساسية في حياتنا العلمية والعملية، الدنيوية والأخروية، وهذا ما يستدعي منّا التعرّض ـ ولو بشكل موجز ـ إلى تصوير الإيمان، وبيان ضرورته القصوى في حياتنا، والكشف عن علاقة الصدق الوثيقة به، ثمّ الكشف عن هويّة التغيير، وبيان أقسامه ومقوّماته، وتصوير القرآن لسنّة التغيير، وعلاقة الصدق بذلك كلّه، مع كشف اللثام عن سرّ خطير يتحكّم بالإنسان والإنسانية بصورة خاطئة ومروّعة، وهو تحكّم النزعة الماضوية الاستصحابية في سيرنا وسلوكنا، وكيف تعتبر هذه النزعة من أكبر معوّقات التغيير، ولذلك لزم الكشف عن خلفية التغيير وواقعيته المتمثّلة باجتماع الأركان الثلاثة، وهي: (إرادة وعلم وعمل)، وأخيراً سوف نكشف عن الارتباط الوثيق بين الصدق والمشاعر من جهة، وبين المشاعر والتغيير من جهة أخرى، ومن الواضح أنّ مجمل هذه العناوين المطروحة (الصدق، الإيمان، التغيير، المشاعر) وإن كانت واضحة ومعلومة، إلّا أنّ تفاصيلها الدقيقة، وعلاقة بعضها ببعض، والثنائيات المتشكّلة من بعضها، غير

معلوم الحال، وهذا ما يحتاج إلى تفصيل وتحليل، وسوف يتكفّله هذا الدرس الجديد بعرض موجز ومُيسّر، تاركين التفصيل فيه إلى مناسبة أخرى.

الإيمان وضرورته في حياة الإنسان

الإيمان هو الإذعان إلى الحقّ والتصديق به(١)، وهو مرتبة فوق مرتبة الإسلام، ومن حيث الأصل فإنَّ الفاصلة بينهما هو ملازمة العمل للإقرار بالشيء وعدم ملازمته، فإن لازمه العمل فذلك هو الإيمان وإلّا فهو الإسلام لا غير، وقد بيَّن الإمام محمد الباقر عليه السلام وجه الفرق بين الإسلام والإيمان بقوله: «**الإيمان إقرار وعمل، والإسلام إقرار بلا عمل**»(٢)، وقد سُئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الإيمان، فقال: «**الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان**»(٣).

وعليه فلا يكفي تحصيل العلم بالشيء لتحقيق الإيمان به، فقد يتحقَّق العلم ويتخلَّف الإيمان، كما جاء صريحاً في قوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (النمل: ١٤)، فما لم يتحقَّق نوع من الالتزام بمقتضى العلم وعقد القلب عليه وترتّب الآثار عليه، فإنّ الإيمان لا يتحقَّق، وإذا ادّعاه أحد فهو إيمان صوريّ لا غير، ولو لاحظنا نكتة الإذعان للحقّ ـ إقراراً وعملاً به ـ سنجد قيمته ذلك وجدوائته في حياة الإنسان، فالإنسان السوي لابدّ أن يكون مذعناً للحقّ وعاملاً به، وإلّا فإنّه منحرف ولا ريب، ولذلك لا غنى للإنسان عن الإيمان ما دام إنساناً سويّاً.

---

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني أبي القاسم حسين بن محمد بن المُفضَّل (ت: ٥٦٥ هـ): ص ١٠٠، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأُولى، ١٣٩٣ هـ، القاهرة.

(٢) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٢٩٧، مصدر سابق.

(٣) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٥٠ حكمة رقم:(٢٢٧).

وفيما يتعلّق بترتّب الأثر المُحقِّق لحقيقة الإيمان فقد أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام لذلك بقوله: «**ليس الإيمان بالتحلّي ولا بالتمنّي، ولكن الإيمان ما خلص في القلوب وصدّقته الأعمال**»[١]، ونظراً لكون الإيمان مراتب كثيرة، عالية ومتوسّطة ودانية فإنّ أعلى مراتبه هو أن يُطاع الله تعالى ولا يُعصى بشيء، كما جاء صريحاً في قول الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله سلام الجعفي عن الإيمان فقال: «**الإيمان أن يطاع الله فلا يعصى**»[٢].

علاقة الصدق بالإيمان

وإذا كان الإيمان هو الإذعان للحقّ والتصديق به فإنّه لا يستقيم أبداً مع انتفاء الصدق، فكيف يكون الإذعان والتصديق بلا صدق؟ فمن دونه لا الإذعان إذعان ولا التصديق تصديق، وما نراه من سرّ ظهور الحالات النفاقية من أدعياء الإيمان إنّما لانتفاء الصدق في حياتهم، فإذا ما أردنا أن تتحقّق للإيمان واقعية في قلوبنا فلابدّ من الصدق، فهو علّة في تحقّق الإيمان وعلّة في إدامته.

التغيير ... أقسامه ومقوّماته

قيل بأنّ التغيير هو إحداث شيء لم يكن قبله، أي: هو انتقال الشيء من حالة مألوفة إلى حالة جديدة لم تكن مألوفة من قبل[٣]، والأفضل أن يُقال فيه بأنّه: عملية تحوّل من واقع غير مرغوب به إلى واقع جديد يمثّل الهدف والغاية، وهو يمثّل حالة إيجابية في حياة الإنسان ما دام يحقق انتقالة نوعية نحو الأفضل، وقد

---

(١) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٧٠.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٣ ح ٣، كتاب الإيمان والكفر.

(٣) انظر: التعريفات، للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): ص ٦٣، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، بيروت.

يكون التغيّر سلبياً فيما إذا وقع الانتقال فيه والتحوّل من واقع مرغوب فيه إلى واقع غير مرغوب فيه، سواء وقع ذلك بنحو الاختيار أو الاضطرار، وما نبحث فيه هو خصوص التغيير الإيجابي، الذي يشكّل هدفاً وغاية.

ونحن ما دمنا سائرين في دائرة السير والسلوك فلا غنى لنا عن واقعية التغيير، فالتغيير هو أحد الوسائل والطرق الأساسية الذي يضمن لنا إدامة حالة الرقي، ولا يمكن أن تكون للتغيير واقعية في حياتنا إلّا إذا كنّا صادقين في تحقيقه، ومتحرّرين من حالات التقوقع الموروثة، فالإنسان يميل إلى التغيير ولكنّه من الناحية العملية يجد نفسه منشدّاً نحو ماضيه؛ ربما لأنّه عارف بماضيه وجاهل بما سيكون عليه من جرّاء التغيير، فإذا ما استولى الخوف عليه فإنّه سوف يبقى قابعاً في تلك الدوائر المغلقة، ولذلك فإنّ التغيير على أهمّيته، بل وضرورته، فإنّه ليس من اليسير تحقيقه.

وأمّا أقسام التغيير فهي:

١ ـ التغيير التدريجي والتغيير الدفعي، وبالرغم من أنّ التغيير الدفعي يمثّل طفرةً وانجازاً كبيراً إلّا أنّه عادة ما يكون مصحوباً بالمخاطر والإخفاقات، بخلاف التغيير التدريجي فإنّه الأكثر ثباتاً وصموداً، كما يقال: قليل يقرّ خير من كثير يفرّ، فالتغيير تعليميّ، والتعليم غالباً ما يكون مقروناً بالتدريجية.

٢ ـ التغيير الصوري والتغيير الجذري، والمراد من الصوري هو الاتصاف بأشكال التغيير، من قبيل اقتصار التوبة على أداء الصلاة مع بقاء الكذب والبهتان والزور، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة، وأمّا التغيير الجذري فهو حصول إشراقة ربّانية نورانية في النفس تحرق كلّ جذور الانحراف، وتخمد كلّ ابتزاز للغرائز والأهواء، وتغلق أبواب الحنين للماضي الملوّث.

وأمّا مقوّمات التغيير فهي:

١ ـ الرغبة المنبثقة من داخل النفس ـ لا مجرّد التأثر العارض ـ والإرادة الصلبة، فتلك الرغبة العميقة والإرادة الصلبة تمنحان الإنسان طاقة وحيوية تساعده على تجاوز الإخفاقات المتوقّعة، وكلّما تعمّقت الرغبة في التغيير، والإرادة الصلبة في المواجهة والاستمرار، فذلك يساعد كثيراً على اتخاذ خطوات عملية نحو التغيير، وينبغي أن تحصل الرغبة في تغيير الصورة عن النفس، وأن تتولّد قناعة عميقة في أهمّية تغيير الصورة الداخلية عن النفس، والعمل على التخلّص من الصورة الماضوية من خلال التمسّك بالأمل وبخطوات العمل، وما لم يحصل تغيير في الصورة الداخلية للنفس فلا مصير للتغيير الخارجي، كما هو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد: ١١).

٢ ـ تحديد نقطة الانطلاق في التغيير، فليس من المنطقي أن تنطلق رحلة التغيير من دون تحديد ذلك، وإلّا سنقع في الفوضى، وهي عامل سريع على انطفاء جذوة التغيير، فإذا ما تمّ تحديد البداية فإنّنا نكون قد ضمنّا الانطلاقة الصحيحة.

٣ ـ لابدّ من تحمّل المسؤولية كاملةً في خطوات التغيير وملازماتها، وتحمّل هذه المسؤولية يكشف عن الثقة وقوّة الشخصية، كما أنّ التنصّل عن النتائج ـ مهما كانت ـ يكشف عن انعدام الثقة وضعف الشخصية، وإذا كان هنالك ضعف في الثقة والشخصية فلابدّ أن ينصبّ التغيير على بناء الثقة وتقوية الشخصية.

٤ ـ الواقعية في سقف التغيير، فلا يمكن للتغيير أن يتحقّق ضمن سقوف عالية، لاسيّما إذا كانت تلك السقوف فاقدة للإمكانيّات والمقوّمات، فالتغيير وإن كان له نوع مساس بالجانب الغيبي ولكنّه من الناحية العملية ليس غيبياً، بل التعاطي مع التغيير بنَفَسٍ أو نزعة غيبية سيُسقط عملية التغيير من الأساس.

٥ ـ العلم المنظور فيه الاصطلاح القرآني، وهو التفقّه في الدين، والعمل الموافق لمقتضى خطّة التغيير، فالعلم والعمل ترجمان التفوّق والنجاح.

٦ ـ المتابعة والمراقبة لكلّ خطوة من خطوات التغيير، فكلّ خطوة لم تكتمل رسومها سوف تؤثّر سلباً على الخطوات اللاحقة، بحسب الترتيب المنطقي لها.

التغيير في القرآن الكريم والسنّة الشريفة

ورد اصطلاح التغيير في موارد قليلة في القرآن الكريم، ومعظم هذه الموارد لا صلة لها بموضوع الدرس، إلّا في ثلاثة موارد، منها موردان متشابهان، وهي:

المورد الأوّل: هو قوله تعالى: ﴿**وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**﴾ (النساء: ١١٩)، حيث جاء بمعنى التحويل والتبديل، والآية مُشيرة إلى إغواء الشيطان لأتباعه.

المورد الثاني: هو قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الأنفال: ٥٣)، ولهذا المورد ارتباط وثيق بالدرس، حيث ترتبط بمورد التهديد، فالنعم التي أنعمها الله تعالى مشروطة بعدم الكفر بها، وإلّا فمصيرها الزوال، قال الشيخ الطوسي في تفسيره للآية: «الإشارة بقوله: (ذَلِكَ) إلى ما تقدّم ذكره من أخذ الله الكفّار بالعقاب، فكأنّه قال ذلك العقاب المدلول عليه، بأنّ الله لا يُغيّر النعمة إلى النقمة إلّا بتغيير النفس إلى الحال القبيحة»[1]، فكلّ نعمة مهدّدة بالزوال إلّا مع الشكر فهي باقية ونامية، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ (إبراهيم: ٧)، فالحذر الحذر من كفر النعمة.

المورد الثالث: هو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا**

---

(١) التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٤٠.

﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، وهو المورد الشبيه بالمورد السابق ولكنّه جاء بأسلوب الترغيب في قبال التهديد الآنف الذكر، فالآية السابقة تهدّد أصحاب النعم بزوالها إذا لم يصحبها الشكر، وهي سنّة إلهية جارية في الخلق أجمعين، وأمّا هذه الآية ـ التي تشتمل على سنّة إلهية أخرى جارية في الخلق ـ فإنّها تنبّه أصحاب الابتلاءات إلى أنّ طريق زوال ابتلائهم وتغيّر أحوالهم نحو الأفضل مشروط بتغيّر النفوس، فالنفوس متى ما تقاطعت مع الشرّ، وصدقت في ذلك، وشرعت في عملية التغيير، فإنّ الله تعالى كفيل بتبديل الحال إلى أحسن حالٍ، بمتمّمات تكوينية داخلة في نظامي التوفيق والبركة وفلسفتهما[1]، وهذه المتمّمات التكوينية مقترنة كمّاً ونوعاً بدرجات الصدق الذي يكون عليها الإنسان في عملية التغيير، والتناسب بين المتمّمات التكوينية والصدق يكون تناسباً طردياً.

وأمّا ما جاء في السنّة الشريفة، فعن أبي سعيد الخدري أنّه سمع رسول الله

---

(١) إنّ لنظامي التوفيق والبركة حديثاً طويلاً، لا يسع المقام بالتعرّض له، لِما له من أبعاد كثيرة، عقائدية وشرعية ومعنوية مؤثّرة في حياة الإنسان المؤمن، وقد جاء القرآن حافلاً بذكر موارد التوفيق وموارد البركة، حتى أنّه عندما جاء لتوصيفات القرآن فقد قرنه بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، ومدح الكعبة بالبركة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)، ومدح عيسى النبي عليه السلام بالبركة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾ (مريم: ٣١)، حتى أنّ نوحاً النبي عليه السلام طلب اقتران نزوله من السفينة ـ بعد الطوفان ـ بالبركة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (المؤمنون: ٢٩)، فضلاً عن توصيف ليلة القدر بالمباركة، وتوصيف المطر بالبركة، وغير ذلك من موارد ذكر البركة، نكتفي بهذه الإشارة، تاركين التفصيل فيها إلى بيانات خاصة بموضوعة التوفيق والبركة في الحلقة الأخيرة من سلسلة الأخلاق التعليمية. منه (دام ظلّه).

صلّى الله عليه وآله يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الأيمان**»[(١)]، والحديث صريح في أهمّية مقارعة المنكر، والمنكر ما أنكره العقل والشرع والعقلاء.

وهكذا نلاحظ أنّ القرآن الكريم والسنّة الشريفة قد حثّا على اتخاذ سنّة التغيير طريقاً واضحاً في مواجهة الظلم والمنكر والتخلّف عن الكمال المطلوب.

علاقة الصدق بالتغيير

وبمراجعة سريعة لمعنى التغيير وواقعيّته وأقسامه ومقوّماته يتّضح وجه العلاقة الصميمية بينه وبين الصدق، فالتغيير يبدأ برغبة جامحة، ثمّ يصطدم بالواقع الصعب، ثمّ تتبيّن واقعيّته من خلال المواجهة والإصرار، وهذا كلّه لا يكون إلّا إذا كان قائماً على أرضيّة صلبة، وهي الصدق، فالإنسان الصادق هو الأسرع والأفضل في تحقيق أهدافه، وقد قلنا بأنّ الرغبة المنبثقة من داخل النفس تمنح الإنسان طاقة وحيوية تساعده على تجاوز الإخفاقات المتوقّعة، وهذه هي من أولويات الصدق مع النفس، فهنالك جدلية وارتباط وثيق بين الصدق والتغيير، فالصدق هو مفتاح التغيير الحقيقي والإيجابي.

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٣ ص ٤٩؛ ج ٣ ص ٩٢؛ صحيح مسلم، مصدر سابق؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٣٣٠ ح ٤٠١٣. وجاء ما هو قريب عن الإمام الحسن العسكري عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث طويل: «**من رأى منكم منكراً فلينكر بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنّه لذلك كاره**». وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ الفقيه المحدّث محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤هـ): ج١٦ ص ١٣٤ ح١٢، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدّسة.

النزعة الماضوية أكبر معوّقات التغيير

تقدّمت بعض الإشارات إلى هيمنة الماضوية أو غلبتها على تفكير الإنسان وسلوكه[١]، وهذا ما ينبغي الالتفات له والحذر منه، فالتغيير مسألة أساسية في السير والسلوك، وما لم نتعاطَ بجدّية مع ذلك الانسياق الموروث نحو ما ألفناه وما اعتدناه، والذي صار الخروج عليه ضرباً من المجازفة، فإنّنا سنكون كقريش في مواجهتها للحقّ، فقد كانت قريش تواجه التغيير نحو ما هو الأفضل بتمسّكها بتراث الآباء؛ قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾ (البقرة: ١٧٠)، يقولون ذلك رغم علمهم المسبق بأنّهم وآباءهم كانوا قوم جاهلية، وأنّهم لم يكونوا من المهتدين، وإنّما قالوه بدافع من تلك الحاكمية الموروثة، والنزعة الاستصحابية، ولذا فما نريد توثيقه وتأكيده هو ضرورة الحذر والتوقّي من ذلك الانسياق الماضوي، فإنّه من أشدّ المعوّقات التي تواجه عملية التغيير.

التغيير إرادة وعلم وعمل

وخلاصة التغيير هو تضافر الإرادة الصلبة، والعلم بالمصالح والمفاسد في حدود الظاهر، والعمل وفق نظام يقتضيه التغيير المطلوب، فالتغيير ليس مجرّد أمنية، وليس مجرّد معلومات مستفادة، ولا مجرّد عمل غير مسبوق بإرادة واقعية وعلم منظور فيه الاصطلاح القرآني (التفقه في الدين)، فإذا ما اجتمعت هذه

---

(١) تعرّض السيد الأستاذ (دام ظلّه) إلى هذه القضية الخطيرة التي يعاني منها الإنسان والمجتمعات، وذلك في مشروعه الإصلاحي، في جزئه الأول (الموروث الروائي بين النشأة والتأثير)، وبيّن هنالك مدى هيمنة الماضوية على التفكير والسلوك، وكيف أنّها قد وقفت حائلاً أمام حاكمية إسلام محورية القرآن، وحوّلت الوجهة إلى إسلام محورية الحديث.

الأركان الثلاثة ـ والتي جاء عرضها في مقوّمات التغيير ـ فإنّنا سنكون على ثقة كبيرة من حصول التغيير الإيجابي، كما سنكون على ثقة كبيرة من التحقّق بأعلى مراتب الصدق المطلوب، فالصدق جادّة التغيير، والتغيير جادّة الوصول إلى أعلى وأرفع مراتب الصدق، وهذا هو المطلوب.

علاقة الصدق بالمشاعر والعواطف

إنّ طبيعة العلاقات الأسرية والاجتماعية ليست رقمية جوفاء، وإنّما هي وشائج قائمة على الأحاسيس والمشاعر والعواطف، وهذه المشاعر والعواطف ليست بذي اعتبار من دون الصدق، سواء كانت مشاعر حبّ، أو تقدير، أو احترام، أو أيّة مشاعر إنسانية أخرى، والإنسان قادر على إيهام المقابل بالمشاعر والعواطف الكاذبة أو غير الواقعية، من باب المراوغة أو من باب المداراة، وهذا النوع من المشاعر، بقطع النظر عن شرعيّته وأخلاقياته، فاقد لمصداقيته بفقدان واقعية الصدق فيه، وقد تكتنز المداراة مشاعر صادقة بشكل عامّ، أعني المشاعر الإنسانية المشتركة غير الموجّهة لأحد مُعيّن، وما نحن فيه هو خصوص المشاعر الخاصّة الموجّهة، وهذه المشاعر الصادقة تنعكس بصورة واقعية في الأقوال والأفعال ومطلق الأعمال، ومتى ما وجدنا هذه المشاعر تمسّ شغاف القلب وتتناغم مع الوجدان فذلك كاشف عن درجات الصدق، فالصدق مفتاح القلوب كما أنّ القلوب حواضن الصدق.

علاقة المشاعر بالتغيير

المشاعر هي وقود التغيير، وإذا ما كانت المشاعر صادقة فرحلة التغيير نحو الأفضل في السير والسلوك سوف تُحقّق أهدافها، ولذلك علينا أن نتحقّق كثيراً من مشاعرنا، وقد نبّهنا آنفاً إلى علاقة الصدق بالتغيير، وهكذا تتبيّن خطوط

الارتباط الوثيق بين الصدق والمشاعر والتغيير، وبالقدر الذي نحقّق فيه واقعية الصدق نكون قد حقّقنا أسمى المشاعر، وبتحقيق أسمى المشاعر نكون قد هيّأنا أهمّ مقتضيات نجاح عملية التغيير، وإذا ما أردنا أن نتحرّى مجموعة الإخفاقات المتوقّعة في رحلة التغيير فإنّنا سنجد أنّ جملة منها ترتبط بثنائية الصدق والمشاعر، فتكون هذه الثنائية مرصداً للكشف عن خلفيات الإخفاقات المتوقّعة.

كلمات على الطريق

- قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (آل عمران: ٣١)، فدعوى الحب لله تعالى لا تثبت إلّا بالطاعة والمتابعة والعمل، وهذا ما يقتضي منّا التغيير، حيث الخروج من معصيته إلى طاعته، ومن الانقطاع عنه إلى متابعته، ومن الادّعاء إلى العمل، والتغيير يقتضي الصدق في المشاعر، وعندئذٍ تتحقّق واقعية الحبّ الموجبة للمبادلة بالمثل والعفو والمغفرة.
- في خطبة لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «**أيّها الناس اعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسومٌ مضمونٌ لكم، قد قسمه عادلٌ بينكم، وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزونٌ عند أهله، وقد أُمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه**»[1]، فالعلم شريف، ولكنّ المقام الأشرف هو العمل به، والعلم والعمل هما خلاصة الدين القيّم.
- عن النبي عيسى عليه السلام أنّه قال: «**بحقٍّ أقول لكم: إنّ الزرع لا يصلح إلّا بالماء والتراب، كذلك الإيمان لا يصلح إلّا بالعلم والعمل**»[2]،

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٠ ح ٤.

(٢) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٥١٢.

والعلم مشير إلى الماء الذي فيه الحياة، والعمل مُشير إلى التراب الذي بـه يتحقّق الاستقرار، استقرار العلم واستقرار الإيمان.

خلاصة الدرس

- الإيمان إذعان إلى الحقّ وتصديق به، ولابدّ فيه من تحقّق نوع من الالتزام بمقتضى العلم وعقد القلب عليه وترتّب الآثار عليه.
- الإيمان الإذعاني لا يستقيم مع انتفـاء الـصدق، ومـا نـراه مـن حـالات نفاقية لأدعياء الإيمان إنّما لانتفاء الصدق في حياتهم.
- التغيير عملية تحوّل من واقع غـير مرغـوب بـه إلى واقـع جديـد يمثّـل الهدف والغايـة، وهـو حالـة إيجابيـة مـا دام يحقّـق إنتقالـة نوعيـة نحـو الأفضل.
- لا يمكن أن تكون للتغيير واقعية في حياتنا إلّا إذا كنّا صادقين في تحقيقه، ومتحرّرين من حالات التقوقع الموروثة.
- للتغيير أقسام، منها: التغييـــر التدريجـــي والتغيـير الـدفعي، والتغييـــر الصوري والتغيير الجـذري.
- التغيير الجذري هو حصول إشراقة ربّانية نورانية في النفس تحرق جذور الانحراف، وتخمد ابتزاز الأهواء، وتغلق أبواب الحنين للماضي الملوّث.
- مقوّمات التغيير كثيرة، منها: الرغبة المنبثقة من داخل الـنفس، والإرادة الصلبة، وتحديد نقطة الانطلاق، وتحمّل المـسؤولية كاملـة في خطـوات التغيير وملازماتها، والواقعية في سقف التغيير، والتفقّه في الدين.
- التغيير يبدأ برغبة جامحة، ثمّ يصطدم بواقع صعب، ثمّ تتبيّن واقعيته من خلال المواجهة والإصرار.
- تعرّض القرآن لسنّة التغيير، بتوظيف لها في أسلوبي الترهيب والترغيب.

- المتمّمات التكوينية لسنّة التغيير لها علاقة وثيقة بنظامي التوفيق والبركة، وبقدر صدق الإنسان تكون تلك المتمّمات حاضرة.
- ما لم نتعاطَ بجدّية مع الانسياق الموروث نحو ما ألفناه، سيكون مصيرنا كمصير قريش في مواجهتها للحقّ، حيث تركوه وتمسّكوا بتراث آبائهم الذين: ﴿**لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾.
- خلاصة التغيير تكمن في تضافر الإرادة الصلبة، والعلم بالمصالح والمفاسد في حدود الظاهر، والعمل وفق نظام يقتضيه التغيير المطلوب.
- التغيير ليس أمنية، أو معلومات مستفادة، أو عمل غير مسبوق بإرادة واقعية وتفقه في الدين، وإنّما اجتماع هذه الأركان الثلاثة.
- طبيعة العلاقات الأسرية والاجتماعية ليست رقمية جوفاء، وإنّما هي وشائج قائمة على الأحاسيس والمشاعر والعواطف.
- المشاعر والعواطف ليست بذات اعتبار من دون الصدق، والمشاعر المزيّفة فاقدة لمصداقيتها بفقدان واقعية الصدق فيها.
- المداراة قد تكتنز مشاعر إنسانية صادقة بشكل عامّ، ولكنّها تبقى مشاعر غير موجّهة لأحد بعينه.
- متى ما مسّت المشاعر شغاف القلب ومنطقة الوجدان فذلك كاشف عن تلبّسها بالصدق، فالصدق مفتاح القلوب، كما أنّ القلوب حواضن الصدق.
- المشاعر وقود التغيير، فإذا صدقت فرحلة التغيير سوف تُحقّق أهدافها.
- إذا ما تحرّينا الإخفاقات المتوقّعة في رحلة التغيير سنجد جملة منها مرتبطة بثنائية الصدق والمشاعر، فتكون هذه الثنائية مرصداً للكشف عن خلفيات الإخفاقات المتوقّعة.

مذاكرة

- ما هو الإيمان؟ وهل يكفي فيه العلم لتحصيله؟
- هل يجتمع الإيمان الإذعاني مع انتفاء الصدق؟ وضّح ذلك.
- ما هو التغيير؟ ومتى تكون له واقعية في حياتنا؟
- ما هي أقسام التغيير؟ وهل يمكن تقديم مقارنة بينها؟
- ما هو التغيير الجذري؟ وما علاقته بإغلاق أبواب الحنين للماضي الملوّث؟
- ما هي مقوّمات التغيير؟
- ما هو المقصود من الواقعية في سقف التغيير؟
- ما هي الموارد المتشابهة التي وردت في القرآن الكريم لاصطلاح التغيير؟ وما علاقتها بأسلوبي الترغيب والترهيب؟
- ماذا نعني بالمتمّمات التكوينية في سنّة التغيير؟ وما هي علاقتها بنظامي التوفيق والبركة؟
- ما هو مصير من لم يتعاطَ بجدّية مع الانسياق الموروث نحو ما ألفناه؟
- ما هي خلاصة التغيير؟
- ماذا نعني بقولنا إنّ طبيعة العلاقات الأسرية والاجتماعية ليست رقمية؟
- لماذا تكون المشاعر المزيّفة فاقدة لمصداقيتها؟
- ما هو نوع المشاعر التي يمكن للمداراة اكتنازها؟
- كيف لنا أن نكتشف أنّ مشاعرنا متلبّسة بالصدق؟
- ماذا نعني بقولنا: إنّ المشاعر هي وقود التغيير؟
- ما علاقة الإخفاقات المتوقّعة في رحلة التغيير بثنائية الصدق والمشاعر؟ وماذا نعني بكون هذه الثنائية مرصداً؟ ولأي شيء تكون كذلك؟

الدرس السابع

علاقة الصدق بالإصلاح والنصر والمستقبل

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى الإصلاح وشروطه وأقسامه
- علاقة الصدق بالإصلاح
  - ✓ الإصلاح في النصوص القرآنية وعلاقته بالصدق
- العلاقة بين التغيير والإصلاح
- علاقة الصدق بالنصر
  - ✓ معنى النصر وشروطه
  - ✓ بيان العلاقة
- علاقة الصدق بالمستقبل
  - ✓ المستقبل وأقسامه
  - ✓ بيان العلاقة
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان معنى الإصلاح وشروطه وأقسامه، وعلاقة ذلك بالصدق
- تصوير الإصلاح في النصوص القرآنية وعلاقته بالصدق
- تصوير العلاقة بين التغيير والإصلاح
- بيان معنى النصر وشروطه وعلاقة ذلك بالصدق
- بيان معنى المستقبل وأقسامه وعلاقة ذلك بالصدق

تمهيد

بعد أن انتهينا من عرض بيانات الإيمان والتغيير والمشاعر وعلاقة ذلك كلّه بالصدق، ننتهي إلى درس مُكمّل يتعلّق بعلاقة الصدق بالإصلاح والنصر والمستقبل، حيث نحتاج في ذلك إلى بيان معنى الإصلاح وشروطه الأساسية، وأقسامه الأربعة، ثمّ الكشف عن علاقة ذلك كلّه بالصدق، وهذا ما يستدعي منّا أن نقدّم تصويراً للإصلاح في النصوص القرآنية وعلاقته أيضاً بالصدق، لنعقد نوعاً من المقابلة والمقارنة بين التغيير والإصلاح، ثمّ نستعرض نفس الطرق الفنّية في بيانات الإصلاح في بيانات النصر والمستقبل وربطها بموضوعة الصدق.

معنى الإصلاح وشروطه وأقسامه

الإصلاح: قيل بأنّه التغيير، والتغيير يعني الإزالة والوضع، وقيل هو إزالة الفساد، فيُقال: أزال فساده، أي: رتَّبه ونظَّمه، ضدّ إفساده أو بقاء فساده، ولكنّ هذا هو معناه اللغوي، وقيل: إنّه استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل[1].

---

(١) انظر: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيّوب بن موسى

وقيل بأنّه: إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزاء ما طرأ عليه من فساد(١)، في حين يرى الطبري أنّ الإصلاح هو ما ينبغي فعله، ممّا فعله منفعة، وتركه مضرّة، بسبب الإفساد(٢)، وقيل غير ذلك، ولذلك الأنسب أن يُقال عنه بأنّه الثورة على الجهل والفساد والتخلّف عن الكمال المطلوب، وذلك من خلال الاستعانة بالإرادة والعلم، فلا إصلاح بلا إرادة، ولا إصلاح بلا علم، سواء كان الإصلاح في المجالات المعرفية أو المعنوية، كما لابدّ لقاصد الإصلاح من الشعور بالاستقلال في القرار والتنفيذ، ولذلك يصحّ القول بأنّ الإصلاح في كلّ مجالاته يتوقّف على ثلاثة شروط ضرورية، وهي:

الأوّل: الإرادة الفعلية الصلبة التي تساعدنا على الخروج من الواقع المرير، ومن دون هذه الإرادة الصلبة لن نتقدَّم خطوة واحدة.

الثاني: الاستقلال الفكري في اتخاذ القرار، والاستقلال في التنفيذ، فلا يخضع لضغوطات تتنافى مع خطّة الإصلاح إلّا بقدر الضرورة المفروضة؛ فإنّ الاستجابة للضغوطات يفسح المجال لتواليها وعدم انتهائها، وستخلق مناخاً من الضبابية والتراجع، حتى ينتهي الأمر إلى النكوص والإحباط، وهذا ما ينبغي الحذر منه، بل وما لا ينبغي حصوله، والتوقّي منه هدف عقلائيّ، وكما قيل بأنّ الوقاية خير من العلاج، فالوقاية يسيرة وقصيرة الأمد، بخلاف العلاج فهو صعب وطويل الأمد، ولذلك نجد الإصلاح ـ بشكل عامّ ـ ليس يسيراً،

الحسيني الكفوي: ج ١ ص ٥٦١، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت.

(١) انظر: مجالس التذكير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي: ص ٧٣، تحقيق وتعليق: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، بيروت.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ج ١ ص٧٥، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، نشر: دار الفكر،الطبعة ١٤١٥ هـ، بيروت.

بخلاف الإفساد فإنّه سريع التحقّق وقريب المنال.

الثالث: الاعتماد على مناهج علمية وأدوات معرفية تضمن لنا السير على بصيرة، وإلّا فلن تزيدنا السرعة في تحقيق الإصلاح إلّا بعداً عن الهدف، كما أُشير لذلك في حديث شريف[1]، فالأدوات المعرفية تضبط النتائج، وتختصر الوقت والجهد، وتجعلنا على تماسّ من النجاح والواقعية.

ثمّ إنّ الإصلاح لا ينحصر في موارد مناهضة الفاسد، فذلك وإن كان أبرز الموارد إلّا أنّ هنالك موارد كثيرة تتعلّق بحالات الركود وعدم الاستفادة من الإمكانيّات المتاحة، وبعبارة أخرى: إنّ كلّ مورد لا نصل فيه إلى الكمال المطلوب فإنّه يحتاج إلى مراجعة وإصلاح، سواء كان مشتملاً على فسادٍ أو لم يكن مشتملاً، إلّا أنّ المورد المشتمل على فساد ظاهر يستحقّ منّا اهتماماً أكبر وعناية أشدّ، ومع ذلك ينبغي أن نضع في خطّة الإصلاح والتغيير جميع الموارد التي تخلّفنا فيها ولم نبلغ فيها الكمال المطلوب، مع لحاظ الأولويات في المواجهة والمعالجات.

وأمّا أقسام الإصلاح فمنها:

أوّلاً: الإصلاح الجزئي والإصلاح الكلّي.

ثانياً: الإصلاح المؤقّت والإصلاح الدائم.

وبين هذه الثنائيات نخرج بأربعة أقسام، وهي: إصلاح جزئيّ مؤقّت،

---

(١) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلّا بُعداً**». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٣ ح ١؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٠١ ح ٥٨٦٤؛ المحاسن، مصدر سابق: ج ١ ص ١٩٨ ح ٢٤؛ الأمالي، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان: ص ٤٢ ح١١، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤٠٣هـ.

وإصلاح جزئيّ دائم، وإصلاح كلّي مؤقّت، وإصلاح كلّي دائم، وجميع هذه الأقسام مقيّدة بشروطها وظروفها الموضوعية، ولكن كلّما كان الإصلاح كلّياً ودائمياً كان هو الأفضل والأصلح، فالحلول الجزئية والمؤقّتة تنفع على مستوى التكتيك ـ تقدّم معناه ـ ولا تنفع على مستوى الإستراتيجية ـ تقدّم معناها ـ كما أنّ الحلول الجزئية عادة ما تكشف عن حالة من الغموض في الموقف، وعن نزعة هروب مستحكمة، بخلاف الحلول الإستراتيجية فإنّها تكشف عن وضوح في الموقف ومواجهة شجاعة وصريحة، ولو لاحظنا سيرة الأنبياء عليهم السلام في أعمالهم الإصلاحية نجدهم يركّزون دائماً على الإصلاح الكلّي والدائم، لأنّهم في الغالب يأتون بحلول جذرية، وإذا ما لاحظنا بعض الحلول الجزئية في مسيرتهم فذلك ما تفرضه الظروف الموضوعية عليهم، فيستجيبون لذلك بقدر الحاجة والضرورة؛ لأنّها حلول لا موضوعية لها في خططهم الإلهية القائمة على الانتفاضة على جميع أشكال الفساد والتخلّف عن الكمال المطلوب، وهذه هي خلاصة رسالتهم في التبليغ والتنفيذ، معتمدين على التوفيق الإلهي، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)، وفي هذه الآية نكتة لطيفة، تكمن في التعبير بجملة (مَا اسْتَطَعْتُ)، التي تعني بذل قصارى الجهد في العمل الإصلاحي، وهذا ما يكشف عن التوجّه التامّ والتركيز الشديد على عملهم الإصلاحي، حتى يكاد أن ينحصر توجّههم وتركيزهم على الإصلاح حصراً.

علاقة الصدق بالإصلاح

في مجموعة الأقسام الآنفة للإصلاح المطلوب، والوصول إلى الكمال المفقود، نجد أنّ الصدق هو الأداة الأساسية التي تفعّل الإصلاح، كما أنّ الشروط المنظورة فيه لابدّ أن تكتنز في رحمها واقعية الصدق، لاسيّما في شرطي

(الإرادة الفعلية الصلبة)، و (الاستقلال الفكري في اتخاذ القرار والتنفيذ)، وإذا ما انعدم الصدق، أو أنّه سجّل حضوراً ضعيفاً، فإنّ النتيجة الحتمية هي تقويض عملية الإصلاح، لاسيّما الإصلاح الجزئي أو المؤقّت؛ لأنّهما ضعيفان في الأصل فكيف إذا خليا من الصدق؟ ولا توجد فيهما فرصة للتدارك، بخلاف الإصلاح الكلّي أو الدائمي، فإنّهما بطبعهما يُوفّران فرص التدارك والإصلاح الداخلي، فإذا وقع التدارك مضت عملية الإصلاح، وإلّا تهاوت عملية الإصلاح ولو بعد حين.

الإصلاح في النصوص القرآنية وعلاقته بالصدق

ما نلاحظه في العرض القرآني للإصلاح أنّه يقرنه بعدّة أمور، وهي كالتالي:

الأمر الأوّل: التمهيد الأدنى للإصلاح بالتوبة، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ**﴾ (المائدة: ٣٩)، فتقديم التوبة من العبد الخاطئ، وقبول التوبة منه مشروط بالإصلاح؛ كما جاء في جملة الشرط: (فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ)، حيث الاقتران بين التوبة والإصلاح، لكي يتحقّق ما جاء في جملة جواب الشرط: (فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ)، وهو قبول التوبة، ويتأكّد هذا المعنى اللطيف في قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (الأنعام: ٥٤).

الأمر الثاني: التمهيد الأعلى للإصلاح بالتقوى، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (الأعراف: ٣٥).

الأمر الثالث: التمهيد الأسمى للإصلاح بالعفو، قال تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ (الشورى: ٤٠).

الأمر الرابع: اقتران الإصلاح ببذل قصارى الجهد، وقرن الإصلاح بالتوفيق الإلهي، قال تعالى: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ**

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨)، وقد تقدّمت الإشارة إلى نكتة التعبير بجملة (مَا اسْتَطَعْتُ).

ولو لاحظنا هذه الأمور الأربعة (التوبة المقرونة بالإصلاح)، و (التقوى المقرونة بالإصلاح)، و (العفو المقرون بالإصلاح)، و (الإصلاح المقرون ببذل قصارى الجهد)، و (المقرون بتوفيق الله تعالى)، نجد أنّ حضور الصدق أمر أساسي ولابدّ منه، فالتوبة غير المقرونة بالصدق ليست توبةً نصوحاً، والتقوى لا يمكن تصوّرها من غير الصدق، والعفو كاشف عن مساحات كبيرة من الصدق مع القيم الكُبرى، وأمّا بذل قصارى الجهد والاعتماد على الله تعالى وتوفيقه فذلك ترجمة عملية لأرقى وأسمى مراتب الصدق.

العلاقة بين التغيير والإصلاح

مرّ بنا في الدرس السابق بيانات حول التغيير، وفي هذا الدرس بيانات حول الإصلاح، ونظراً لوجود مقدار كبير من التشابه ـ قد يصل إلى حدّ الترادف ـ بين التغيير والإصلاح، فقد ناسب أن نلاحظ العلاقة والارتباط بين التغيير والإصلاح، فإنّ الإصلاح هو تغيير بشكل وآخر، وأمّا التغيير فإن كان إيجابياً فهو إصلاح أيضاً، وأمّا إذا كان سلبياً فهو إفساد، والإفساد ضدّ الإصلاح، ولذلك تكون النسبة المنطقية بينهما هي نسبة العموم والخصوص المطلق، فكلّ إصلاح هو تغيير، وبعض التغيير إصلاح، ولا مانع من استعمال أحدهما في مكان الآخر إذا أُريد من التغيير المعنى الإيجابي، ولعلّ اصطلاح التغيير هو الأكثر قبولاً من اصطلاح الإصلاح؛ لأنّ الإصلاح غالباً ما يُوهم بوجود فساد سابق، فيكون اللاجئ له مقرّاً بوقوع فسادٍ منه، في حين أنّ الإصلاح ـ كما قدّمنا ـ لا يقتصر على حالات الفساد، وإنّما هو شامل لكلّ مورد وقع فيه نحو من التخلّف عن الكمال المطلوب، وأمّا التغيير فلا يُوحي بوجود فساد سابق، وإنّما

هو انتقال وتحوّل وتبدّل، وهذه المقبولية لا تجعل اصطلاح التغيير متقدّماً على اصطلاح الإصلاح إلّا في كثرة الاستعمال، وأمّا من حيث قوّة المضمون وواقعيته فالتقدّم للإصلاح على التغيير، فالتغيير قد يُوحي بالانقلاب الجذري، فالتغيير هو إبدال شيء بشيء آخر، في حين أنّ الإصلاح لا يشتمل على هذا المعنى الراديكالي (التغيّر الجذري)، وإنّما يشتمل على معنى إصلاح مناطق الضعف والقصور في الشيء نفسه، ولذلك نجد القرآن يستعمل اصطلاح الإصلاح في مساحات أكبر وأكثر بكثير من استعماله لاصطلاح التغيير؛ ولعلّ السرّ في ذلك هو أنّ القرآن اشتمل على انتفاضة عارمة ضدّ الفساد المستشري في عصره وفي كلّ عصر، مع اشتغاله على مناطق الفطرة ومقتضياتها المشتركة مع تعاليم الإسلام، والقيم الإنسانية العليا المشتركة، التي لم ينسلخ منها الإنسان، فيكون استعماله لاصطلاح الإصلاح أكثر واقعية من التغيير.

وعلى أيّ حال فإنّ العلاقة بين التغيير الإيجابي والإصلاح علاقة وثيقة، وما دام الهدف منهما واحداً أو متقارباً فإنّه لأحدهما دلالة على الآخر بالقدر الممكن.

علاقة الصدق بالنصر

معنى النصر وشروطه

النصر هو تحقيق الغلبة على الخصم، فإذا كانت المواجهة بين الإنسان ونفسه أُطلق عليها روائيّاً بالجهاد الأكبر، وإذا كانت المواجهة بين الإنسان وخصم له من جنسه، وكان الصراع بينهما مثالاً للصراع بين الحقّ والباطل فالمواجهة بالنسبة لصاحب الحقّ يُطلق عليها روائياً بالجهاد الأصغر، والغلبة في كلا الأمرين تعني النصر، ولا نصر أشرف وأولى من الانتصار على النفس، وسواء كانت المواجهة جهاداً أكبر أم كانت جهاداً أصغر، فإنّ للنصر فيها شروطاً لابدّ من توفّرها، وهي:

الشرط الأوّل: الثقة بالنفس وبالقضية المُتبنّاة، فانعدام الثقة سوف يخلق شخصية انهزامية تسقط في أيسر المواجهات، والشخصية الانهزامية لا تعرف طعماً للنصر، ولا تنسجم مع متطلّباته، بل لا تفكّر في تحصيل ذلك.

الشرط الثاني: توفير العدّة والعدد، فالنصر ليس غيبيّاً محضاً، وإنّما له أسباب واقعية ومنطقية، وهذا ما نكتشفه من قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ (الأنفال: ٦٠).

الشرط الثالث: الصبر والثبات ورباطة الجأش، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، وقد قال الإمام علي عليه السلام في ذلك: «**لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان**»[١]، وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله في وصيّة منه إلى الفضل بن العباس: «**فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر** ـ أي: فاصطبر ـ **فإنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أنّ النصر مع الصبر**»[٢].

ونعم ما قيل من أنّ حلاوة النصر والظفر تمحو مرارة الصبر[٣].

الشرط الرابع: الاعتقاد الراسخ بالمدّ الإلهي، فالانقطاع عن الله تعالى سبب

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٠ رقم: (١٥٣).

(٢) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤١٢ ح ٥٩٠٠؛ أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٦٧٥ ح ٣؛ المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٤٢؛ كتاب السنّة، عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني (ت: ٢٨٧ هـ): ص ١٣٧ ح ٣١٥، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ، بيروت؛ المعجم الكبير، مصدر سابق: ج١١ ص ١٠٠.

(٣) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «**حلاوة الظفر تمحو مرارة الصبر**». عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي: ص ٢٣٢، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، نشر: دار الحديث، الطبعة الأُولى، ١٩٩٧م، قم.

للفشل الذريع، ولو بعد حين، بخلاف الاتصال بـه تعـالى فإنّـه مقـتضٍ للنـصر والغلبة، ولو بعد حين، فالنصر الواقعي هـو النـصر الإلهـي، قـال تعـالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ١٢٦).

الشرط الخامس: وجود القيادة الحكيمة المؤمنة بنصر الله، ومتى مـا تـوفّرت مثل هذه القيادة وجبت طاعتها، فإنّ معصيتها ستؤدّي إلى هزيمة كبيرة وخسارة فادحة، وأمامنا شاهد تاريخيّ فيما حـصل في معركـة أُحـد، عنـدما تـرك الرمـاة الجبل، متهافتين على حطام الدنيا، فتحوّل النصر المؤزّر إلى هزيمة وخسارة.

الشرط السادس: احترام الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها عـلى الـصغير والكبير، وعلى القادة والجند، فلا يُـستثنى منهـا أحـد، فالـشريعة هـي القـوانين الإلهية، والقانون كما يقال فوق الجميع، فإذا ما أُحلّ الحرام، وحُرّم الحال، فالأمّة سائرة إلى الهزيمة والشتات والضياع[1].

جدير بالذكر أنّ هنالك أسباباً أخرى للنصر، عزفنا عن ذكرهـا والتفـصيل فيها؛ رعاية للاختصار، من قبيل: قصد وجـه الله تعـالى والانتـصار لـه، فـما دام

(١) روى الطبرى حادثة عن ملك الصين فيها حكمة بالغة، جاء فيها: أنّ يزدجرد ـ ملك الفرس ـ قد أرسل إلى ملك الصين، يطلب منه العون والنجدة بعد هزيمته أمام المسلمين في معركة (نهاوند)، فقال ملك الصين لرسول يزدجرد: قد عرفتُ أن حقّاً على الملوك إنجاد الملوك على مَن غلبهم، فصِفْ لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم، فقال رسول يزدجرد: سلني عمَّا أحببت، فقال ملك الصين: أيوفون بالعهد؟ فأجاب رسول يزدجرد: نعم. ثم انطلق الملك يسأل والرسول يجيب، فكان ممّا سأله: أيحرِّمون ما حُلِّل لهم، أو يُحلّون ما حرِّم عليهم؟ فقال رسول يزدجرد: لا. فقال ملك الصين: فإنّ هؤلاء القوم لا يهلكون أبداً حتى يحلُّوا حرامهم، ويحرّموا حلالهم. انظر: تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ): ج ٣ ص٢٤٩، تحقيق: نخبة من العلماء، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت.

النصر من الله تعالى فلابدّ أن يكون الانتصار له والجهاد في سبيله.

بيان علاقة الصدق بالنصر

والآن لو تفحصنا أسباب النصر سنجد أن معظمها وأهمّها تكتنز واقعية الصدق، بمعنى أنّها ستكون فاقدة التأثير تماماً إذا ما خلت من واقعية الصدق، فالصبر والثبات ورباطة الجأش، لا يمكن أن تكون لها واقعية من دون الصدق، وأمّا الاعتقاد الراسخ بالمدّ الإلهي فلا يمكن أن يتحقّق منه شيء من غير الصدق، وهكذا في تحقيق الطاعة للقيادة الحكيمة المؤمنة، وإذا ما حصلت أخطاء فادحة فلابدّ أوّلاً من مواجهة النفس؛ للكشف عن واقعية الصدق فيها، فمن خلال هذه الواقعية سوف تتكشّف أمامنا نقاط الضعف الحقيقية في أيّ سبب من أسباب النصر التي كانت وراء الهزيمة بشكل مباشر، بمعنى أنّنا لو وقفنا وقفة صادقة مع أنفسنا عند عدم تحقّق النصر، فسوف نرصد بسهولةٍ الخلفيات الحقيقية للهزيمة، وسوف يساعدنا هذا الكشف الصحيح والصريح على المبادرة إلى العلاجات المناسبة.

علاقة الصدق بالمستقبل

المستقبل وأقسامه

يُطلق عنوان المستقبل ويُراد به ما سيقع في قابل الأيام، ويمكن تقسيمه إلى:

أوّلاً: المستقبل القريب (التكتيك)، والتكتيك هو الخطّة العملية الموضوعة لزمن قصير، كما هو الحال في جميع المشاريع التي يتمّ تنفيذها ضمن أمدٍ معيّن، أو هو إجراء محدّد يتخّذ لتحقيق هدف معيّن.

ثانياً: المستقبل البعيد (الإستراتيجية)، والإستراتيجية هي الخطّة العملية الموضوعة لزمن بعيد، ولا تخضع للتغيير إلّا في حدود معيّنة، فالإستراتيجية

تشتمل على خطّة شاملة، بخلاف التكتيك فهو خطّة جزئية ضمن حدود معيّنة، ومن هنا قيل: بالتكتيك تربح معركة، وبالإستراتيجية تربح الحرب، والحرب هي مجموعة معارك صغيرة، وهكذا تكون مواجهتنا مع النفس، أو ما يسمّى بالجهاد الأكبر، فهي مواجهة مستمرة، ولابدّ لها من إستراتيجية واضحة وثابتة، كما لابدّ من خطط تكتيكية تتشكّل منها الخطّة الإستراتيجية.

ثالثاً: المستقبل الأبعد (الخلود)، والخلود هو الخاتمة النهائية التي لا يُتصوّر بعدها شيء، كما هو الحال في السعادة الأخروية الأبدية، وخواصّ النعيم في الجنّة الذي لا انقضاء له، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ (هود: ١٠٨).

ولو أخذنا مثالاً عملياً يُقرّب لنا المستقبل بأقسامه الثلاثة وباصطلاحاته المختلفة، وهو مثال طالب العلم، فقد يكون هدفه من طلبه للعلم هو الوصول للاجتهاد، فيكون طلبه للعلم تكتيكاً وملحوظاً في المستقبل القريب، وقد يكون في طلبه للعلم ناظراً للقاعدة القرآنية، وهي الخروج من الظلمات إلى النور، فيكون طلبه استراتيجياً بعيد الأمد، وهو المستقبل البعيد، وقد يكون في طلبه للعلم ناظراً للأجر والثواب والجنّة والرضوان، فيكون طلبه داخلاً في الخلود، وهو المستقبل الأبعد، ولا مانع من الجمع بين هذه المقاصد الثلاثة، فيكون المقصود من طلبه للعلم المستقبل القريب والبعيد والأبعد.

بيان علاقة الصدق بالمستقبل

حيث إنّ المستقبل ـ كما يرى سيّدنا الأستاذ الشهيد الصدر (رحمه الله) ـ هو الذي يشكّل الغاية للنشاط التاريخي، وهو الذي يؤثّر في تحريك هذا النشاط وبلورته، وذلك من خلال الوجود الذهني، أي: من خلال الفكر الذي يتمثّل فيه الوجود الذهني للغاية ضمن شروط ومواصفات، فالغاية دائماً تمثّل المستقبل

بالنسبة إلى العمل التاريخي الذي تحكمه سنن التاريخ، ولذلك فهو عملٌ هادف، عملٌ يرتبط بعلّةٍ غائية، سواءٌ كانت هذه الغاية صالحة أو طالحة، نظيفة أو غير نظيفة، فهو يُعتبر عملاً هادفاً، ونشاطاً تاريخياً، يدخل في نطاق سنن التاريخ، وهذه الغايات ـ التي يرتبط بها العمل الهادف المسؤول ـ حيث إنّها مستقبلية بالنسبة إلى العمل، فهي تؤثّر من خلال وجودها الذهني في العامل لا محالة، لأنّها بوجودها الافتراضي تمثّل طموحاً وتطلّعاً إلى المستقبل، فهي ليست موجودة وجوداً حقيقياً لتؤثّر بعينها الخارجية، وإنّما تؤثّر من خلال وجودها الذهني في الفاعل[1]، فتكون ملهمة له ومستقطبة.

وحيث إنّ المستقبل يمثّل الهدف والغاية المحرّكة للنشاط والفعل فإنّه لابدّ أن يكون مقترناً بحيثيات الصدق، فالبناء الذي نروم تحقيقه لابدّ أن يكون رصيناً مصوناً من الأخطاء، وبصفتنا نتبنّى الرؤية الدينية والإلهية لابدّ من حفظ هذه الحيثية، ولا يمكن تحقيق ذلك من دون التحقّق بالصدق، ولذلك نجد البُناة الإلهيين يلاحظون في أعمالهم البعد الإلهي والقيمي، وهذا ما نريد التوصّل إليه، فتكون العلاقة بين الصدق ـ وهو قيمة إلهية وإنسانية عُليا ـ وبين المستقبل، هي في واقعها علاقة بين الصدق والعمل التاريخي، أو بين الصدق والأهداف والغايات التي نصبو لتحقيقها، وما لم يكن الصدق حاضراً فإنّ البناء المُترقّب سوف يكون منخوراً ومزيّفاً، فيكون الكذب في المقام هو ذلك البئر المظلم الذي يلتهم كلّ بارقة ونور، ويجعل المستقبل ـ وهو العمل والهدف والغاية ـ كسعفة في مهبّ الريح، وما نلاحظه من الوهن الحضاري الذي يخترم أجل الأمّة،

---

(١) انظر: المدرسة القرآنية، للسيد الشهيد محمد باقر الصدر قدّس سرّه: ص ٨١، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، نشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر، الطبعة الثانية المحققة، ١٤٢٤ هـ، قم.

ويعصف بها من أزمة إلى أخرى، ومن ضياع إلى آخر، قد يكون له أسباب كثيرة، إلّا أنّ السبب الجوهري الذي يفرز الأزمات والضياع هو انعدام الثقة والصدق أو ضعفهما.

كلمات على الطريق

- قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحجّ: ٤٠)، وهذا وعد إلهيّ، والله تعالى لا يخلف وعده، فالانتصار لله تعالى من أسباب تحقّق النصر، كما نبّهنا لذلك في ذيل أسباب النصر.
- قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر**»[١]، بمعنى أنّ طريق النصر لا يُهتدى إليه إلاّ بالصبر.
- من روائع ما قيل في الإخلاص والصدق: أنّ للعبد مطلوباً وطلباً، فالإخلاص: توحيد مطلوبه، والصدق: توحيد طلبه، والإخلاص: أن لا يكون المطلوب منقسماً، والصدق: أن لا يكون الطلب منقسماً.

خلاصة الدرس

- قيل بأنّ الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزاء ما طرأ عليه من فساد، وقيل هو ما ينبغي فعله، ممّا فعله منفعة، وتركه مضرّة، والأنسب أن يُقال عنه بأنّه ثورة على الجهل والفساد والتخلّف عن الكمال المطلوب.
- يتوقّف الإصلاح في كلّ مجالاته على ثلاثة شروط ضرورية: الإرادة

---

(١) انظر: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ت: ٦٩٣ هـ): ج ٣ ص ١٣٨، الناشر دار الأضواء، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ، بيروت؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٧٥ ص ٧٩ ح ٥٦.

الفعلية الصلبة، والاستقلال الفكري في اتخاذ القرار والتنفيذ، والاعتماد على مناهج علمية وأدوات معرفية تضمن السير على بصيرة.

- لا ينحصر الإصلاح في موارد مناهضة الفاسد، فهنالك موارد أخرى تتعلّق بحالات الركود وعدم الاستفادة من الإمكانيّات المتاحة.
- كلّ مورد لا نصل فيه إلى الكمال المطلوب فإنّه يحتاج إلى مراجعة وإصلاح.
- أقسام الإصلاح، هي: الجزئي والكلّي، والمؤقّت والدائم.
- إنّ الحلول الجزئية عادة ما تكشف عن حالة من الغموض في الموقف، وعن نزعة هروب مستحكمة، بخلاف الحلول الإستراتيجية فإنّها تكشف عن وضوح في الموقف ومواجهة شجاعة وصريحة.
- الصدق هو الأداة الأساسية التي تفعّل الإصلاح، كما أنّ الشروط المنظورة فيه لابدّ أن تكتنز في رحمها واقعية الصدق، لاسيّما في شرطي (الإرادة الفعلية الصلبة) و(الاستقلال الفكري في اتخاذ القرار والتنفيذ).
- قرآنياً يقترن الإصلاح بالتمهيد الأدنى له بالتوبة، والتمهيد الأعلى له بالتقوى، والتمهيد الأسمى له بالعفو، واقترانه ببذل الجهد والتوفيق.
- الإصلاح هو تغيير بشكل وآخر، وأمّا التغيير فإن كان إيجابياً فهو إصلاح أيضاً، وأمّا إذا كان سلبياً فهو إفساد، والإفساد ضدّ الإصلاح، ولذا فإنّ النسبة المنطقية بينهما هي العموم والخصوص المطلق.
- اصطلاح «التغيير» هو الأكثر قبولاً من اصطلاح «الإصلاح»؛ لأنّ الإصلاح غالباً ما يُوهم بوجود فساد سابق، فيكون اللاجئ له مقرّاً بوقوع فسادٍ منه، مع أنّه لا يقتصر على حالات الفساد.
- التغيير قد يُوحي بالانقلاب الجذري، فهو إبدال شيء بآخر، في حين أنّ الإصلاح لا يشتمل على هذا المعنى الراديكالي، فهو إصلاح مناطق الضعف.

- النصر هو تحقيق الغلبة على الخصم، فإذا كانت المواجهة بين الإنسان ونفسه فهي الجهاد الأكبر.
- للنصر شروط، أهمها: الثقة بالنفس وبالقضية المُتبنّاة، توفير العدّة والعدد، الصبر والثبات، الاعتقاد الراسخ بالمدّ الإلهي، وجود قيادة حكيمة مؤمنة بنصر الله، احترام الشريعة الإسلامية وتطبيق أحكامها على الجميع.
- معظم أسباب النصر تكتنز واقعية الصدق، فتكون فاقدة التأثير من دونه.
- المستقبل هو ما سيقع في قابل الأيّام، وأقسامه: المستقبل القريب (التكتيك)، والبعيد (الإستراتيجية)، والأبعد (الخلود).
- المستقبل يشكّل الغاية للنشاط التاريخي، وهو الذي يؤثّر في تحريك هذا النشاط وبلورته، وذلك من خلال الوجود الذهني.

مذاكرة

- ما هو الأنسب في تعريف الإصلاح؟
- ما هي الشروط الثلاثة التي يتوقّف عليها الإصلاح؟
- ماذا نعني بالاستقلال الفكري في اتخاذ القرار والتنفيذ؟
- هل ينحصر الإصلاح في موارد مناهضة الفاسد؟ وضّح ذلك.
- ما معنى قولنا: كلّ مورد لا نصل فيه إلى الكمال المطلوب فإنّه يحتاج إلى مراجعة وإصلاح؟
- ما هي أقسام الإصلاح، وأيّ الأقسام هي الأفضل؟
- عن أيّ شيء تكشف كلّ من الحلول الجزئية والحلول الإستراتيجية؟
- ما هو الأداة الأساسية التي تفعّل الإصلاح؟

- ما هي الأمور التي يقترن بها الإصلاح بحسب الرؤية القرآنية؟
- ما هو الفرق بين التغيير والإصلاح؟ وأيّهما أكثر انتشاراً؟ وأيّهما أفضل مضموناً؟ وما هو السبب في ذلك؟
- بأيّ شيء يوحي الإصلاح؟ وبأيّ شيء يوحي التغيير؟
- ماذا نعني بالتغيير الراديكالي .
- ما هي شروط النصر؟ وما هي علاقتها بالصدق؟
- ما هو المستقبل؟ وما هي أقسامه؟
- ما هو الفرق بين التكتيك وبين الإستراتيجية وبين الخلود؟
- ما هو قول الشهيد الصدر: المستقبل يشكّل الغاية للنشاط التاريخي، وهو الذي يؤثّر في تحريك هذا النشاط وبلورته، من خلال الوجود الذهني؟

الدرس الثامن

الكذب وأسبابه

- أهداف الدرس
- تمهيد
- آفة الكذب
- علاقة الكذب بالشرك وسوء الظنّ
- الكذب محق للإيمان
- أنواع الكذب ومصاديقها
- بشاعة الكذب بشكل عامّ في التصوير القرآني والروائي
- بشاعة قول الزور في التصوير القرآني والروائي
- دفع توهّم
- خطورة الكذب المتبادل بين الآباء والأبناء
- خطورة الاستهانة بالكذب
- أسباب الكذب المتواصل ومعالجاتها
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان حقيقة الكذب وعلاقته بالشرك وسوء الظنّ ومحق الإيمان
- تصوير القرآن والسنّة لبشاعة الكذب وقول الزور
- بيان الفرق بين الكذب المحرّم والتورية الشرعية
- تصوير خطورة الكذب المتبادل بين الآباء والأبناء
- تصوير خطورة الاستهانة بالكذب
- عرض أسباب الكذب المتواصل وطرق العلاج

تمهيد

الكذب خطيئة عظيمة؛ لأنّه يستلزم أثراً معنوياً واجتماعياً مباشراً على الإنسان فضلاً عن العقوبة الأخروية الموجبة لدخول النار، وذلك الأثر هو سلب الصدق عنه، فالكذب عدم الصدق نفسه، وانتفاء الصدق هو انتفاء الهوية المعنوية للإنسان، ولذلك نجد القرآن والسنّة الشريفة تذمّان الكذب كثيراً، بل في بعضها أنّ الكذب يمحق الإيمان، والمؤمن لا يكذب وهو مؤمن، وكأنّ الإيمان طائر يغادر عشّ القلب عند وقوع الكذب حتى يُحدث الكاذب توبة عن كذبته فيعود إيمانه، وهذا منطقيّ، فالإيمان هو الصدق والتصديق، وانتفاء الصدق بالكذب انتفاء للإيمان، ولشدّة سوء أثر الكذب نجد بعض الحكماء يقول: الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أوّل السعادة[1].

ولأجل خطورة الكذب لزم منّا التعرّف على بعض خفايا هذه الآفة الخطيرة

---

(١) انظر: فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣١. والظاهر أنّ هذه الحكمة تنسب لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد جاء عنه عليه السلام شطرها الأوّل: «**الخرس خير من الكذب**»، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٢٧.

الآكلة للإيمان، والماحقة لهوية الإنسان المعنوية، كما لزم التعرّف على أنواعه وصورِهِ وعلاقته بالشرك، وآثاره الخطيرة على الأسرة والمجتمع، والكشف عن أسباب الكذب المتواصل، وكيفية معالجة ذلك، وغير ذلك من دقائق هذه المحاور التي ستكون مادّة هذا الدرس.

آفة الكذب

الكذب ضدّ الصدق، بل هو نقيضه[1]، لأنّه مساوق لعدم الصدق، وهو ملازم للقول أو الفعل المخالف للواقع، بمعنى انعدام الصدق في القول والفعل المخالف للواقع، وينتج عنه أنّ هنالك كذباً قولياً، وكذباً فعلياً، فقد يخبرنا الإنسان بقول عن شيء لا واقع له، وقد يخبرنا الإنسان بواسطة فعل منه، كالابتسامة الكاذبة، التي تخبر عن حال غير واقع، وكما أنّ الصدّيق هو كثير الصدق فإنّ الكذّاب هو كثير الكذب، ومن وقعت منه أكثر من كذبة فهو كذّاب، والكذّاب هو من اصطبغ قلبه بأسوأ مفاسد الأخلاق على الإطلاق، فلا خلق سيّئ ولا مفسدة أعظم من الكذب، فهو المستودع المُهلك، الذي إذا تربّى فيه الإنسان فإنّه سيكون منافقاً ومستهتراً، ومَن استحلّ الكذب هان عليه كلّ شيء؛ لأنّه ستنشأ عنده ملكة راسخة وهي ملكة التبرير، فتجده في آنِ كذبه قد استوفى صياغة العذر المناسب الذي يمنحه شيئاً من التخدير المؤقّت، وهذا ما يكشف لنا سرّاً خطيراً في الكذب، وهو أنّه يمنح مريديه مهدّئاً مؤقّتاً، وهروباً إلى أماكن ضيّقة المساحة وقصيرة الخطوات، كما هو حال الهروب من الخطايا بخطايا أخرى، فالذين يفرّون من مسؤولياتهم الاجتماعية يكونون قد ارتكبوا خطيئة، وبعض هؤلاء من أجل أن يتناسوا تلك الخطيئة يفرّون منها بخطيئة

---

(١) انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ج ١ ص ٧٠٤.

أخرى، ربما تكون أشدّ بشاعة، كالمتهالكين منهم على المسكرات والمخدّرات، فإنّ الكثير من أولئك لا يقصدون المتعة بقدر ما يقصدون الفرار من واقعهم الذي جعلوه بائساً بهروبهم من تحمّل مسؤولياتهم، فيكون الواحد منهم أشبه بالمستجير من الرمضاء بالنار[١].

ثمّ إنّ الكذب يُعدّ من النفاق، بل هو البيئة التي تنمو فيها بذور النفاق، وما النفاق في واقعه إلاّ وليد للكذب، وقد اعتُبر اختلاف القول والعمل، واختلاف السرّ والعلانية من النفاق، وأنّ أصل النفاق والذي بني عليه النفاق، هو الكذب[٢]، وقد روى مبارك بن فضالة أنّ الكذب جماع النفاق[٣]، ولذلك فهو كما قال يزيد بن ميسرة: «الكذب يسقي باب كلّ شرّ، كما يسقي الماء أصول الشجر»[٤].

علاقة الكذب بالشرك وسوء الظنّ

إنّ الكذب شرّ عظيم، ويكمن شره الأكبر في كونه يستبطن شركاً بالله تعالى، وربما كفراً أيضاً؛ لأنّ الكاذب يظنّ في كذبه نجاةً له، فيكون معتقداً بأنّ الكذب هو المنجي له وليس هو الله تعالى الآمر بالصدق، وهذا ضرب من الشرك، كما أنّه يستبطن سوء ظنٍّ بالله تعالى، فالإسلام يُعلّمنا أنّ النجاة في الصدق، والهلاك في الكذب، ولكنّ الكاذب يسيئ الظنّ فيرى أنّ النجاة في الكذب، والهلاكَ في الصدق، ولا يعلم هذا الغافل إذا كان الصدق وهو الفضيلة لا ينجيه من المأزق فكيف يُنجيه الكذب وهو الرذيلة؟ ومن لا يرتوي بالماء الطاهر والفرات العذب

---

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله**». أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٣٦ ح ٢٤.

(٢) كتاب الصمت وآداب اللسان، مصدر سابق: ص ٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٥٠.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٥٠.

فكيف له أن يرتوي بالماء الملوّث الأجاج؟

وكيف ينتفع الكاذب بكذبه ولا ينتفع بصدقه والله تعالى يقول: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾ (المائدة: ١١٩)؟[١] لا ريب أنّ تلك من الدواهي الدهماء، التي تُعمي وتُصمّ، وإذا كان للشيطان خطوات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ (النور: ٢١)، فإنّ الكذب وتبريره والتصديق بكونه منجاةً لصاحبه هو خلاصة تلك الخطوات برمّتها.

الكذب محق للإيمان

قلنا في دروس سابقة أنّ المؤمن الحقيقي هو من سلم الناس من لسانه ويده ومن مقاصده السوء، ولازم ذلك أن يكون صادقاً، فيكون انتفاء الصدق موجباً لعدم خلاص الناس من لسانه ويده ونواياه السيّئة، ولازم ذلك انتفاء الإيمان عنه، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ (النحل: ١٠٥)، وقد سُئل النبي صلّى الله عليه وآله: «هل يزني المؤمن؟ قال: **قد يكون ذاك**، قيل: هل يسرق المؤمن؟ قال: **قد يكون ذاك**، قيل: هل يكذب المؤمن؟ قال: لا ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾»[٢].

وبعد هذا الاسترسال فيما يقع من المؤمن ولا يقع، وهي سلسلة طويلة

---

(١) قيل أنّ أبا ذر الغفاري كان في رفقة النبيّ صلّى الله عليه وآله، وكانت قريش تطلب النبيّ صلّى الله عليه وآله، فمرّ بحرس لقريش على الطريق فقالوا له: من هذا الراكب خلفك؟ قال: محمد! فضحكوا وظنّوا أنّه يمازحهم، ثم سمحوا له بالمرور، معتقدين أنّ ذلك الرجل صديق لأبي ذر، فسأله النبي صلّى الله عليه وآله عن سبب كشفه لهويّته وهو يعلم بأنّهم يطلبونه، فقال له وكلّه ثقة بالله وبرسوله: منك تعلّمنا أنّ النجاة في الصدق، وها قد نجوت.

(٢) تقدّم تخريج الحديث.

يصعب حصرها، نجد رسول الله صلّى الله عليه وآله يُركّز هذه الفكرة بعبارة مختصرة نافذة، وهي قوله: «**يُطبع المؤمن على كلّ خصلة ولا يُطبع على الكذب، ولا على الخيانة**»[١]، لأنّ الكذب ـ كما عرفنا ـ منافٍ للصدق، بل مُنافٍ للإيمان، أو قل بأنّه مجانب للإيمان[٢]، وإذا ما اختلّ البناء الداخلي للمؤمن القائم على أرضيّة الصدق، واصطبغ بالكذب فإنّ ذلك سيُعتبر خروجاً سافراً عن الفطرة السليمة، بل هو خروج عمليّ عن الإيمان، ومنه يتّضح قول الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**إنّ الكذب هو خراب الإيمان**»[٣].

أنواع الكذب ومصاديقها

الكذب ظلمات مطبقة، وأودية مُهلكة، وله أنواع، منها:

النوع الأوّل: الكذب على الله تعالى

من قبيل الافتراء على الله تعالى بنسبة شيء له لم يصدر منه، كتحليل الحرام وتحريم الحلال، قال تعالى: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ**﴾ (النحل: ١١٦)، أو من قبيل التكذيب بآياته، كالقدح بالقرآن ومعاجزه، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ (الأنعام: ٢١)، ومن مصاديق هذا النوع من الكذب القول على الله تعالى بغير علم، فضلاً عن نسبة الشركاء، أو نسبة البنين له، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ (الأنعام: ١٠٠)، وهذا النوع من الكذب

---

(١) تقدّم تخريج الحديث.

(٢) كما جاء في تعبير أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**جانبوا الكذب، فإنّه مجانب للإيمان**». نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٠ الخطبة (٨٦).

(٣) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٣٩ ح ٤.

هو أسوأ أنواع الكذب، فالكذب على الله تعالى جرأة ما بعدها جرأة، ولأن يرتكب الإنسان الكبائر الأخرى ـ فيما عدا الشرك به ـ أهون من أن يقول على الله سبحانه ما لا يعلم، أو يقول على الله الكذب: ﴿**وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (آل عمران: ٧٨).

النوع الثاني: الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله

الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله من أخطر التجاوزات بعد الكذب على الله تعالى، فهو كذب على النبوّة والرسالة وليس على الشخص نفسه، فالمكذّب عليه تعمّداً إنّما يُريد بكذبه تزييف النبوّة، ولذلك ورد عنه صلّى الله عليه وآله: «**من قال عليّ ما لم أقله فليتبوّأ مقعده من النار**»[١]، وفي حديث آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «**مَن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار**»[٢]، والكذب على النبي صلّى الله عليه وآله ليس مجرّد نسبة شيء له لم يقله صلّى الله عليه وآله، وإنّما يشمل أيضاً نفي شيء قطعيّ عنه، فهو نوع من الكذب عليه.

جدير بالذكر أنّ تكذيب النبي صلّى الله عليه وآله اعتبره القرآن الكريم ضرباً من قول الزور، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً**﴾ (الفرقان: ٤).

النوع الثالث: الكذب على الآباء والأولاد

وبهذا النوع من الكذب يتمّ تقويض أركان الأسرة، فالكذب والتكاذب بين أفراد الأسرة هو العامل الأساس في هدم الثقة المتبادلة، وإبدال ذلك بالشكّ

---

(١) المحاسن، مصدر سابق: ج ١ ص ١١٨ ح ١٢٧؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٦٩ ح ٤٩٤٢؛ المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق: ج ٣ ص ٣٦٢؛ المعجم الكبير للطبراني، مصدر سابق: ج ١ ص ١٧١ ح ٤٢٦.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٦٢ ح ١؛ باب (اختلاف الحديث).

وسوء الظنّ، وانخرام القلب بالشكّ والريبة يجعله نهباً لكلّ الشرور الأخرى، وبعبارة أخرى: إذا ما اخترق الكذبُ القلوبَ، وصار ملكةً فيه، فإنّه سيُوجد فيها المقتضي لقبول كلّ الشرور والمعاصي الأخرى، ومنه يتّضح سرّ الحرص الشديد من قبل النبي صلّى الله عليه وآله على نبذ الكذب وشدّة التحذير منه.

النوع الرابع: الكذب على الأقرباء والأصدقاء

وهذا النوع من الكذب هو الخطر المحدق الذي يمزّق النسيج الاجتماعي، ويجعله متهالكاً، كلّ فئة منه تتصيّد في الماء العكرة للآخر، وكلّ واحد يترصّد سقطات الآخر، فالكذب الاجتماعي هو من أسوأ صور النفاق، ويُعبّر عنه بالنفاق الاجتماعي، وما هو إلّا الكذب والتكاذب المتبادل، وقد مرّ أنّ الكذب هو أصل النفاق وبُنيانه، وأنّه جماع النفاق، وكيف لا يكون كذلك وهو يسقي باب كلّ شرّ، كما يسقي الماء أصول الشجر، وإذا كان الكذب هو أصل النفاق وجماعه، وسقاية كلّ شرّ فإنّ من الطبيعي أن يتصدّر الكذب قائمة الخطايا بعد الشرك والعقوق، كما سيأتي، وإذا كان الربا من الخطايا العظيمة، وأنّ المرابي يتخبّطه الشيطان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ...**﴾ (البقرة: ٢٧٥)، فإنّ الكذب هو أربى الربا، كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**أربى الربا الكذب**»[١]، وإذا ما كانت الخمرة هي أمّ الخبائث فإنّ الكذب هو جامع لكلّ الخبائث، وقد ورد في خبر عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشرّ أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب**»[٢].

---

(١) الاختصاص، مصدر سابق: ص ٣٤٣؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص٣٧٧ ح ٥٧٨٠؛ وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٢٤٦ ح ١٢.

(٢) أصول الكافي: ج٢ ص ٣٣٨ ح ٢؛ ثواب الأعمال، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن

ولذلك لا يمكن لمجتمع أن ينهض وتستقيم أموره وهو يقتات على الكذب، كما لا يُمكن لمجتمع أن يسقط أو يتهاوى وهو يقف على أرضيّة الصدق، فللصدق سلطة تكوينية لا تخبو ولا تتبدّل، وهي النجاة من السقوط والتهالك، بل قل النجاة من كلّ الشرور، وإذا ما أراد مجتمع أن ينجو من السقوط والتهالك فليس أمامه إلاّ إغلاق فوهة بئر الكذب بصخرة الصدق، وقد مرّ بنا الحديث الشريف للنبي صلّى الله عليه وآله: «**عليكم بالصدق؛ فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البر يهدي إلى الجنّة ... وإيّاكم والكذب؛ فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار**»، وحديث أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الصادق على شفا منجاة وكرامة، والكاذب على شفا مهواة ومهانة**»[(١)].

النوع الخامس: الكذب على الناس

وهو على شطرين، هما:

● **الشطر الأوّل**: الكذب عليهم فيما يتعلّق بشيء من أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وهذا من الكبائر الشديدة، والقبيحة جداً؛ لأنّه يتعلّق بتحطيم المجتمع الإنساني، وتحويله من مجتمع الثقة إلى مجتمع الشكّ وانعدام الثقة، كما أنّه سوف يكون طريقاً رحباً للقضاء على العدل؛ لأنّ الكاذب يفرّ بكذبه من العقوبة، ويُوقع سوء فعله على إنسان بريء عجز عن إثبات صدقه ورفع التهمة عنه، ولعلّ ما أوقعه هو أسوأ من الكذب نفسه، فإضرار الغير أسوأ وأبشع من إضراره لنفسه.

كما أنّ هذا النوع من الكذب هو المستنقع الذي تطفو على أوحاله رُوح العداوة والشحناء بين أفراد المجتمع، وإنّما كان هذا النوع خطيراً ومحطّماً للمجتمع لأنّه مفضٍ إلى صور في غاية البشاعة، منها:

الحسين بن بابويه القمّي: ص٢٤٤، منشورات الرضي، طبعة ثانية، ١٣٦٨ش، قم.

(١) تقدّم تخريج الحديثين.

الصورة الأولى: شهادة الزور، وهي من أكبر الكبائر، وقد جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر** ـ ثلاثاً ـ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وجلس وكان متّكئاً فقال: **ألا وقول الزور**، فما زال يُكرّرها ... »[١]، وفي خبرٍ آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «**ألا أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، ثمّ قال: **ألا وقول الزور، ألا وقول الزور**»[٢]، وستأتينا بيانات أخرى حول خطورة قول الزور.

الصورة الثانية: الحلف بالله تعالى وبالمقدّسات زوراً، وهو نوع من شهادة الزور، إلاَّ أنَّ شاهد الزور في هذه الحالة يقرن شهادته بالحلف الكاذب، ولعلّه يكون أشدّ جرماً، وأعظم إثما من الأوّل، وفيه يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**من حلَف على يمين، هو فيها فاجر، ليقتطع بها مال امرئٍ مسلمٍ، لقي الله عزّ وجلّ وهو عليه غضبان**»[٣]، أي: الحلف الكاذب لغرض اصطياد الدنيا.

الصورة الثالثة: الكذب في البيع والشراء، وهو من قول الزور أيضاً، ومن أمثلته إخفاء البائع عن الناس عيوب سلعته، أو يُدلّس عليهم باعتماد الحلف والقسم الكاذبة؛ لترويج بضاعته بإيهام الناس وخداعهم، وفي ذلك يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**اليمين الكاذبة منفقة للسلعة، ممحقة للكسب**»[٤].

---

(١) مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ١٠ ص ٤٦١ ح ١٩٧٠٧

(٢) صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٥٢؛ ج ٧ ص ٧٠؛ ج ٧ ص ١٣٨.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٥ ص ٩٧ ح ٨؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٧٩؛ ج ٥ ص ٢١١؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٣ ص ٩٠؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ١ ص ٨٥؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢ ص ٨٩ ح ٣٢٤٣؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي: ج ٢ ص ٣٢٨، نشر: مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، بيروت.

(٤) مصنّف ابن أبي شيبة الكوفي: ج ٥ ص ٢٦٠ ح ١؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج٢

● **الشطر الثاني**: الكذب على الناس فيما لا يتعلّق بشيء من أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، وهو وإن كان أقلّ خطراً وبشاعةً من الشطر الأوّل إلّا أنّه يبقى عملاً مذموماً وممجوجاً، وله صور مختلفة، نذكر منها:

الصورة الأولى: الكذب في إظهار الفضل وادِّعاء ما ليس له، وفي ذلك خطورة كبيرة، استدعت عقوبة كبيرة، كما جاء في حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**من ادَّعى ما ليس له فليس منّا، وليتبوَّأ مقعده من النار**»[(١)].

الصورة الثانية: ادّعاء المقامات العلمية والدينية والمعنوية من غير استحقاق لها، حيث يكون الهدف منها هو طلب الرئاسة واصطياد الدنيا، وهو ما يُعبّر عنه بالأكل بالدين، وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الناس ثلاثة أصناف: ... وصنف يأكلون بنا، وصنف اهتدوا بنا واقتدوا بأمرنا، وهم أقلّ الأصناف**»[(٢)]، ولو طالعنا مدّعي النبوّة نجدهم قد وُصموا بصفة الكذّابين، من قبيل مسيلمة الكذّاب وغيره، وهذا هو واقع حال مدّعي هذه المقامات الدينية والاجتماعية.

بشاعة الكذب بشكل عامّ في التصوير القرآني والروائي

جاء في التصوير القرآني أنّ الكاذب لا يحصد من كذبه سوى الخسران، وبعبارة القرآن انتفاء الفلاح، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ**﴾ (يونس: ٦٩)، كما جاء في الرؤية القرآنية توصيف للكذب الإثم

ص ٢٣٥؛ ج ٢ ص ٢٤٢؛ سنن النسائي، مصدر سابق: ج ٧ ص ٢٤٦.

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٦٦؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج١ ص٥٧؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ٢ ص ٧٧٧ ح ٢٣١٩؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٩١ ح ١٥٣٠٣؛ ج ٦ ص ١٩٣ ح ١٥٣١٢.

(٢) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلّي: ص ١٠٤، منشورات المطبعة الحيدرية، الطبعة الأُولى، ١٩٥٠م، النجف الأشرف.

المبين، وفي ذلك ردّ على خفاء الكذب، فالكاذب يتحايل في خفاء كذبه، يصطنع الحركات وينتقي الكلمات المنمّقة؛ ليطلي سمّه الكاذب بعسل الكلمات والحركات، فيردّ القرآن على عملية التخفّي هذه بأنّ الكذب مهما تخفّى فإنّه لا يعدو عن كونه إثماً مبيناً، لا يحتاج إلى بيان أو تبيين، قال تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً**﴾ (النساء: ٥٠).

وأمّا في التصوير الروائي، فإنّه لشدّة ما يتركه الكذب من أثر سلبيّ على النفس وعلى المقابل وعلى الأمّة، فإنّنا نجد تصدّياً واضحاً من السنّة الشريفة لهذه الظاهرة الخطيرة، بل يتصدّى لها قبل أن يتحوّل الكذب إلى ظاهرة اجتماعية أو سلوكاً مألوفاً عند الفرد والمجتمع؛ لأنّ الكذب والتكاذب بين الناس هو هلاك للأمة واندحار لمستقبلها، ففقدان الثقة هدمٌ للأواصر، والكذب والتكاذب إذا تحكّما بثقافة الأمة وعلاقاتها صار انعدام الثقة هو الأمر الذي لا يُتوقّع غيره، ولأجل ذلك نجد رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يُشعر الكاذب ـ ولو وقعت منه كذبة واحدة ـ بخطئه الفادح، فيُظهر عدم رضاه بنحوٍ يضطرّ صاحب الخطأ إلى التعجيل بالتوبة، وقد روي عنه في ذلك أنّه صلّى الله عليه وآله كان يطلّع على الرجل من أصحابه على الكذب فما ينحلّ من صدره حتى يعلم أنّه قد أحدث لله منها توبة[1]، وقد جاء عنه صلّى الله عليه وآله عن عبد الله بن مسعود: «**ألا إنّ شرّ الروايا**[2] **روايا الكذب، وإنّه لا يصلح من الكذب جدّ ولا هزل، ولا أن يعد الرجل**

---

(١) كتاب الصمت وآداب اللسان، مصدر سابق: ص ٢٣٧؛ مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، مصدر سابق: ص ٥٣ رقم (١٤٥).

(٢) قال ابن الأثير في بيان (الروايا): «هي جمع روية، وهي ما يروى الإنسان في نفسه من القول والفعل... وأصلها الهمز، يقال روأت في الأمر، وقيل: هي جمع راوية، للرجل الكثير الرواية، والهاء للمبالغة». النهاية في غريب الحديث، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦ هـ): ج ٢ ص ٢٧٩، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود

صبيّه ثمّ لا ينجزه، ألا وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار»[١].

بشاعة قول الزور في التصوير القرآني والروائي

جاء في التصوير القرآني اقتران قول الزور بعبادة الأوثـان، وتوحيـد النهـي عنهما بمفردة واحدة مع تكرارها، قـال تعـالى: ﴿**فَـاجْتَنِبُوا الـرِّجْسَ مِـنَ الْأَوْثَـانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ (الحجّ: ٣٠)، حيث تربط الآية النهي عن قول الزور بالنهي عن عبادة الأوثان، ممّا يدلّل على بشاعة هذا العمـل القريـب مـن بـشاعة عبـادة الأوثان، وفي آية أخرى تعد المؤمنين الذين لا يـشهدون الـزور، بالجنّـة والخلـود والثناء الجميل، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً... أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً * خَـالِدِينَ فِيهَـا حَـسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً**﴾ (الفرقان: ٧٢، ٧٥، ٧٦)، فتكون تلك الكرامة منتفيةً تماماً عن الذين يشهدون الزور، وانتفاؤها يعنـي النـار والعـذاب، وأحـد وجـوه شـهادة الزور في المقام هو الكذب والافتراء، وتكون كلمـة: (الـزُّور)، قـد حلّـت محـلّ المصدر، فالأصل هو: والذين يشهدون شهادة الزور[٢].

وأمّا في التصوير الروائي فقد اعتبر قول الزور مبطلاً للصوم، فعـن رسـول الله صلّى الله عليه وآله: «**من لم يدَع قول الزور والعمل بـه فلـيس لله حاجـةٌ في أن يدَع طعامه وشرابه**»[٣]، وعن أنس بن مالك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه

الطناجي، نشر: مؤسسة إسماعليان، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش، قم المقدّسة.

(١) مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ١١ ص ١١٦؛ المعجم الأوسط، للحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني: ج ٨ ص ٣١، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٥ ص ٢٤٢.

(٣) صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٢٨؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ١ ص

قال: «**من لم يدَع الكذب والخنا، فليس حاجةٌ لله في أن يدَع طعامه وشرابه، يعني الصائم**»[(١)]، بمعنى: أنّ الصيام سوف يفقد حقيقته ومعناه، بل هو مبطل له، فيكون عدم الكذب شرط في صحّة الصيام فضلاً عن كونه شرطاً في قبوله، والشيء إذا ما فسد فلا معنى للتوقّف في عدم قبوله.

دفع توهّم

ورد في بعض الأخبار والأقوال أنّ هنالك موارد يجوز فيها الكذب، ولكنّ ذلك مجرّد توهّم في المقام، فالكذب الصريح البواح حرام وخطيئة عظيمة لا يمكن أن تكون موضوعاً للجواز، وإذا ما طالعنا في كلمات الأعلام جوازاً لبعض الموارد فيه، من قبيل إصلاح الزوجة أو إصلاح ذات البين أو الحروب مع الأعداء فلابدّ أن يكون محمولاً على التورية لا الكذب الصريح، ولذلك قيل: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، وما جاء من الإباحة في هذا فإنّ المُراد به هو التورية، واستعمال المعاريض لا صريح الكذب، وهو أن يقول شيئاً وهو يقصد معنى آخر، مثل أن يَعِدَ زوجته أن يحسن إليها، وينوي إن قدر الله ذلك، وحاصله أن يأتي بكلماتٍ محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه، وهكذا إذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلاماً جميلاً، ومن هؤلاء إلى هؤلاء كذلك، وَوَرَّى، وكذا في الحرب بأن يقول لعدوّه مات إمامكم الأعظم، وينوي إمامهم في الأزمان الماضية، أو غداً يأتينا مدد، أي: طعام ونحوه، هذا من

---

٥٣٩ ح ١٦٨٩؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ١ ص ٥٢٩ ح ٢٣٦٢؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠٥ ح ٧٠٢؛ تذكرة الفقهاء، مصدر سابق: ج ١ ص٢٥٨.

(١) مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٩٣ ح ٧٤٥٥؛ المعجم الصغير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ): ج ١ ص ١٧٠، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

المعاريض المباحة؛ فكلّ هذا جائز[١].

خطورة الكذب المتبادل بين الآباء والأبناء

مرّ بنا في الدرس الرابع (معوّقات الصدق وأزماته الحادّة) بحث حول أزمة مواجهة الأقرباء، والتي عبّرنا عنها بأزمة الأغيار العسيرة، وقد بيّنا هنالك حجم الإحراج الذي قد يقع فيه الأبناء عند إلجاء الآباء لهم للكذب نيابة عنهم، وذكر المعالجات لذلك، وهنا نريد البحث في خطورة هذا النوع من الكذب، والذي قد يكون متبادلاً بين الآباء والأبناء، فإنّ هذا النوع سوف يفقد عُرى الارتباط بينهما، والتي من أهمّها الثقة المطلوبة، فسوف تتهاوى، وتتحوّل ساحة التراحم إلى ساحة شكّ واتّهام، ولأنّ الموقف خطير فلابدّ من الالتفات إلى دقائقه وتفاصيله، وأن لا نستخفّ بأدنى التصرّفات التي قد تعصف بقارب الثقة في بحور الشكّ الجارفة، ولذلك نجد رسول الله صلّى الله عليه وآله يحذّر من أدنى الكذب الذي قد يعتبره البعض سلوكاً طبيعياً جرى العرف عليه.

عن عبد الله بن عامر أنّه قال: «دعتني أمّي يوماً ورسول الله صلّى الله عليه وآله قاعد في بيتنا، فقالت: ها، تعال أعطيك، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: **وما أردت أن تعطيه؟** قالت: تمراً، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أما إنّك لو لم تعطه شيئاً كُتبت عليك كذبة**»[٢]، وعنه صلّى الله عليه آله: «**من قال**

---

(١) انظر: نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني: ج ٨ ص ٨٤ ، نشر: دار الجيل، ١٩٧٣م، بيروت؛ فتح الباري، مصدر سابق: ج ٥ ص ٢٢٠؛ شرح صحيح مسلم، محيي الدين يحيى بن شرف النووي: ج ١٦ ص ١٥٨، نشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٢٤ ح ١١؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٧٥ ح ٤٩٩١؛ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، مصدر سابق: ج ٣ ص ٣٧٠.

لصبيّ: تعال هاك، ثمّ لم يعطه، فهي كذبة»[١]، وممّا يؤسف له أنّ هنالك ثقافة وعرفاً رائجاً في الأوساط الاجتماعية يتعلّق بهذا النوع من التهاون وعدم المبالاة، فيقع منهم الكذب في أمور يعتبرونها صغيرة وغير مؤثّرة، وهذا خطأ فادح، فالكذب كالخمر، يحرم قليله كما يحرم كثيره، ولا سبيل إلى تحليله، والكذبة الصغيرة تفضي إلى الكذبة الكبيرة، وهذه هي خطوات الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ (النور: ٢١).

عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**لا يصلح الكذب في جدّ ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئاً ثمّ لا ينجز له**». ثمّ تلا عبد الله قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (التوبة: ١١٩)[٢].

خطورة الاستهانة بالكذب

إنّ الركون إلى الكذب واعتباره هو الحلّ في الخروج من المآزق، سيُفقِد الإنسان الإحساس بقبحه، لاسيّما إذا أصبح ظاهرة شائعة في المجتمع، حتى يبلغ بالبعض أن يأنس بالكذب بدلاً من الاستيحاش منه، وما ذلك إلّا بسبب الاستهانة بالكذب وفقدان الشعور بخطورته وقبحه، كما هو الحال في ارتكاب المعاصي الأخرى، فالمعتادون على شرب الخمر والمسكرات والمخدّرات يتولّد

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٥٢؛ مجمع الزوائد، مصدر سابق: ج ١ ص١٤٢؛ الإحكام في أُصول الأحكام، علي بن حزم الأندلسي الظاهري: ج ٥ ص٥٩٨، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٢٣ ح ٣؛ الأدب المفرد، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ): ص ٨٩ ح ٣٨٧، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ، بيروت.

عندهم شعور كاذب، وهو الأنس بهذه المسكرات، وعدم الاستيحاش منها، فمَن لا يشعر بقبح الكذب والنفرة منه فإنّه ولا ريب يكون قد أصبح فريسة لذلك الشعور الكاذب، وهو الأنس به، وما لاحظناه من التحذيرات النبويّة من حالات الكذب، حتى في المورد الواحد، إنّما كان من أجل التحذير من الوقوع في دائرة ذلك الأنس الكاذب.

أسباب الكذب المتواصل

للكذب أسباب كثيرة، والغالب عليها يعود إلى الموروث الاجتماعي، وهنا سنحاول إبراز أهمّ أسبابه مع بيان طرق المعالجة؛ وهي كالتالي:

السبب الأوّل: النظر للنفس من الخارج لا الداخل

وهو من أعظم الأسباب وأشدّها حضوراً في الوسط الاجتماعي؛ فالإنسان عادةً لا ينظر إلى نفسه من داخل ذاته، وإنّما من خارجها، أي: إنّه يرى نفسه من خلال عيون الآخرين، أو قل: من خلال رؤية الآخرين له، فيضطرّ للكذب ليكون محلَّ رضا الآخرين، ونظراً لأن الآخرين كثيرون جداً فالكذب يكون كثيراً أيضاً.

المعالجة: العودة للذات

إنّ العودة للذات هي الخطوة الأُولى في تصحيح مسيرة الخلاص من غائلة الكذب، بمعنى: أن يُتابع الصدق ويتحرّى مظانّه، فيكون ذلك هو المنظور له، فيكفّ عن منظار الآخرين والأغيار، فإذا ما وحَّد نظرته سوف يتخلَّص من شتات الآخرين ودواعي الكذب لأجلهم.

السبب الثاني: الجبن والخوف من العقوبة

فمن الأمور الشائعة: أنّ الأخطاء المرتكبة في داخل الأسرة والمجتمع لا تعالج بالمواجهة، وإنّما تعالج بالهروب منها بواسطة حبال الكذب، ويغلب على

هذا الهروب الخوف الشديد من العقوبة، أو الخوف من الوقوع في الفـضيحة، أو الخوف من الوقوع في المواقف المحرجة، فيلجأ إلى الكذب للنجاة من ذلك، وقد ذكرنا بأنّ الكذب لا يمكن أن يكون طريقاً للنجاة، وكيف تكون الخطيئة مُنجيـة للإنسان من أخطائه؟ وهذا المرض الاجتماعي غالباً مـا يستـشري بـين الأطفـال المشاكسين، وطلبة المدارس الذين لا يلتزمـون بواجبـاتهم، والزوجـات اللائـي وقع منهنّ تقصير في وظائفهنّ؛ خوفاً من العقوبة، لاسيّما إذا ما كـانوا يتوقّعـون عقوبات شديدة، فيفرّون من الخطأ بالخطيئة!

المعالجة: الكشف عن خلفيات الوقوع في الكذب

لابدّ من معالجة تلك الدواعي التي ألجأت هؤلاء للكـذب، فلـيس منطقيـاً أن نقول لهم لا تكذبوا، وإنّما لابدّ من البحث عن خلفيات المـشكلة، فالطفـل الكـاذب لابدّ أن يُلتفت إلى أسباب كذبه ومساعدته في حلّهـا مواجهتهـا، وهكـذا في طـلّاب المدراس، لابدّ من حثّهم على الدراسة والالتزام بالواجبات، بل ومـساعدتهم في أداء واجباتهم بالقدر الذي لا يجعلنا بـدلاء عـنهم، بمعنـى مراجعـة نـشاطهم ومـا هـو مطلوب منهم، ثمّ تحفيزهم على تنفيذ واجباتهم، ولابدّ أن تكون معـالجتهم في ذلـك تدريجية، وسـوف نكتـشف الـسعادة والطمأنينـة فـيهم، وهكـذا الحـال في المـوارد الأخرى، فالمعالجات لا تكمن في العقوبة، وإنّما في الكشف عن خلفيات المشكلة.

السبب الثالث: الثرثرة وكثرة اللغط والكلام

وكما جاء في حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**من كثر كلامـه كـثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليـصمت**»[1]، وعن الإمام علي عليه السلام:

---

(١) المعجم الأوسط، مصدر سابق: ج ٦ ص ٣٢٨.

«من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار»[1]، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: **«لا تمزح فيذهب نورك، ولا تكذب فيذهب بهاؤك ... ومَن كثر كلامه كثر سقطه، ومَن كثر كذبه ذهب بهاؤه»**[2].

فالثرثرة وكثرة الكلام تفضي إلى السقوط في وحل الكذب، كما أنّ كثرة الأخطاء في الكلام عادة ما تستدعي تبريرها، وسياسة التبرير هي التطبيق العملي للكذب.

المعالجة: ثقافة الصمت والاقتصاد في الكلام

لابدّ أن يتعلّم الإنسان الاقتصاد في الكلام، وأن يكون الصمت مفردة حاضرة في سلوكه، لا بمعنى التزام الصمت مطلقاً، وإنّما أن يكون للكلام مبرّر عملي، فلا يتكلّم من أجل الكلام والثرثرة، فذلك هو المرض الخطير والوبيل، وأمّا الصمت فسلامة وصحّة، وهو من خُلق الأنبياء عليهم السلام، ولنعم ما قاله الشاعر[3]:

الحلم زين والسكوت سلامة   فإذا نطقتَ فلا تكن مهذارا
ما إن ندمت على سكوتٍ مرّة   ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال آخر:

تكلم وسدّد ما استطعت وإنّما   كلامك حيّ والسكوت جماد
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله   فصمتك عن غير السديد سداد

ونظراً لصعوبة الصمت، لاسيّما لمن لم يعتده فإنّ عليه مراقبة نفسه في ذلك،

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٨١ رقم (٣٤٩).
(٢) أمالي الصدوق، مصدر سابق: ص ٦٣٦ ح ٣.
(٣) روضة الواعظين، للشيخ الشهيد العلامة محمد بن الفتّال النيسابوري (ت: ٥٠٨ هـ): ص٤٧١، تقديم: العلّامة السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم.

ونعم ما قاله لقمان الحكيم في المقام: «**الصمت من الحكمة، وقليلٌ فاعله**»[1].

السبب الرابع: العجب بالنفس، وإخفاء العيوب بالمحاسن المصطنعة

فإنّ العجب بالنفس يُغري الإنسان بتزيينها ولو بالكذب لها، فيدّعي لنفسه ما يزينها، وينفي عنها ما يشينها، ولو كان ذلك كلّه مخالفاً للواقع الذي هو عليه، والإنسان بطبعه ميّال لرفعة نفسه، فإن كانت نفسه ضعيفة اخترع لها ما ليس لها، وإن كانت نفسه قويّة واجه واقعه، وعمل على إصلاحه.

المعالجة: ملء الفراغات بالقدر الممكن

إنّ المعالجة الأساسية في المقام شبيهة إلى حدّ كبير بما تقدّم، وهي البحث عن نقاط الضعف التي دعته إلى تغطيتها وتزيين ظاهرها بما ليس له، بمعنى أنّ المعالجة الواقعية تكمن في ملء الفراغات التي تعجّل الإنسان بالهروب منها عن طريق تغطيتها بمناقب مفقودة، وكلّما اشتدّ العجب بالنفس اتّسعت الاستعارات المزيّفة، واتّسعت مساحة الكذب، وكلّما عمِل على ملء تلك الفراغات السوداء بالقدر الممكن مع التدريج فإنّه يكون على مقربة من القطيعة مع الكذب.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق: ج٢ ص٤٢٣؛ شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، للشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني: ص١٤٨، تصحيح وتعليق: مير جلال الدين الحسيني الآرموي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، الطبعة الأولى. وقد نُسبت هذه الحكمة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله. انظر: مسند الشهاب، للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (ت: ٤٥٤ هـ): ج١ ص١٦٨ ح٢٤٠، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، بيروت؛ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، للشيخ الجليل الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني: ص٢٠ رقم ٤٧، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٠٨ هـ، قم المقدّسة.

السبب الخامس: دفع الشبهات

كثيراً ما يقع الإنسان في ظروف محرجة فيجد الكذب أقصر وأسهل الطرق للخلاص من الشبهات المحتملة، كمن يتواجد في أماكن غير مرغوب فيها اضطراراً أو لحاجة ما، أو التواجد مع أشخاص غير مرغوب فيهم، فإنّه بعد الالتفات يجد نفسه في مأزق، لاسيّما إذا ما فوجئ بمعرفة البعض بذلك، فإنّه يسارع إلى اختلاق الأعذار الواهية، مع أنّ الصدق في ذلك هو طريق النجاة، ولا شيء أكمل وأجمل من الصدق في هذه الموارد؛ لأنّ الكذب فيها سوف يجرّ إلى كذب آخر، واصطناع قصص خيالية فارغة، سرعان ما توقعه في تناقضات، فضلاً عن الاضطراب النفسي الذي سوف يعيشه ما دام هو متخفّياً في ظلمة التبريرات الكاذبة، فالعذاب النفسي والقلق الشديد الذي يعيشه الكاذب لا يمكن الفرار منه.

المعالجة: لزوم الصدق أو الصمت

لا حلّ في هذه الحالة غير الاستعانة بالصدق أو بالصمت، ولا مانع من إبداء التأسّف على ما وقع، فإنّ من المؤسف جداً، بل ومن الخطأ الفاحش أن يُعالج الخطأ غير المتعمّد ـ التواجد في أماكن غير مرغوب بها ـ بخطيئة كبيرة، وهي الكذب، وإذا ما لزم الصدق في دفع الشبهات المحتملة فإنّه سوف يعيش حالة من الاستقرار النفسي، والطمأنينة الكبيرة، وإذا ما خُيّر الإنسان العاقل السويّ بين الهروب من الخطأ بالفضيلة، وهي الصدق، أو بالرذيلة، وهي الكذب، فلا ريب أنّه سوف يختار الهروب بالفضيلة، وإلّا سوف تقع منه المصادرة الصريحة لعقلة وسويّته.

السبب السادس: العدوى

وهذا من أخطر الأسباب الموقعة في براثن الكذب، فإنّ الصادق السوي إذا ما

تواجد في بيئة زادُها الكذب والافتراء فإنّ الراجح فيه هو التأثّر بهم، والعـدوى في مواطن السوء سريعة التأثير وبالغة المفعول، وقد قيل في شعر الحكمة[١]:

لا تربط الجرباء حول صحيحةٍ خوفاً على تلك الصحيحة تجرب

المعالجة: الوقاية خير من العلاج

إنّ الحلّ الناجع في المقام هو لزوم الوقاية قبل التلبّس بصفة الكذب، والوقوع في وحله، والوقاية رؤية قرآنية، كالوقايـة مـن النـار بـالإيمان والطاعـة[٢]، كـما أنّ الوقاية هي رسمٌ عقلائيّ، وقد قيل في الحكمة العقلائية: الوقاية خير من العـلاج، فكما يحرص الإنسان السويّ على وقاية نفسه مـن البيئـة الموبـوءة بـالأمراض، بـل ويفرّ منها فراره من الأسـد، فإنّـه لابـدّ أن يكـون أكثـر حرصـاً في مواقـع تفـشّي الكذب، وإنّ الوقوع في الأمراض البدنية قد يُوجب الأجـر والثـواب والتطهـير، وأمّا الوقوع في الأمراض المعنوية فلا ريب أنّه موجب للإثم والعذاب.

السبب السابع: الجهل بعواقب الكذب

وهذا من الأسباب الواقعية المستشرية، وهو نتيجة طبيعيـة لعـدم التفقّـه في الدين، أو عدم التفقّه في أخلاقيات الإسلام، ولذلك نجد السنّة الـشريفة كثـيرة الحرص على التذكير بالموت، وعلى التذكير بصفة العقوبات الكبيرة على الذنوب والخطايا، كنوع من حالة الردع المطلوبة.

المعالجة: التفقّه في الدين وأخلاقياته

يكمن العلاج الناجع في مواجهة هذا الخلـل الكبـير المـستدعي للوقـوع في الكذب، في السعي الحثيـث عـلى التفقّـه في الـدين، والحـرص عـلى الحـضور في

(١) من الأشعار القديمة، التي لا يُعرف قائلها.

(٢) قال تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (التحريم: ٦).

المساجد للصلاة والدعاء والذكر[١]، والحضور في مجالس الوعظ بدلاً من مجالس الغفلة ومجالس البطّالين، والحضور في مجالس العلماء[٢]، فإنّ رؤيتهم والسماع منهم رادع عن المعاصي، ومنها الكذب، وداعٍ للفضيلة، ومنها الصدق.

كلمات على الطريق

- الحياة دار بلاء وابتلاء، والناجي فيها هو الصادق وإن اشتدّ بلاؤه، والخاسر فيها هو الكاذب وإن قلّ بلاؤه، وما دمنا تحت مرأى ومسمع منه سبحانه فلا خوف على الصادقين، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٣).
- قال الإمام علي عليه السلام: «**إيّاكم والكذب فإنّ كلّ راجٍ طالبٌ، وكلّ**

---

(١) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**قال الله تبارك وتعالى: إنّ بيوتي في الأرض المساجد، تضيء لأهل السماء كما تضئ النجوم لأهل الأرض، ألا طوبى لمن كانت المساجد بيوته، ألا طوبى لعبد توضأ في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إنّ على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشّائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة**». المحاسن، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٧ ح ٦٥؛ مَن لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٣٩ ح ٧٢٠. وقد ورد المقطع الأخير من الخبر في: مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٢٣ ح ٩؛ مصنّف الصنعاني، مصدر سابق: ج ٣ ص ٣٦٩؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٥٧ ح ٧٨١؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج ١ ص ١٣٦ ح ٥٦١؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ١ ص ١٤٢ ح ٢٢٣.

(٢) سيكون هنالك من دروس هذه الحلقة (الدرس الحادي عشر ـ الابتعاد عن مجالس الغفلة وقاية للصدق) درس خاص بموضوع الغفلة ومجالس البطّالين، واليقظة ومجالس العلم والذكر، مع تفصيلات كثيرة تدور حول سبل الخلاص من تبعية الانسياق إلى ذلّ المعاصي، وإبدال ذلك بعزّ الطاعة، ولا ريب أنّ للمساجد علاقة وثيقة بطمر المعاصي وإحياء الطاعات.

خائفٍ هاربٌ»[(١)]، أي: لا تكذبوا في ادّعائكم الرجاء والخوف من الله؛ وذلك لأنّ كلّ راجٍ طالبٌ لما يرجو ساعٍ في أسبابه، وأنتم لستم كذلك، وكلّ خائف هاربٌ ممّا يخاف منه، مجتنب مما يقرّبه منه، وأنتم لستم كذلك[(٢)]، فالكذب قد يقع حتى في الرجاء والخوف.

خلاصة الدرس

- الكذب كبيرة وخطيئة تستلزم أثراً معنوياً واجتماعياً مباشراً على الإنسان، فضلاً عن العقوبة الأخروية الموجبة لدخول النار.
- الإيمان طائر يغادر عشّ القلب عند وقوع الكذب حتى يحدث الكاذب توبة عن كذبته فيعود إيمانه، وهذا الترتّب منطقي.
- الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أوّل السعادة.
- الكذب ضدّ الصدق، بل نقيضه، لأنّه مساوق إلى عدم الصدق، وهو ملازم للقول أو الفعل المخالف للواقع، وينتج عنه كذب قوليّ، وكذب فعليّ.
- الكذّاب هو من اصطبغ قلبه بأسوأ مفاسد الأخلاق على الإطلاق، فلا خلق سيّئ ولا مفسدة أعظم من الكذب، فهو المستودع المُهلك.
- من استحلّ الكذب هان عليه كلّ شيء؛ لأنّه ستنشأ عنده ملكة التبرير، فتجده في آنِ كذبه مستوفياً لصياغة العذر الذي يمنحه تخديراً مؤقّتاً.
- الكذب يمنح مريديه مهدّئاً مؤقّتاً، وهروباً إلى أماكن ضيّقة المساحة وقصيرة الخطوات، ستوقعه في تناقضات، فحبال الكذب قصيرة.
- الكذب من النفاق، بل هو البيئة التي تنمو فيها بذور النفاق، وما النفاق

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٤٣ ح ٢١.

(٢) انظر: جامع السعادات، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٤٧.

في واقعه إلّا وليد للكذب.

- الكذب يسقي باب كلّ شرّ، كما يسقي الماء أصول الشجر.
- الكذب شرّ عظيم، لأنّه يستبطن شركاً بالله تعالى، لأنّ الكاذب يظنّ في كذبه نجاةً له، فيكون معتقداً بأنّ الكذب هو المنجي له وليس هو الله تعالى.
- إذا ما اختلّ البناء الداخلي للمؤمن القائم على أرضيّة الصدق، واصطبغ بالكذب فإنّ ذلك سيُعتبر خروجاً سافراً عن الفطرة السليمة وعن الإيمان.
- الكذب على النبي صلّى الله عليه وآله هو كذب على النبوّة والرسالة وليس على الشخص نفسه، فيكون الكاذب عليه عمداً قاصداً تزييف النبوّة.
- الكذب على الأقرباء والأصدقاء والناس هو الخطر المحدق الذي يمزّق النسيج الاجتماعي، ويجعله متهالكاً.
- لنجاة مجتمع من السقوط والتهالك، ليس أمامه إلّا إغلاق فوهة بئر الكذب بصخرة الصدق، فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور.
- الكذب المتعلّق بشيء من أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم هو المستنقع الذي تطفو على أوحاله رُوح العداوة والشحناء بين أفراد المجتمع.
- قيل بجواز الكذب في موارد، ولكنّه مجرّد توهّم، فالكذب الصريح حرام، ولا يمكن أن تكون الخطيئة موضوعاً للجواز، فلابدّ من حملها على التورية.
- الركون إلى الكذب واعتباره الحلّ في الخروج من المآزق، سيُفقِد الإنسان الإحساس بقبحه، لاسيّما إذا أصبح ظاهرة قد تبلغ بالبعض أن يأنس بها.

- من لا يشعر بقبح الكذب والنفرة منه فإنّه ولا ريب يكون قد أصبح فريسة لذلك الشعور الكاذب، وهو الأنس به.

مذاكرة

- ما هو الكذب؟ وما الذي يستلزمه؟
- كيف تثبت أنّ الكذب هو نقيض الصدق؟ وما هو الكذب القولي والفعلي؟
- ماذا تعني ملكة التبرير؟ وما دورها في تعميق خطيئة الكذب؟
- ما الذي يمنحه الكذب لمريديه؟ وما الذي يكشف عنه ذلك؟
- ما هي البيئة التي تنمو فيها بذور النفاق؟
- كيف يستبطن الكذب شركاً بالله تعالى؟
- ما الذي نستفيده من الحديث النبوي الشريف: (يُطبع المؤمن على كلّ خصلة ولا يُطبع على الكذب، ولا على الخيانة)؟
- متى يختلّ البناء الداخلي للمؤمن؟ وإلى أيّ شيء يؤدّي الاصطباغ بالكذب؟
- ما هي أنواع الكذب؟ ما هي أسوأ أنواعه وأبشعها؟ ولماذا؟
- ما هي علاقة الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله بالنبوّة؟
- هل يعتبر نفي شيء قطعيّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله نوعاً من الكذب عليه؟ ولماذا؟
- كيف يُمزّق الكذب النسيج الاجتماعي؟
- الكذب على الناس على شطرين، ما هما؟ وما هي صورهما؟
- ماذا نعني بشهادة الزور؟ وما هي علاقتها بالكذب؟ وكيف يمكن تصوير بشاعتها قرآنياً؟

- ماذا نعني بادّعاء المقامات العلمية والدينية والمعنوية من غير استحقاق لها، وما صلتها بالكذب؟ وضمن أيّ نوع وشطر تقع؟
- ما هي الموارد التي قيل بجواز الكذب فيها؟ وما هو الصحيح فيها؟
- متى يفقِد الإنسان إحساسه بقبح الكذب؟
- اذكر ثلاثاً من أسباب الكذب المتواصل، ومع بيان العلاجات الناجعة.
- ما هو السبب الداعي للكذب المتواصل الذي يكمن علاجه في العودة للذات؟
- ثقافة الصمت والاقتصاد في الكلام علاج لأيّ شيء؟
- ما هي علاقة العُجب بالنفس، وإخفاء العيوب بالمحاسن المصطنعة بتواصل الكذب؟
- هل يمكن للكذب أن يكون معدياً؟ وضّح ذلك مع بيان طريقة العلاج؟

الدرس التاسع

الصدق مفتاح التقوى، والتقوى مفتاح الملكوت

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى التقوى
- التقوى في (القول والفعل)، وفي (الظاهر والباطن)
- علاقة التقوى في التمحّض في العبودية لله تعالى
- الصدق مفتاح التقوى
- التقوى مفتاح الملكوت
- الصدق هويّته ملكوتية
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- التعرّف على معنى التقوى
- بيان التقوى في القول والفعل، وفي الظاهر والباطن
- تصوير علاقة التقوى في التمحّض في العبودية لله تعالى
- التأسيس لكون الصدق مفتاح التقوى
- التأسيس لكون التقوى مفتاح الملكوت
- بيان كون الصدق هويّته ملكوتية

تمهيد

سيدور هذا الدرس حول جدلية العلاقة بين الصدق والتقوى والملكوت، وهذا ما يقتضي التعرّف على معنى التقوى، والكشف عن علاقة التقوى بالقول والفعل، وبالظاهر والباطن، ثمّ تصوير علاقة التقوى في التمحّض في العبودية لله تعالى، وأنه من دون تحقيق هذا التمحّض فإنّ هنالك خللاً واقعاً في مصداقية الصدق والتقوى معاً، كما ستتعرّف على التأسيسات الأوّلية لمفتاحية الصدق للتقوى، ولمفتاحية التقوى للملكوت أو لانفتاح العين الغيبية، وأخيراً إثبات كون هويّة الصدق ملكوتية، ليتأكّد عندها معنى الانعتاق عن الدنيا، الذي هو بمعنى الانتماء للملكوت بقدمي الصدق والتقوى، لا بمعنى الترك المطلق للحياة الدنيا.

معنى التقوى

التقوى مِن (وَقى)، فتكون بمعنى الوقاية، والوقاية هي حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه، فتكون للنفس حصناً ووقاءً لها ممّا يُخاف عليها، وقد اصطلح عليها في البحث الديني والأخلاقي بحفظ النفس عمّا يؤثِم، وذلك بترك مطلق

المحرّمات والمحظورات[١]، فتكون محصّلتها هي التروك، أي: تروك ما تتضرّر به النفس، وتحديداً من الذنوب والآثام، وبالتالي هي برمجة لتروك ما يقف عائقاً أمام تحصيل الكمال.

قال السيد الطباطبائي: «المراد بالتقوى بعد الإيمان: التورّع عن محارم الله واتّقاء الذنوب التي تحتّم السخط الإلهي وعذاب النار، وهي الشرك بالله وسائر الكبائر الموبقة التي أوعد الله عليها النار»[٢].

التقوى في (القول والفعل)، وفي (الظاهر والباطن)

إنَّ السفر المعرفي والكدح المعنوي يطلبان زاداً ومؤونة ومعونة، وليس هنالك أفضل زاداً من التقوى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (البقرة: ١٩٧)، لأنّها الزاد الذي يُمكّن الإنسان من أن يقي نفسه من الآثام والشرور، ولأنّها خير السُبل لتحصيل ذلك فهي خير الزاد، ولا شيء أعظم من حفظ النفس من الزيغ ووسوسة الشياطين، ولذلك فإنَّ غير المتّقين عادةً ما تجد قلوبهم مرتعاً للآثام ومحفلاً للأخطاء، ومَن كان قلبه كذلك صار في معزل عن التفكير بالحقيقة فضلاً عن عدم التصديق بها، وفضلاً عن عدم الوصول إليها؛ وقد نبَّه رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى هذه الحقيقة بقوله: «**لولا تكثير في كلامكم، وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع**»[٣]، وقد جاء الحديث بألفاظ قريبة، نحو: «**لولا تمريغ قلوبكم أو**

---

(١) انظر: المفردات في ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: ص٥٣٠ (وقى)، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، انتشارات ذوي القربى، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، قم.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٦ ص ٣٧.

(٣) انظر: صريح السنّة، مصدر سابق: ص ٢٩؛ معراج السعادة، للشيخ أحمد بن الشيخ

تزيّدُكُم في الحديث لسمعتم ما أسمع»[١]، و: «**لولا تمزّع قلوبكم، وتزيّدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع»**[٢].

وهذا يعني أنَّ معاينة الحقيقة وسماع صوت الحقّ بألسنة الغيب أمر ممكن تحقيقه لغير الأنبياء أيضاً، وطريق تحصيله بتقوى الله في القول والفعل، فالتزيّد في الحديث منافٍ للتقوى في القول، كما أنَّ عدم طهارة القلب المشار إليها بالتمريج والتمريغ والتمزّع هي الأخرى سبب مباشر في خفاء الحقيقة، والميول إلى الخطيئة، فيكون حفظ اللسان والقلب بالتقوى شرطين في تقصّي الحقيقة والتحقّق بها، ومنه يتّضح أنّ العين الغيبية هي ابنة الطهارة والكمال وليست منحصرة بأُناس دون آخرين، أو قل بأنّ الحقيقة هي ابنة طلاّبها بالحقّ، وأبوابها مشرعة أمام الجميع، فإنّ غير أهل العصمة يسمعون صوت الغيب ويرون حقائقه، وإن كان أهل العصمة من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام أسرع وصولاً وأكمل تحقّقاً ممّن سواهم[٣].

ولو كان الأمر مختصّاً به صلّى الله عليه وآله لما نبَّه إلى طريق تحصيله، وكيف وقد جاء صلّى الله عليه وآله ليؤدّي وظيفته الإلهية القائمة بمهامّ التبليغ والتبيين لِما نُزِّل للناس في القرآن الكريم، وهذا ما تنبّه له صاحب الفتوحات، حيث يقول في تعليقة له على الحديث الآنف الذكر: «قد أبان عن الطريق الموصلة إلى المقام الذي منه رأى ما رأى وسمع ما سمع، فهل يوجد من يزول عنه هذا المانع

مهدي النراقي: ص ١١، الطبعة الحجرية.

(١) تقدّم تخريج الحديث.

(٢) تقدّم تخريج الحديث.

(٣) انظر: الإنسان الكامل، للشيخ مرتضى مطهَّري: ص ١٣٨، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، الناشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣ هـ، قم.

فيصل إلى هذا المقام أم لا؟ فنحن نقول بأنّه يزول، فإنَّ الله قد أمر أن يبيّن للناس ما نزِّل إليهم، وما أبان عن مانع من رقي إلى مرتبة علياء إلا ليزال، ولا ذكر منزلة زلفى إلا لتنال، فمن جدّ وجد، ومن قصَّر فلا يلومنَّ إلّا نفسه»[١].

فالتقوى في القول سلَّم معرفي تُنال به مراتب معرفية ومعنوية، فتكون زاداً يتقوَّت بها طالب الحقيقة والسائر على الطريق، ولذلك فهي مفتاح حقيقيّ لعالم الملكوت، كما أنَّ التقوى في العمل هي بمثابة الباطن للتقوى في القول، فالأُولى ظاهر منشور، والثانية باطن مستور؛ وهذه التقوى بقسميها ملاكها الحقيقي هو الصدق، فلا تقوى بلا صدق، وقد جاءت الوصيّة بها، والتعبير عنها بأنّها هي الزاد، وليست مجرّد أفضل زاد.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «**أوصيكم عباد الله بتقوى الله، التي هي الزاد، وبها المعاد [المعاذ]، زاد مبلغ، ومعاد منجح؛ دعا إليها أسمعُ داعٍ، ووعاها خير واعٍ، فأسمع داعيها، وفاز واعيها**»[٢].

وللتقوى الظاهرية والباطنية بُعد آخر غير ما يُناسب منها القول والفعل، فهنالك من لم يوافق ظاهره باطنه، فيُظهر شيئاً ويُخفي شيئاً آخر، وهذا وإن كان مندرجاً تحت الحالة النفاقية إلّا أنّه يمثّل حالة من غياب التقوى، فيكون من قبيل ما جاء فيهم قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾ (البقرة: ١٤)، وهذا الخلاف بين

(١) الفتوحات المكّية، للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي: ج ٥ ص ١٩٤، الضبط والتصحّح والفهرسة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ، بيروت.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٢٣ خطبة: (١١٤). وقد ورد في نسخة الشرح لابن أبي الحديد كلمة (المعاذ) بدلاً عن (المعاد)؛ انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٧ ص ٢٥٠ خطبة: (١١٣)، نشر: دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

الظاهر والباطن بأيِّ مرتبة كان ينعكس على طهارة القلب سلباً، ويغلق أبواباً ما كان لها أن تُغلق، فمَن يطلب الحقيقة في الظاهر ويتعبَّد بشيء آخر في باطنه لا يمكنه الوصول إلى الحقائق القرآنية البتّة.

بعبارة أخرى: مَن يُظهر التعبّد لله تعالى والطاعة له، ويُظهر العناية بالقرآن الكريم ومقاصده، ولكنّه في سرِّه وباطنه غافل ومتقاعس وكسول، فإنّه لن يصل إلى الحقيقة والمقاصد القرآنية المتعلِّقة بالعبادة والطاعة لله تعالى، لأنَّ التقوى ظاهراً وباطناً مجلى للقلوب، وسُلّم يرتقي من خلاله طلاب الحقيقة للحقِّ والحقيقة.

جدير بالذكر: أنَّ طريق التقوى وإن كان سالكاً وباباً مُشرعاً إلّا أنّه لا يسلكه الكثير، ولا يتحقَّق به إلّا القليل، لاسيَّما التقوى في العمل، ولذلك فإنَّ التربية التقوائية وهي خلاصة التربية الدينية لا تحصل إلّا لأفراد خاصّة، يتّقون الله في أقوالهم وأعمالهم، تحكمهم العبودية لله تعالى لا غير، فاتقَوا الله حقَّ تقاته، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، والاختلاف في الاستجابة والتحقّق بالتقوى ـ قولاً وعملاً ـ مرجعه اختلاف الناس في طبائعهم وأفهامهم، كما هو الحال في جميع الكمالات الاجتماعية من حيث التربية، ولكن تبقى الدعوة لتحصيل الدرجة القصوى من كلّ كمال، ومنه التقوى، فينالها بعضٌ ويخفق البعض الآخر، بحسب اختلاف مراتب الاستعدادات[1].

علاقة التقوى في التمحّض في العبودية لله تعالى

إنَّ الطهارة القلبية مفادها طرد الأغيار عن حرم القلب، والتقوى في القول والفعل مفادها الكينونة في العبودية الخالصة لله تعالى، فلا تحكمهم الأهواء، ولا

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٣ ص ٥٨.

تُسيِّرهم الأجواء، فإذا لم تكن محصّلة الطهارة والتقوى تمحَّضاً في العبودية لله تعالى فذلك مؤشّرٌ واقعيّ إلى عدم خلوّ القلب من حاكمية الأغيار، ولسانٌ ناطق بوجود خلل ما في محصّلة التقوى، ولذلك لا يكفي التطهير وحده، ولا التقوى وحدها، إذا لم نتمحَّض في عبوديّته لله تعالى، فإنَّ التقوى إذا كانت هي مفتاح عالم الملكوت فإنَّ التمحّض في العبودية لله تعالى هو الملكوت بعينه، فلا معنى لدخول الملكوت بدون التمحّض في العبودية له سبحانه.

وبذلك ترتسم أمامنا هذه العلاقة الكمالية الطولية بين الصدق والتقوى والتمحّض في عبادة الله تعالى وانكشاف الملكوت، فالصدق طريق التقوى، والتقوى طريق الغيب والملكوت، والملكوت هو المقارن للتمحّض في العبودية لله، والتمحّض في العبودية لله يكمن في طرد الأغيار، وهذه هي خلاصة التوحيد.

ولعلّ من أهمّ وأعقد موارد طرد الأغيار عن القلب هو طرد حبّ الذات والنفس، فوجود ذلك الحبّ يجعله مطلوباً في عرض مطلوبية الحقّ، ولا ريب أنَّ هذا المقام المعنوي إذا لم يكن عسيراً فهو صعب؛ ولذلك فإنَّ للوصول إلى الحقيقة لابدَّ من خوض رحلة الجهاد الأكبر وخوض المعارك الكبرى والنزالات العظمى مع قوى النفس وأهوائها، فإذا ما وجدنا تفاوتاً في مراتب الوصول بين طالبي الحقيقة، فذلك أمر طبيعيّ؛ نظراً لاختلاف المراتب المعرفية والمعنوية التي عليها الناس، أو قل: لاختلاف درجات التمحُّض في العبودية لله تعالى.

وقد يرتقي البعض في تمحّض عبوديته لله تعالى فيصل إلى مرتبة يرى فيها الالتفات إلى نفسه وذاته ذنباً لا يُقاس به ذنبٌ آخر[1]، وهذا ما يجعله مؤهَّلاً

---

(١) قال الشيخ الجنيد: ما انتفعتُ بشيءٍ انتفاعي بأبيات سمعتها ـ من جارية ـ تقول:

وإن قلتُ: ما أذنبتُ؟ قلتِ مجيبةً   حياتك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبُ

وفيات الأعيان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان: ج ١ ص ٣٧٤، نشر:

للتخلّص من مقتضي النزاع بينه وبين ربّـه[(١)]؛ «فـإنّ حجـاب الإنّيـة هـو أكثـف الحُجب وأعقدها حيث يحتجب القطْرُ عن البحر؛ وممّا لا شكّ فيه أنّنا لا نلتفـت إلى حجاب (الأنا) ما دُمنا منطلقين منها في كـلّ حركاتنـا وسـكناتنا، فتغيـب في حضور النفس تلك الحقائق العُلوية عن أبصارنا، كـما لا ينبغـي الـشكّ في كـون الباني الأوحد لهذا الحجاب، وغيره من الحُجب، هو الإنسان نفسه، فإنّ السالك كلّما اصطدم بحجاب ـ سواء كان ظلمائياً أو نورانياً ـ فإنّه هو المقـوّم لـه بنفـسه، وأمّا الجهة العلوية فإنّها لا يمكن أن تحتجب بأيّ حجاب من تلقـاء ذاتهـا، لأنّهـا نور السماوات والأرض، فكيف تغيب عن أحـد؟ أو قـل هـي الفـيض الإلهـي، وفيضه سبحانه هو منحته الدائمة لخلقه.

من هنا نجد التعبير القرآني لواقع حالنـا يُنبّـه إلى حقيقـة احتجابنـا عـن الله تعالى، قال تعالى: ﴿**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾؛ فإنّيّـة الـنفس والذات مانعة عن الانفتاح على ذلك الأُفق النوراني الذي لا يحدّه حدّ»[(٢)].

مؤسّسة الشريف الرضي، طبعة ١٣٦٤ ش، قم المقدّسة؛ منازل السائرين، لأبي إسماعيل عبد الله الأنصاري، شرح كمال الدين عبد الرزاق القاساني، تحقيق وتعليق: مُحسن بيدارفر: ص٣٠٢، انتشارات بيدار، الطبعة الثانية، ١٣٨١ ش، قم المقدّسة.

(١) إنَّ النفس تبقى تنازع الإنسان ما عاش الدهر، فاقتضى الأمر جهاداً مستمراً، وهو الجهاد الأكبر المصحوب بلطف ربّانيّ خاصّ، وهو ما نبَّه له الحلّاج بقوله:

بيني وبينك إنّي يُنازعني　　　فارفع بلطفك إنِّي من البينِ

انظر: ديوان الحلاّج، للحسين بن منصور الحلاّج (ت: ٣٠٩ هـ): ص ٥٧، وضع حواشيه وعلّق عليه: محمّد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، بيروت.

(٢) من الخلق إلى الحقّ (مراتب السير والسلوك إلى الله)، للسيّد كمال الحيدري: ص ٨٦ ـ ٨٧؛ والآية: (ق: ٢٢)، بقلم: طلال الحسن، نشر: دار فراقد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ، قم.

فإذا ما تجاوزنا حجاب النفس أشرقت علينا المعارف الحقَّة، وهذا ما يكون بواسطة الانقطاع التامّ لله تعالى، أو كما أسماه أمير المؤمنين علي عليه السلام بكمال الانقطاع، حيث يقول عليه السلام في دعاء له: «**إلهي! هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور**»[1]، بمعنى الخروج من منزل الذات والذاتية ومن كلّ شيء وكلّ شخص، للارتباط به والانقطاع عن الغير، فتكون النفس غير منظورة، لا أنّها غير موجودة، ليُعاين ويشهد بعين القلب، ويتزوَّد بها اتّسع له قالبه المعرفي والمعنوي، وهذا ما سنتعرّف عليه في حلقة أخرى من الأخلاق التعليمية[2].

الصدق مفتاح التقوى

وفق المقدّمات الآنفة ترشّح أنّ الصدق هو مفتاح التقوى، وقد عرفنا مقداراً معرفياً كبيراً من الصدق وواقعيته ومكامنه، كما قد عرفنا مقداراً معرفياً

---

(١) إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٩٩.

(٢) في الحلقة السادسة من هذه السلسلة، حيث سيتناول السيد الأستاذ (دام ظلّه) أنّ الإنسان الذي تنفتح عينه الغيبية يبقى السلّم الارتقائي أمامه، حتى يصل إلى مرتبة الغياب الأخير، ولسان حاله يقول: «وجودي أن أغيب عن الوجودِ بما يبدو عليّ من الشهودِ». (الرسالة القشيرية، عبد الكريم بِن هوازن القُشيري: ص١٣٣، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، نشر: بيدارفر، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ش، قم). وهو ما يُسمَّى باصطلاح العرفاء بفناء الذات، فينمحي الاسم والرسم، ولا يُلحظ في الوجود سوى الله سبحانه. (انظر: رسالة الولاية، للعلامة محمّد حسين الطباطبائي: ص٢١٥ ـ ٢١٨، مطبوع ضمن كتاب طريق عرفان، ترجمة وشرح رسالة الولاية، نشر: بخشايش، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢ ش، قم). فتكون كلّ عينة وجودية منهم مندكّة في أصلها ومرجعها الوجود الواجبي؛ كما تندرج القطرة في البحر، وهذا هو معنى الفناء الحقيقي للذات، فلا غضاضة بعد ذلك إذا ما سُئلت القطرة: ما أنتِ؟ فتقول: أنا البحر. (انظر: مراتب السير والسلوك، مصدر سابق: ص ٨٦).

نافعاً من التقوى، ولكن لم يتّضح لنا بعد وجه العلاقة الصميمية بين الصدق والتقوى، أو قل: سرّ الارتباط الوثيق بينهما، فما هي طبيعة تلك العلاقة وذلك السرّ؟

لو تأمّلنا قليلاً في واقعية التقوى، وهي بمعنى التروك لكلّ موارد الذنوب والآثام، وتحصيل الوقاية والتحصين للوقوف بقوّة وحزم أمام عصف الابتلاءات المتوالية، والخروج منها بالأمن والطمأنينة والتكامل والسلام، فإنّنا نجد أنّ مواجهة أيّ إغراء دنيويّ لا يُمكن تحقيق الغلبة فيها من دون الارتكاز على أرضيّة الصدق في المكاشفة والمواجهة، فغضّ الطرف عن مواطن الضعف، أو غضّ الطرف عن تفاقم الحالة، أو غضّ الطرف عن الحلول الصحيحة، فإنّ ذلك يكشف عن غياب الصدق من جهة وعن غياب التقوى من جهة أخرى، فالتقوى المانعة تقتضي الانصراف عن الموبقات، والانسلاخ عن أصدائها المدوّية في النفس، وهذا لن يكون من دون التزوّد بنورانية الصدق، فالتقوى تقتضي الانصراف عن الموبقات، والانصراف يقتضي الارتكاز على أرضيّة ثابتة، وهي أرضيّة الصدق في النيّة والقول والفعل، فتكون النتيجة البيّنة هي توقّف التقوى على الصدق، وأنّنا إذا ما أردنا ارتداء ثوب التقوى، الذي هو خير ـ قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦)، بل هو الخير كلّه؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: ١٩٧) ـ فإنّه علينا التحقّق بالصدق؛ فإنّ غياب الصدق سوف يقطع الطريق تماماً عن أدنى مراتب التقوى، وبقدر غياب الصدق يكون غياب التقوى، وبقدر غياب التقوى يكون الانكباب على المعاصي.

التقوى مفتاح الملكوت

بعد تلك النتيجة الموجزة حول العلاقة الوطيدة بين الصدق والتقوى، ومفتاحية الصدق للتقوى، يأتي الكلام عن مفتاحية التقوى للانفتاح على عالم

الملكوت، والملكوت له إشراقة في النفس، فهو ليس عالماً منفصلاً عن عالم الظاهر، فلكلّ ظاهر باطن، ولكلّ باطن ظاهر، وباطن هذا الظاهر المحسوس هو الملكوت، وباطن البدن الظاهر هو الروح، والروح حاضرة ولكنّنا لا نعرف سرّها ونجواها؛ لأنّنا نفتقد إلى أدواتها وأبجديتها، فهي ليست غيباً مطلقاً، فنحن نتعايش معها، وندرك آثارها، ولكنّ هذا المقدار لا يكفي، فلابدّ من أداة صميمية تكون هي السبيل إليها، فالروح مجرّدة بسيطة، ملكوتية الكينونة والنشأة، مادّية الأثر، وهذه هي الصفة الطبيعية لعالم الملكوت، فهو مجرّد الكينونة، مادّي الأثر، فيكون الانفتاح على الروح هو عينه الانفتاح على الملكوت، فلابدّ من وسيلة ملكوتية تنجدنا من الانصياع لإغراء المادّة، وليس هنالك سوى التقوى، فالتقوى هي مفتاح الروح، أو قل هي مفتاح الملكوت، وبالتالي فليس من المنطقي أن نتطلّع إلى التزوّد بعين غيبية ونحن نفتقد إلى أبجدية الغيب، وهي التقوى، وليس من المنطقي أن نتطلّع إلى التزوّد بالتقوى ونحن نفتقد إلى أبجدية التقوى نفسها، وهي الأرضية الثابتة، أي: الصدق، ولذلك فالصادقون وحدهم هم المؤهّلون لارتداء لباس التقوى، والمتّقون هم وحدهم المؤهّلون لدخول عالم الملكوت والكينونة فيه عن وعي ويقظة، وستتّضح عندنا هذه المعاني الدقيقة بنحو أفضل وأشمل وأدقّ عند البحث في (وحدة المقصد والرحلة إليه)[1]، حيث سيتّضح هنالك أنّ التقوى هي هويّة المتّقين، وأنّ المتّقين وحدهم الذين ينعمون بالهدى القرآني الوارد بيانه في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (البقرة: ٢)، وأنّ الهدى القرآني هو هدى الله، وهدى الله هو التسليم لله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام: ٧١)، وكأنّ الخريطة الإلهية

(١) في الحلقة الأخيرة من هذه السلسلة التعليمية، وهو خاتمة هذه السلسلة.

القرآنية هي خريطة الفصل عن المعصية، والوصل بالطاعة، وبين الفصل والوصل تتجلّى معاني الصدق والتقوى.

الصدق هويّته ملكوتية

وفي ضوء الجدلية والارتباط الآنف الذكر بين الصدق والتقوى والملكوت، وجدنا أنّ التقوى هي قبس الملكوت، أو قل هي أبجدية الملكوت، وأنّ الصدق هو أبجدية التقوى، فيتّضح أنّ هويّة التقوى ملكوتية بامتياز، وحيث إنّ التقوى متوقّفة على أرضيّة الصدق فإنّ السطح الملكوتي وأشرعة التجرّد فيه سوف تظلّل على الصدق نفسه، ولذلك صار من المنطقي أن نصِفَ هويّة الصدق بالملكوتية، فملكوتية الصدق ليست صفة عارضة، بمعنى أنّ الامتداد الطبيعي بين الصدق والتقوى والملكوت يجعل الصدق منتمياً للسطح الملكوتي، فالارتباط واقعيّ، وهذا ما يجعلنا نقول ونلتزم بأنّ هويّة الصدق ملكوتية، ويمكننا أن نحسّ بهذه الملكوتية للصدق من خلال تجلّي قيمته العُليا في النفس، ومن خلال ما يزرعه الصدق من أمنٍ وطمأنينة وسلام في النفس، وعندما يكون الصدق منجاة حقيقية فهو قيمة ملكوتية الطبع، وعندما يكون الصدق بانياً للإيمان فهو قيمة ملكوتية الطبع، وعندما يكون الصدق هو النافع يوم القيامة فهو قيمة ملكوتية الطبع.

إنّ التعبير بملكوتية هويّة الصدق لا نريد به التوصيف المجرّد، وإنّما نريد به واقعية الالتفات إلى هذا الانتماء، ومتى ما وقع هذا الالتفات فإنّ الانعتاق المطلوب من الدنيا وبراثنها سوف يكون قريب المنال، ومعنى الانعتاق هو أن تكون حركة الإنسان أخروية محضة، لا بمعنى ترك الدنيا، فذلك هروب ومناقض لرسالات السماء، وإنّما بمعنى عدم الانتماء لها، وهنالك فرق عظيم بين الترك لها وبين عدم الانتماء، فالأنبياء عليهم السلام هم عاملون في الحياة الدنيا، ولكنهم بالطبع أخرويو الانتماء، وهذه هي المحصّلة التي عنيناها بالانعتاق،

حيث لا نريد الانقطاع، وإنّما نريد عدم الانتهاء، فالانتهاء للدنيا هو انتهاء لزوالها القريب وفنائها المنظور، بخلاف الآخرة، فالانتهاء لها هو انتهاء للخلود والبقاء، ومن هنا يتّضح لنا وجه أخر أدقّ وأعمق للصدق كقيمة ملكوتية وللتقوى كقيمة ملكوتية.

كلمات على الطريق

- لعظمة التقوى وجلال قدرها اتخذها القرآن الصفة الحاكية عن كلمة التوحيد (لا إله إلّا الله)، قال تعالى: ﴿**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**﴾ (الفتح: ٢٦)، وحيث إنّ كلمة التوحيد مشروطة بالعمل الصالح، بل مقرونة به، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ**﴾ (التغابن: ٩)، وأنّها تدعونا للتنزّه عمّا سوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ**﴾ (النحل: ٥٢)، لذا صحّ القول: بأنّ للتقوى ثلاث مراتب، أوّلها: التنزّه عن الشرك، وثانيها: التجنّب عن المعاصي، وثالثها: التنزّه عمّا يشغل عن الحقّ جلّ وعلا، والمرتبة الأخيرة هي أجلّ المراتب وأدقّها.
- قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**اعلموا عباد الله أنّ التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تقطع حُمَة الخطايا**»[1]، وقوله: (لا يحرز)، أي: لا يحفظ، و(الحمة)، هي سطوة الخطايا على النفس، أي: وبالتقوى تُقطع سطوة الخطايا وحاكميتها على النفس.

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢ ص ٥١ خطبة (١٥٧).

خلاصة الدرس

- التقوى من الوقاية، وهي حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه، فتكون حصناً له.
- التقوى في اصطلاح الأخلاق حفظ النفس عمّا يؤثِم، وذلك بترك المحظور.
- السفر المعرفي والكدْح المعنوي يطلبان زاداً، وليس هنالك أفضل من التقوى.
- معاينة الحقيقة وسماع صوت الحقّ بألسنة الغيب أمر ممكن تحقيقه لغير الأنبياء، وطريق تحصيله بتقوى الله في النيّة والقول والفعل.
- مفاد الطهارة القلبية هو طرد الأغيار عن حرم القلب، والتقوى في النيّة والقول والفعل مفادها الكينونة في العبودية الخالصة لله تعالى.
- جدوائية التطهير والتقوى تظهر فيما إذا تمحَّضنا في العبودية لله تعالى.
- من أهمّ وأعقد موارد طرد الأغيار عن القلب: طرد حبّ الذات والنفس.
- قد يرتقي البعض في تمحّض عبوديّته لله فيصل إلى مرتبة يرى فيها الالتفات إلى نفسه ذنباً لا يُقاس به ذنب آخر، وهذا ما يجعله مؤهَّلاً للتخلّص من مقتضي النزاع بينه وبين ربّه.
- إذا ما تجاوزنا حجاب النفس أشرقت علينا المعارف الحقَّة.
- لو تأمّلنا في واقعية التقوى سنجد أنّ الغلبة في مواجهة أيّ إغراء دنيوي لا يُمكن تحقيقها من دون الارتكاز على أرضيّة الصدق في المكاشفة والمواجهة.
- التقوى تقتضي الانصراف عن جميع الموبقات، والانصراف يقتضي الارتكاز على أرضيّة ثابتة، وهي أرضيّة الصدق.

- غياب الصدق يقطع الطريق عن أدنى مراتب التقوى، وبقدر غياب الصدق يكون غياب التقوى، وبقدر غياب التقوى يكون الانكباب على المعاصي.
- الملكوت له إشراقة في النفس، فهو ليس عالماً منفصلاً عن عالم الظاهر.
- ليس منطقياً التطلّع للتزوّد بعين غيبية دون أبجدية الغيب، وهي التقوى.
- ليس منطقياً التطلّع للتزوّد بالتقوى دون أبجدية التقوى، وهي الصدق.
- الصادقون وحدهم هم المؤهّلون لارتداء لباس التقوى، والمتّقون هم وحدهم المؤهّلون لدخول عالم الملكوت.
- الخريطة الإلهية القرآنية هي خريطة الفصل عن المعصية، والوصل بالطاعة، وبين الفصل والوصل تتجلّى معاني الصدق والتقوى.
- السطح الملكوتي وأشرعة التجرّد فيه تظلّل على الصدق نفسه، فصار منطقياً وصف هويّة الصدق بالملكوتية.

مذاكرة

- ما هي التقوى في اللغة والاصطلاح الأخلاقي؟
- ما الذي يتطلّبه السفر المعرفي والكدح المعنوي؟
- ما معنى: (لولا تمزّع قلوبكم، وتزيّدكم في الحديث لسمعتم ما أسمع)؟
- كيف تصوّر إمكان وتحقّق معاينة الحقيقة وسماع صوت الحقّ؟
- ما هو الظاهر المنشور، والباطن المستور؟
- ما هي علاقة التقوى بمن لم يوافق ظاهره باطنه؟
- من هو الذي لن يصل إلى الحقيقة والمقاصد القرآنية المتعلّقة بالعبادة؟
- ما هو مفاد الطهارة القلبية؟ وما هو مفاد التقوى في المقام؟

- ما معنى (لا يكفي التطهير والتقوى وحدهما دون التمحّض في العبودية)؟
- كيف تصوّر العلاقة الطولية بين الصدق والتقوى والتمحّض في عبادة الله؟
- ما هي أهمّ وأعقد موارد طرد الأغيار عن القلب؟ ولماذا؟
- كيف يصبح الإنسان مؤهَّلاً للتخلّص من مقتضي النزاع بينه وبين ربّه؟
- متى يمكن أن تُشرق علينا المعارف الحقَّة؟
- كيف نُحقّق الغلبة في مواجهة أيّ إغراء دنيوي؟
- ما الذي تقتضيه التقوى؟ وما الذي يقتضيه الانصراف عن الموبقات؟
- ما معنى قولنا: بقدر غياب الصدق يكون غياب التقوى، وبقدر غياب التقوى يكون الانكباب على المعاصي؟
- كيف تفسّر أنّ الملكوت ليس عالماً منفصلاً عن عالم الظاهر؟
- ما هي أبجدية الغيب؟ ولأي شيء تكون؟ وما هي أبجدية التقوى؟
- من هم المؤهّلون لارتداء لباس التقوى، والمؤهّلون لدخول عالم الملكوت؟
- ما هي الخريطة الإلهية القرآنية بالنسبة للطاعة والمعصية؟
- كيف صار منطقياً وصف هويّة الصدق بالملكوتية؟
- ماذا نعني بقولنا: ملكوتية الصدق ليست صفة عارضة؟
- ما هو معنى الانعتاق عن الدنيا؟ وكيف يتمّ ذلك؟

الدرس العاشر

مقوّمات إصلاح النيّة وعلاقة ذلك بالصدق

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى النيّة
- الأعمال بين النيّة المعنوية والرقمية الخارجية
- علاقة النيّة بالشاكلة
- النيّة هويّة العمل وصورته الباطنية
- القلب السليم صنيعة النيّة الصادقة
- تنبيهات حول إصلاح النيّة
- مقوّمات إصلاح النيّة
- آثار إصلاح النيّة
- مدخلية الصدق في إصلاح النيّة
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان معنى النيّة
- تصوير الأعمال بين النيّة المعنوية والرقمية الخارجية
- بيان كون النيّة هي هويّة العمل وصورته الباطنية
- عرض التنبيهات الخاصّة بإصلاح النيّة
- الكشف عن مقوّمات إصلاح النيّة وعلاقة الصدق بذلك
- بيان آثار إصلاح النيّة

تمهيد

البحث في إصلاح النيّة هو بحث محوريّ في دروس هذا الكتاب، كما أنّه بحث أساسيّ في موضوعة الصدق، وقد كان من المناسب البحث في محاور وتفصيلات أساسية تدور حول إصلاح النيّة، من قبيل دور الأعمال العبادية وغير العبادية بين النيّة المعنوية المطلوب تحقيقها، وبين الرقمية الخارجية التي لا ينبغي التوقّف عليها، ثمّ الكشف عن علاقة النيّة بالشاكلة والطبيعة التي يكون عليها الإنسان، ليتّضح أنّ النيّة أيّاً كانت ماهيّتها فهي هويّة العمل وصورته الباطنية، وبالتالي فإنّ القلب السليم الذي يشكّل هدفاً معنوياً لكلّ إنسان سويّ ما هو إلّا صنيعة النيّة الصادقة، وللوصول إلى ذلك كان لابدّ من عرض تنبيهات مهمّة تتعلّق بإصلاح النيّة، ثمّ العرض شبه التفصيلي لمقوّمات إصلاح النيّة، لننتهي بعدها إلى آثار إصلاح النيّة، كنتيجة طبيعية، وربط كلّ ذلك بواقعية الصدق.

ولو تطلّعنا في هذه العناوين الإجمالية نجدها تدور حول حقيقة لابدّ من الوصول إليها والتحقّق بها، وهي حقيقة تصفية النيّة من الأغيار، وتوجيه

بوصلة القلب إلى وجهة واحدة لا غير، وهي الوجهة الإلهية.

معنى النيّة

النيّة: هـي القـصد، والعـزم، والتـصميم، واصـطلاحاً: القـصد إلى الفعـل بعنوان الامتثال والقربة[١]، ويصحّ القول أيـضاً: أنّ النيّـة هـي القـصد والإرادة المحركة للإنسان نحو الفعل. وقد ذكر المحقق الطوسي بأنّها: القصد إلى الفعـل، وهي واسطة بين العلم والعمل، فما لم يُعلم الشيءُ ابتداءً فإنّـه لا يُمكـن قـصدُه، وما لم يقصده لم يصدر عنه[٢]، ولما كان غرض السالك العامـل هـو الوصـول إلى مقصد معيّن كامل على الإطلاق، وهو الله تعالى، فلابدّ مـن اشـتماله عـلى قـصد التقرّب به، فتكون النيّة في المقام قصد وجهه تعالى[٣].

الأعمال بين النيّة المعنوية والرقمية الخارجية

إنّ قيمة العمل في المنطق الإلهي ليس في رقميّته في الخـارج، وإنّـما في طبيعـة نيّته، وهذا ما نفهمه من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**إنّما الأعمال بالنيّات، ولكلّ امرئٍ ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره على الله، ومن غزا يريد عرض الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلّا ما نوى**»[٤].

---

(١) انظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري، للدكتور أحمد فتح الله: ص ٤٣١، تقديم د. عبد الهادي الفضلي، الناشر: مطبعة المدوخل، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، الدمّام، السعودية.

(٢) انظر: شرح أصول الكافي، للمازندراني، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٦٦؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٧ ص ١٨٥.

(٣) انظر: بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٧ ص ١٨٥.

(٤) ورد الحديث بألفاظ تحمل معاني متقاربة. انظر: تهذيب الأحكام: ج ١ ص ٨٣ ح ٦٧؛ ج ٤ ص ١٨٦ ح ٢؛ أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦١٨ ح ١٠؛ صحيح البخاري: ج ١ ص ٢؛ سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤١٣ ح ٤٢٢٧، باب النيّة؛ سنن أبي داود: ج ١

والمتصيّد من ذلك أنّ كلّ عمل هو رهن نيّته، وأنّ النيّة نفسها هي عمل منظور، فالعمل لا تترتّب عليه آثاره الدنيوية المتعلّقة بالآثار التكوينية، ولا الآثار الأخروية إلّا من خلال نيّته، فالنيّة هنا هي مفتاح قبول الأعمال، بل هي ميزان قيمية وتقييم الأعمال، ولذلك ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**نيّة المؤمن خير من عمله، ونية الكافر شرّ من عمله، وكلّ عامل يعمل على نيّته**»[1].

فيقع عمل العامل وفقاً لنيّته في النقص والكمال، وفي الردّ والقبول، «فالعمل تابع النيّة في الردّ والقبول والكمال والنقصان، وفرع لها، وهذا وجه آخر لكونها أفضل من العمل؛ لأنّ الأصل أفضل من الفرع»[2]، وفي الحديث لُوحظ الإيمان والكفر في تصنيف النيّة، ومن الواضح أنّ إضافة النيّة إلى صفتي المؤمن والكافر مشعر بالعلّية؛ لأنّ الوصف ـ كما هو ثابت في علم أصول الفقه ـ مشعر بالعلّية.

ولأنّ هذا التقديم فيه نوع من الإبهام نجد زيد الشحّام يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن ذلك، قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: إنّي سمعتك تقول: **نيّة المؤمن خير من عمله**، فكيف تكون النيّة خيراً من العمل؟ قال: **لأنّ العمل ربما كان رياء للمخلوقين، والنيّة خالصة لربّ العالمين، فيعطي تعالى على النيّة ما لا يعطي على العمل**. قال أبو عبد الله عليه السلام: **إنّ العبد لينوي من نهاره أن يصلّي بالليل فتغلبه عينه فينام فيثبّت الله له صلاته، ويكتب نَفَسَه**

ص٤٩٠ ح ٢٢٠١. مصادر سابقة.

(١) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٨٤ ح٢؛ المحاسن، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٦٠ ح٣١٥.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ٨ ص ٥١.

تسبيحاً ويجعل نومه عليه صدقة»[١].

قال القرطبي: «النيّة الصادقة هي أصل الأعمال، فإذا صحّت في فعل طاعة فعجز عنها صاحبها لمانع منع منها فلا بُعد في مساواة أجر ذلك العاجز؛ لأجر القادر الفاعل ويزيد عليه؛ لقوله عليه السلام: **نيّة المؤمن خير من عمله**، والله أعلم»[٢]، ويُمكن تحليل هذا التفضيل والتقديم من خلال أمرين، هما:

الأمر الأوّل: إنّما تقدّمت نيّة المؤمن على عمله لأنّ المركوز في نيّته هو اعتقاد الحقّ، وإطاعة الله تعالى حتى لو خُلّد في الدنيا، وهي خير من عمله؛ إذ ثمرتها الخلود في الجنّة، بخلاف عمله فإنّه لا يوجب الخلود فيها، وأمّا نيّة الكافر فالمركوز فيها اعتقاد الباطل ومعصية الربّ لو خُلّد فيها، وهي شرّ من عمله؛ إذ ثمرتها الخلود في النار بخلاف عمله.

الأمر الثاني: إنّ المؤمن ينوي خيرات كثيرة خارجة عن قدرته، وهو يثاب بها من دون عمل، فنيّته بهذا الاعتبار خير من عمله؛ لأنّ ثوابها أكثر من ثوابه، والكافر ينوي شروراً كثيرة لا يقدر على العمل بها، فنيّته شرّ من عمله[٣]، وما يساعد على ذلك هو الخبر المرويّ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه كان يقول: «**نيّة المؤمن أفضل من عمله؛ وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه، ونية الكافر شر من عمله؛ وذلك لأن الكافر ينوي الشرّ ويأمل من الشرّ ما لا يدركه**»[٤].

وفي خبر آخر أكثر وضوحاً وأدقّ دلالةً على المراد، رواه الصحابي سهل بن

---

(١) علل الشرائع، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي: ج٢ ص ٥٢٤ ح ١، الناشر: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م، النجف الأشرف.

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٩٣.

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٦٧.

(٤) علل الشرائع، مصدر سابق: ج ٢ ص ٥٢٤ ح ٢.

سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**نيّة المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيّته، وكلٌّ يعمل على نيّته، فإذا عمل المؤمن عملاً ثار في قلبه نور**»[١]، حيث فرّق بين (نيّة المؤمن)، و (عمل المنافق)، فنيّة المؤمن هي خير من عمله لأنّه يقصد فيها ما يدركه، أو يدرك فيها ما لا يُحقّقه في الخارج، وأمّا (عمل المنافق) فلا ريب أنّه خير من نيّته؛ لأنّه في نيّته يطلب أموراً عظيمة، ولا يقع منها إلّا القليل، فالمنافق ينعقد في قلبه أن يقوم بإضلال الأمّة المؤمنة بأسرها ولكنّه لا يتمكّن إلّا من القليل ممّا نواه وتمنّاه.

ومن ذلك كلّه يتبيّن: أنّ العمل له شباهة بالإنسان، فكما أنّ الإنسان له روح وبدن، فإنّ العمل كذلك، له روح وبدن، وروحه هي نيّته، وبدنه هو شخص العمل الخارجي، وحيث إنّ روح الإنسان خير من بدنه فكذلك نيّة المرء خير من عمله.

قال المازندراني: «إنّ النيّة روح العمل، والعمل بمثابة البدن لها، فخيرية العمل وشرّيته تابعتان لخيرية النيّة وشرّيتها، كما أنّ شرافة البدن وخباثته تابعتان لشرافة الروح وخباثته، فبهذا الاعتبار: **نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الكافر شرّ من عمله**»[٢].

علاقة النيّة بالشاكلة

قال تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً**﴾ (الإسراء: ٨٤)، والشاكلة هي الطريقة الطبيعة والسجيّة، قال الجوهري في معنى

---

(١) مجمع الزوائد، مصدر سابق: ج ١ ص ٦١، ج ١ ص ١٠٩، باب (في نيّة المؤمن وعمل المنافق). الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٧٨ ح ٩٢٩٦.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٦٧.

الشاكلة: (أي: على جديلته، وطريقته، وجهته)[١]، وقال الشيخ الطوسي في معنى الشاكلة: (أي: على طريقته التي تشاكل أخلاقه)[٢]، وفي المجمع: «كلّ واحد من المؤمن والكافر، يعمل على طبيعته، وخليقته التي تخلّق بها»[٣]، وفي الميزان: «والشاكلة هي السجيّة سمّي بها لتقييدها الإنسان أن يجري على ما يناسبها وتقتضيه»[٤]، وغير ذلك من الأقوال الموجّهة لمعنى الشاكلة، وهي بأجمعها مطابقة أو موافقة للمعنى اللغوي للمفردة، إلّا أنَّ هنالك بعض الروايات قد فسَّرت الشاكلةَ بالنيّة، ولعلّ السرّ في ذلك هو كون النيّة تنشأ عن الشاكلة التي هو عليها، فعن أبي هاشم، قال: «سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الخلود في الجنّة والنار؟ فقال: **إنّما خلد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنّما خلد أهل الجنّة في الجنّة لأنّ نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيّات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثمّ تلا** قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾، أي: على نيّته»[٥].

وعن سفيان بن عيينة، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ (الملك: ٢)، قال: «**ليس يعني أكثر عملاً، ولكن أصوبكم عملاً، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة والحسنة**»، ثمّ قال: «**الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي**

---

(١) الصحاح تاج اللغة، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٧٣٦.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٦ ص ٥١٤.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٦ ص ٢٨٦.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ١٣ ص ١٨٩.

(٥) أصول الكافي: ج ٢ ص ٨٥ ح ٥؛ المحاسن: ج ٢ ص ٣٣٠ ح ٩٤. مصدران سابقان.

العمل، ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، يعني: على نيّته»[١]، فهنالك ترقٍّ واضحٌ لمعنى النيّة ومقامها، فهي ليست مجرّد أفضل من العمل، بل هي العمل نفسه، وفي ذلك يقول المازندراني: «كان المراد ـ نظراً إلى ظاهر الاستشهاد ـ أنّ كلّ أحد بمنزلة من يعمل على نيّته، فإن كانت الطاعة أبداً فهو مطيع أبداً، فيستحقّ الخلود في الجنّة، وإن كانت نيّته المعصية أبداً فهو عاص أبداً، فيستحقّ الخلود في النار»[٢].

النيّة هويّة العمل وصورته الباطنية

الهوية هي ذاتيات الشيء وحقيقته، فهوية الإنسان تكمن في الحيوانية، وهي الجنس، وفي الناطقية، وهي الفصل، وهذه الهوية تساوق وجود الشيء نفسه، فوجود الشيء بذاتياته[٣]، ثمّ إنَّ النيّة لّما كانت أمراً قلبياً، والقلب معرَّض للإصابة بالأمراض والأغراض النفسية والدنيوية، فإنّ تنقيتها وتصفيتها وتمحيصها وإخلاصها بحيث لا يشوبها أيّ غرض غير رضا الله تعالى أمر صعب، وقد يكون لمن لوّثته الذنوب عسيراً، ولكنّه يبقى أمراً ممكناً وليس محالاً

---

(١) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٦ ح ٤. وقد روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في بيانه للآية، قال: «شاكلته: على نيّته». صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ١ ص ١٩.

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٦٩.

(٣) هنالك بحث يتداوله الفلاسفة منذ قرون طويلة، وهو البحث في أصالة الوجود أو أصالة الماهية، ووقع التنازع والخلاف في تحديد مصداق الأصيل والاعتباري منهما، وللسيّد الأستاذ (دام ظلّه) رأي آخر لا يتوافق مع المشهور القائل بأصالة الوجود واعتبارية الماهيّة، والرأي الآخر القائل بالعكس، حيث يرى (دام ظلّه) أنّ هنالك واقعية واحدة في الخارج تنطبق على الوجود والماهيّة معاً، فهنالك عينيّة معيّة للوجود والماهيّة معاً، ويمكن مراجعة رأيه (دام ظلّه) بالتفصيل في شروحاته للنهاية والأسفار، ودروسه العليا في الفلسفة والعرفان النظري.

حتى لمن أدمنوا المعاصي واستحوذت على قلوبهم ملكات الخطايا[1].

وفي أيّ صورة كانت التنقية والتصفية فإنّها تمثّل مقاماً رفيعاً لا يناله إلّا ذو حظٍّ عظيم، أو كما يُقال: الأوحديُّ من الناس، لاسيّما في النوايا الخالصة في كلّ قول وفعل، وبقطع النظر عن صدور العمل منه أو عدم صدوره، فإنّ صدوره هو الفعل المكمّل لعمل النيّة، وكأنّ النيّة هي الأساس والأصل، وقيمة ما بعده هو قيمة الفرع بالنسبة للأصل.

وهنا ينبغي أن يُعلم بأنّ النيّة هي الصورة الباطنية للعمل في الظاهر، بل هي حقيقة العمل في المنظور الإلهي، ولذلك ورد بأنّها خير من نفس العمل، لأنّ الجهد المبذول في الإخلاص فيها وتنقيتها يفوق كثيراً الجهد المبذول في أداء العمل الظاهري، فكلّ واحد منّا قادر على أداء الفعل الخارجي على أكمل وجه، ولكنّ القليل من الناس يُمكنهم تصفيةَ نيَّاتهم وتخليصها من الشوائب ـ من خلال الوسائل الصحيحة، كما سيأتي ـ التي خلاصتها هي تطهيرها من الأغراض الدنيوية، ليستقيم العمل بها، فإنَّ النيّة خير بالأصالة، والعمل خير بالتبع.

إنّ الصورة الباطنية لكلّ عمل إنّما هو تعبير آخر عن النيّة فيه، وهذه الصورة الباطنية لا تقتصر على النيّة فحسب، وإنّما عينها الصورة الباطنية للإنسان، فإنّ

---

(١) عن سفيان الثوري أنّه كان يقول: ما عالجت شيئا أشدّ عليّ من نيّتي؛ لأنّها تنقلب عليّ. وعن يوسف بن أسباط أنّه كان يقول: تخليص النيّة من فسادها أشدّ على العاملين من طول الاجتهاد. (جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: ص ١٣، الناشر: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، بيروت). وهذا وإن كان يحكي الصعوبة والعسر إلّا أنّه لا يغادر دائرة الإمكان، وهذا هو الصحيح، كما يرى السيد الأستاذ (دام ظلّه) في ذلك، ولذلك لابدّ من العمل على إصلاح النيّة، فإنّ صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النيّة.

جميع السلوكيات لها صور باطنية تشكّل بمجموعها صورة الإنسان، والتي من المحتمل جداً أن تتألّف هذه الصورة من صور جزئية غير متناسبة، كما لو أردنا أن نُشكّل حيواناً من أجزاء وأطراف مأخوذة من حيوانات مختلفة.

إنّ الخطورة الحقيقية تكمن في كون الناس سوف يُحشرون على صورهم الباطنية، أي: على نواياهم، وعندئذٍ سوف يظهر كلّ زيف بصورته الواقعية، كما سوف يظهر كلّ عمل خير بصورته الواقعية، ومن هذا وذلك تتشكّل الصورة الباطنية للإنسان، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ**﴾ (الطارق: ٩ ـ ١٠)، وقد ورد أنّه يحشر الناس على نيّاتهم يوم القيامة.

عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**إنّ الله يحشر الناس على نيّاتهم يوم القيامة**»(١)، فالإنسان قد يُظهر الإيمان والتقوى والصلاح، وقد يتمكن من خداع الناس بذلك، ولكنّه لا يستطيع أن يجلب معه ذلك العمل الصالح في ظاهره، لأنَّ الأعمال المقبولة مقرونةٌ بالنيّات، والصور الباطنية للأعمال ـ التي تمثّل حقيقة النيّة ـ سوف تكشف الحقيقة له وللجميع، فلا يسعه التكذيب أو الاعتذار والتبرير، فالناطق بواقع حاله وعمله الواقعي لا بوجوده الظاهري.

القلب السليم صنيعة النيّة الصادقة

القلب السليم اصطلاح قرآنيّ يُشار به إلى طهارة القلب، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩)، ولا

---

(١) المحاسن، مصدر سابق: ج١ ص٢٦٢ ح٣٢٥؛ الفروع من الكافي، للشيخ المحدث محمد بن يعقوب الكليني: ج٥ ص٢٠ ح١، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ، قم المقدّسة؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج٢ ص٣٩٢؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج٢ ص٢٢٧؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٦٨.

ريب بأنَّ صاحبَ النيّة الصادقة هو صاحب القلب السليم، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم؛ لأنّ سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النيّة لله تعالى في الأمور كلّها، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**»[١].

قال الشهيد الثاني: «النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة وتختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوّته وضعفه، وصاحب النيّة الخالصة نفسه وهواه معه مقهوران تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه»[٢]، والقلب السليم لا يكون على مرتبة واحدة، كما أنّ تطهير النيّة فيه مراتب، لأنّ القاذورات المعنوية لها صور مختلفة، وأعلى مراتب القلب السليم والنيّة الطاهرة هي مرتبة خلوّ القلب ممّا عدا الله تعالى، فعن سفيان عيينة أنّه قد سأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾، قال: «**القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه، قال: وكلّ قلب فيه شرك أو شكّ فهو ساقط، وإنّما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة**»[٣].

جدير بالذكر أنّ العمل ليس أشقّ من النيّة، بل الأمر بالعكس؛ لأنّ النيّة ليست مجرّد التلفّظ المخصوص، وحصول معناه في القلب، بل حصولها متوقّف على تنزيه الظاهر والباطن عن الرذائل كلّها[٤]، وستأتينا سبُل التنزيه والتطهير.

---

(١) رسائل الشهيد الثاني، للشهيد الثاني زين الدين علي الجبعي العاملي: ص ١٢٥، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، نشر: مؤسسة بوستان كتاب، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ، قم المقدّسة؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٧ ص ٢١٠ ح ٣٢.

(٢) رسائل الشهيد الثاني، مصدر سابق: ص ١٢٥.

(٣) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٦ ح ٥.

(٤) انظر: شرح أصول الكافي للمازندراني: ج ٨ ص ٢٦٧.

ثمّ إنّ العون الإلهي لعباده إنّما يكون على قدر نيّاتهم، وهذا من حكمته ولطفه بالعباد، فمن صحّت نيّتُه بلغه العون الإلهي، بل وبقدر ما يصحّ من نيّته أيضاً يبلغه العون، وهكذا من قصرت نيّته فقد قصر العونُ الإلهي عنه.

تنبيهات حول إصلاح النيّة

قبل الدخول في مقوّمات إصلاح النيّة نحتاج إلى التأكيد والتذكير بأمور يُمكن أن نُعبّر عنها بالتنبيهات، وهي أربعة، نعرضها كالتالي:

التنبيه الأوّل: ممّا ينبغي التأكيد عليه أنّ إصلاح النيّة أمر ممكن وليس محالاً، فقد يكون صعباً أو عسيراً، وهذا بحسب المكنة والاستعداد، والإرادة وقوّة القصد، ولا ينبغي التوهّم باستحالة حصول الإصلاح، ومع هذا الإمكان فالفرصة متاحة لعملية إصلاح النيّة.

التنبيه الثاني: لا بأس بتداخل النوايا الصالحة والخيّرة، وإنّما البأس كلّه يكون في النوايا المتعارضة، فمن تكون صلاته بقصد مرضاة الله تعالى، فإنّه يكون قد حقّق أو طلب الهدف الأسمى، ولكنّه قد تتداخل مع نيّته تلك نيّة أخرى لا تتقاطع معها، من قبيل نيّة دخول الجنّة والخلاص من النار، ففي هذه النيّة نجد عبادة الأحرار وعبادة التجّار وعبادة العبيد، فطلب المرضاة هو خلاصة عبادة الأحرار، وطلب الجنّة هو خلاصة عبادة التجّار، وطلب العتق من النار هو خلاصة عبادة العبيد، ولا مانع شرعيّ ولا معنويّ ـ ضمن هذه المرحلة الإصلاحية ـ أن تتداخل مثل هذه النوايا الثلاث في العمل الواحد، وإنّما المطلوب هو عدم اجتماع نوايا متعارضة ومتخالفة، كمن يُصلّي بنيّة الخروج من عهدة التكليف، فهو لا يقصد مرضاة الله تعالى ولا هو طالب للجنّة، ويضمّ إليها نيّة التوقّي من نقد الأصدقاء عند عدم الصلاة، وقد يضمّ إليها نيّة أخرى، وهكذا، فإنّ هذه النوايا متعارضة، ولا يصحّ اجتماعها معاً في العمل العبادي،

فكلّ قصد دنيويّ هو مفسد للنيّة الأخروية، ولذلك ينبغي التوجّه إلى أنّـه لـيس كلّ تداخل في النوايا في العمل الواحد يكون مرفوضاً أو مطلوباً.

التنبيه الثالث: أهمّية التوجّه إلى ضرورة تحقيق القدر المتيقّن من صـدق النيّـة في العبادة، فالعبادة بصفتها وسيلة لمقصد أخرويّ خالص لابـدّ أن تتجـرّد النيّـة فيها من أيّ مطلب دنيويّ، وإلّا فإنّ تلك العبادة ستكون شركـاً خفيّـاً، كـما هـو الحال في صور الرياء، حيث يكون المطلب الواقعي هـو الـدنيا وزخارفهـا، وممّـا يزيد الطين بلّة أن تُتّخذ العبادات طريقاً لاصطياد الدنيا، في حين أنّها كـما عرفنـا وسيلة لمقصد أخرويّ، فمَن طلب بها الدنيا فنصيبه ما طلب من الدنيا، ومَن طلب بها الآخرة فنصيبه ما طلبه في الآخرة، قال تعـالى: ﴿**مَـنْ كَانَ يُرِيـدُ الْحَيَـاةَ الدُّنْيَـا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَـيْسَ لَهُـمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (هود: ١٥ ـ ١٦).

التنبيه الرابع: لا ريب أنّ من أفضل طرق إصلاح النيّة: التعاطي بصدق مع النفس، والعمل على تعويد النفس على الصدق، فالصدق مُفضٍ إلى كلّ خير، كما أنّ المراقبة هي العمل الوقائي لحفظ النيّة من الشوب.

مقوّمات إصلاح النيّة

والآن نريد أن نستعرض مقوّمات هذا الإصلاح المطلـوب للنيّـة، فهنالـك عدّة أمور نتوسّم منها الوصول إلى محطّات الإصلاح، وبقدر توجّهنـا وتعاطينـا الإيجابي مع هذه الأمور فإنّ إصـلاح النيّـة سـهل الحـصول وسريـع، والعكـس بالعكس تماماً، وأمّا الأمور المطلوب تحقيقهـا والتـي تُـشكّل أطـراف مقوّمـات الإصلاح في المقام فهي:

الأمر الأوّل: الوعي بأهمّية العمل وتأثيره، فالإنسان بطبعه يعتنـي بـالأعمال المهمّة، فيُخلص فيهـا ويحـافظ عليهـا، فـإذا التفتنـا إلى أهمّيـة العمـل العبـادي،

كالصلاة مثلاً، وعـدم التعامـل معهـا كتكليـف شرعـيّ يرتفـع بمجـرّد صـحّة الظاهر، وإنّما نتعامل مع الصلاة بصفتها تمثّل الصلة وحلقة الوصل الحقيقية بالله تعالى فإنّنا سوف نلاحظ جهة الموصول به، وهو الله تعالى، وإذا التفتنا إلى أنّ هذه الصلة لا تحقّق أهدافها إلّا بحصر التوجّه إليه، فإنّ ذلك سـوف يـساعدنا كثـيراً على تصفية النيّة من الأغيار وتطهيرها.

الأمر الثاني: مصداقية الحبّ لله تعالى، فإنّ عموم الناس يدّعون هذا الحـبّ، ولكنّهم لا يجيدون رسومه، ولا يراعون حرمته، وهذا ما يوقعهم في حيرة وتخبّط فتحضر الأخلاط في نواياهم، فهم يودّون الخلاص من تلك الأخلاط، ولكـنّهم عاجزون عن تحقيق ذلك، وليس أمامهم سوى معالجة تلك المصداقية في الحبّ، ولابدّ أن تكون المواجهة مع النفس حقيقية، وأن يكون الردع حقيقياً أيضاً، فـإذا ما تيقّنا من واقعية هذا الحبّ، والتزمنا برسومه وراعينا حرمته فلا ريب في تحقيق الهدف المتعلّق بإصلاح النيّة، وهنا لابدّ من الالتفات إلى أنّ الإنسان مهما كثـرت خطاياه، ومهما تزيّفت نواياه فإنّ جذوة الحبّ الإلهي تبقى متّقـدة، ولـن تنطفـئ أبداً، ولكنّها بحاجة إلى توجّـه والتفـات، وعنـدما نتحـسّس حرارتهـا وفيـضها سنكون على مقربة من أثرها، ويشتدّ التعلّق بها، وتكون حركتنا باتجاه تنقية النيّـة من الشوائب والأغيار هو واقع حال.

الأمر الثالث: التعرّف على واقعية الإخلاص في العبادة، وذلك مـن خـلال التوجّه إلى مفاد قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (الفاتحـة: ٥)، فالـشتات الواقع في النيّة كثيراً ما يكون سببه هو عدم التعرّف على واقعية: ﴿**إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ**﴾، ولذلك لا يتحقّق الانبعاث نتيجـة تـأثير الأخـلاط وتـداخل الأغيـار، فيكـون التوجّه إلى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ موجباً للخلاص من الأخلاط والأغيار، أو عـلى أقـلّ التقادير يكون موجباً للعمل على تخليص النيّة من توجّه النفس للأغيار.

الأمر الرابع: درك عظمة مصانعة الوجه الواحد، فإنّ ذلك هو ما يُمكـن أن نسمّيه بالكيمياء المعنوية، والأكسير الأعظم، والوجه الواحد هو وجه الله تعالى، ومصانعته حصراً تعني الكفّ عن مصانعة الوجوه الأخرى، أي: طرد الأغيـار، وهذه هي الغاية المرجوّة، وأمّا الحصيلة الأخرى لهذه المصانعة المعنويـة فهـي أن نكون في مأمن من شرور الوجوه الأخرى، وقـد ورد في بعـض الآثـار: «صـانع وجهاً يكفك الوجوه كلّها»[1].

الأمر الخامس: التركيز على جهة واحـدة مـن الجهـات المرصـودة في النيّـة، فالنيّة المشوشّة عادة ما تكون مرتعاً للأغيار، والجهـة المطلوبـة في النيّـة لابـدّ أن يكون لها حضور ما، وهنا يأتي التركيز على هذه الجهة، لاسيّما في العبادات، وأمّـا في غير العبادات فلتكن الخطوة الأولى هـي التركيـز عـلى جهـة واحـدة وغـضّ الطرف عن الجهات الأخرى، حتى لو كانت الجهة التي تمّ التركيـز عليهـا هـي غير الله تعالى؛ فإنّ الهدف في المقام ليس هو الجهة، وإنّما هو نفس التركيز، فإذا مـا نجحنا في تحصيل القدرة على التركيز، وصار فنّاً يمكننا ممارسـته في كـلّ آنٍ فإنّـه سيكون من الطبيعي تحقيق تقدّم كبير في مسألة تطهير النيّـة مـن الأغيـار؛ لأنّنـا نمتلك صنعة التركيز، والذي به سنُقطّع أوصال جميع الصور الواردة، ولا يبقـى سوى صوت النيّة المطلوب إحضارها في المقام.

الأمر السادس: العمل على قدر الطاقة والاستطاعة، فذلك منجاة من

---

(١) قال أويس القرني: ما سمعت كلمة كانت للحكماء أنفع لي من قولهم: «صانع وجهاً واحداً يكفك الوجوه كلّها». تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، للورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري: ج ٢ ص ١٢٥، نشر: مكتبة الفقيه، قم المقدّسة. وقد نسب الشيخ مغنية هذه الكلمة الحكيمة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام. انظر: في ظلال نهج البلاغة، للشيخ محمد جواد معنية: ج ١ ص ١٠٨. (منشور في المكتبة الشاملة).

الوقوع في الإحباط واليأس، فإذا ما حمّلنا أنفسنا فوق طاقتها فإنّ الهزيمة في معركتنا الجهادية ستكون حتمية، والعمل بالقدر الممكن طريقة عقلائية، وسنّة قرآنية ـ قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦) ـ وسلوك تربويّ، ولا يمنع ذلك أن تكون للإنسان سقوف عالية على مستوى الطموح، ولكن في دائرة العمل والتطبيق لابدّ من التحرّك على قدر الطاقة والاستطاعة، ولتكن البداية مع الأشياء اليسيرة، التي يعتبر النجاح فيها هو القدر المتيقّن، ففي ذلك دافع معنويّ وتحفيز نفسيّ للانتقال إلى مرحلة أصعب، من قبيل التوجّه في الصلاة ابتداء إلى ضبط الأركان من حيث الشكل والصورة، ثمّ الانتقال إلى ضبط الطمأنينة في النفس، فلا نصلّي ونحن مضطربون، ثمّ الانتقال إلى تفهّم معاني ما نقول، ثمّ التوجّه بالقدر الممكن إلى ما يقع من جلال الله تعالى، فالصلاة جلالية، ولذلك يُشترط الخشوع في قبولها، والخشوع جلاليّ بامتياز، فإذا ما حصلت خشية ورهبة وحشرجة في الصوت فذلك هو الخشوع، أو قل: ذلك هو أثر الجلال الإلهي الوارد.

الأمر السابع: العمل على تحقيق المطابقة بين الظاهر والباطن، ومراقبة هذا التطابق، فلا يصحّ أن نقول شيئاً ولا نحققه في الخارج ما دمنا قادرين على تحقيقه، فذلك مضرّ بالنيّة، فضلاً عن كونه يُوجد حالة نفاقية، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ (الصفّ: ٢ ـ ٣)، من ذلك ما أُشير إليه في قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة: ٤٤)، فإذا ما تنبّه الإنسان إلى هذا التناقض، ثمّ انصرف إلى المعالجة فإنّه سيكون قد حقّق تقدّماً كبيراً في تنقية النيّة من الأغيار.

الأمر الثامن: عدم اليأس من الإخفاق وتكرار المحاولة، مع مراعاة المعالجة

التدريجية، فإنّ الإخفاق في المحاولة الأولى والثانية والثالثة قد يترك أثراً سلبياً خطيراً، وهو اليأس والقنوط من الخلاص من الحالة السابقة المزمنة، ولذلك علينا التزوّد بقوّة ردعٍ نحطّم فيها أصفاد اليأس وزنازين القنوط، فاليأس والقنوط أعظم ذنباً وخطورة وخسارة معنوية من عدم إصلاح النيّة.

الأمر التاسع: تكريس النجاح وتنميته عند الظفر به، وعدم التفريط به، فإنّ التفريط به يمثّل خسارة كبيرة، فإنّ كلّ إنجاز هو في واقعه مقدمة لتحقيق إنجازات أخرى، كما هو الحال في المعارك الصغيرة التي تصنع الانتصار الكبير في الحرب، ونحن في حرب صريحة مع النفس وأهوائها، في حرب مع الأغيار التي تحاول اغتيال الأعمال باغتيال النيّة الصادقة فيها، ولذلك علينا أن نتشبّث كثيراً بكلّ خطوة حقّقنا فيها نصراً وتقدّماً، فهي تكتنز زخماً معنوياً، كما أنّها تشكّل حلقة وصلٍ مهمّةً للخطوات الأخرى.

الأمر العاشر: ملازمة البرّ والتقوّى، وفيهما تكمن أسمى الحلول، ولو اكتفينا بهما حصراً لضمنّا السير بنحوٍ صحيحٍ في طريق إصلاح النيّة، وبقدر هذه الملازمة لهما يكون الإصلاح للنيّة، فالبرّ هو كلّ عمل صالح، وإن لم يُقصد به وجه الله، كنشر العلم وإعانة الفقراء واليتامى، فالتقوى هي الوقاء الحقيقي من كلّ الأدران والأمراض المعنوية، فتكون أمراض النيّة من أخلاط وشوب ومقاصد دنيوية معنيّة بالملاحقة والطرد، والتقيّ بطبعه منجذب نحو عمل البرّ، كما أنّ عمل البرّ يلقي بصاحبه في بحبوحة التقوى، ونعم ما قيل في ثنائية البرّ والتقوى: (البِرُّ هِمَّةُ التَّقيِّ، ولو تعلَّقت جميع جوارحه بحبِّ الدُّنيا لردَّته يوماً نيَّتُهُ إلى أصلِهِ)[1].

---

(١) هذه الكلمة منسوبة إلى داود بن نصير الطائي (ت: ١٦٠ هـ)، كان عالماً فقيهاً، وقد آثر العزلة والخلوة ولزوم العبادة، واجتهد في ذلك إلى آخر عمره. انظر: جامع العلوم والحكم، مصدر سابق: ص ١٣.

الأمر الحادي عشر: اللجوء إلى الله تعالى والتوسّل به، فما خاب من تمسّك بـه، وأمنَ من لجأ إليه ولاذ به، قال تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ (الذاريات: ٥٠)، والفرار إليه إنّما يكون بالإنابة والتقوى، فإن وقع ذلك منّا كـان الخلاص والإخلاص، واحترقت جذور الشكّ واليأس، وكانت النجـاة مـن كـلّ بأس، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ (الطلاق: ٢ ـ ٣)، ونحن نطلب المخرج من سلطة الأغيار في تشكّل النيّة، والتحـوّل إلى مقـام الصدق في النيّة، وحيث إنّ المطلـوب في التـصحيح هـو توجيـه النيّـة إلى المقـصد الأوحد، وهو الله تعالى، فإنّه من الطبيعي والمنطقي أن نستعين به على ذلك.

الأمر الثاني عشر: الانصراف بالقدر المستطاع إلى التأمّل، والتأمل ليس أمـراً يسيراً، فهو من مقامات الأنبياء عليهم السلام والأولياء، لأنّه عبادة خالصة، بل هو أشرف العبادات، وقد ورد في الأخبار تقديم التفكّـر عـلى العبـادة الخاصّـة، والتفكّر هو نفس التأمّل في المقام، فالتأمل عبادة وذكر وتقرّب، كما أنّنا بواسـطة التأمل سنحقّق أعلى مراتب التركيز، ونحدّد العلل ونقاط الضعف، كما سـنحدّد العلاجات الناجعة، ومن ثمرات التأمّل الكشف عن تفاهة أمور غالباً ما تكـون سبباً في تشويش وتشويه النيّة، وهذا مقصد شريف بنفسه.

آثار إصلاح النيّة

يُمكن تلخيص آثار إصلاح النيّة بما يلي:

أوّلاً: إصلاح الأعمال العبادية وغير العبادية.

ثانياً: توطيد وتعميق ملكة الصدق مع النفس ومع الله تعالى ومع الناس.

ثالثاً: تحقيق الاستقرار النفسي والطمأنينة، فالوحدة في النيّة هي وحدة داخلية باطنية، والشتات فيها هو شتات في الباطن، وهذا الشتات مفضٍ إلى الاضـطراب،

وقد وردت إشارة لطيفة إلى هذا المعنى الباطني في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: ٢٨).

رابعاً: انفتاح الفيض الإلهي، فصيانة النيّة من الأغيار تعني أنّ المقصود الأوحد، وهو الله تعالى، سنكون واقفين على أعتابه، لننهل من فيضه ما يسمح به استعدادنا، والوصول إلى هذا الفيض والرقيّ المعنوي هو غاية عظيمة، تكشف عن القبول والرضا، ورضا الله تعالى غاية الغايات، ومن هنا يتّضح أنّ إصلاح النيّة هي أقرب الطرق وأوضحها للوصول إلى تلك الغاية النبيلة.

مدخلية الصدق في إصلاح النيّة

لو لاحظنا كلّ جزئية مرّت بنا في مقوّمات إصلاح النيّة وآثار هذا الإصلاح نجد أنّ الصدق هو السرّ الحقيقي المحرّك لكلّ ذلك، وهو حجر الزاوية، ولا سبيل إلى تحقيق أيّ شرط أو أمر من تلك المقوّمات من دون الاعتماد على واقعية الصدق، وإذا ما وجدنا خللاً في أيّ خطوة سابقة فذلك كاشف عن خلل واقعيّ في الصدق، وبقدر غياب الصدق سوف يتعسّر أن نتقدّم خطوة واحدة، وبقدر حضوره يكون التقدّم والانتصار وتجاوز محنة تقافز الأغيار على محق النيّة.

كلمات على الطريق

- قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ (النساء: ١٠٠)، ولو أنّ المنظور هو أصل النيّة، وكونها أساس العمل(١)، بل هي العمل(٢)، فإنّه

---

(١) قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**النيّة أساس العمل**». عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٢٩؛ غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٦ ح ١٦٢٤.

(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام: «**والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي العمل**».

لا يبقى معنى ووجه لوقوع أجر المهاجر الذي أدركه الموت قبل تحقيق غرضه في الخارج.

- عن الفضيل بن يسار قال: قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النيّة**»[1]، فتكون قوّة البدن وضعفه تابعين إلى قوّة النيّة وضعفها، وما نلاحظه من التقاعس فمنشؤه النيّة لا البدن.
- إنّ قيمة كلّ عمل تكمن في صدق النيّة فيه، فالعمل الكبير في نيّته، لا في مساحته، وهكذا العمل الصغير في نيّته، وقد قيل في ذلك: «**رُبَّ عملٍ صغيرٍ تُعظِّمُ النيَّةُ، وربَّ عملٍ كبيرٍ تُصَغِّره النيَّة**»[2].

خلاصة الدرس

- النيّة: قصد وعزم وتصميم، وفي الاصطلاح هي قصد الفعل امتثالاً وقربة.
- الغرض من الأعمال هو الوصول إلى الله تعالى، فكان لابدّ من اشتمالها

الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٦ ح ٤.

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٠٠ ح ٥٨٥٩؛ أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٤٠٨ ح ٦.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، مصدر سابق: ص ١٣. والكلمة منسوبة إلى عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت: ١٨١) صاحب التصانيف والرحلات. (انظر: الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي: ج ٤ ص ١١٥، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م، بيروت). وقد كان من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام. وله شعر يمدحه فيه، جاء فيه:

أنت يا جعفر فوق المدح والمدح عناء   إنّما الأشراف أرض ولهم أنت سماء

انظر: مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب: ص ٣٩٧، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، طبع ونشر المطبعة الحيدرية، ١٣٧٦ هـ.

على قصد التقرّب به، فتكون النيّة في المقام قصد وجهه تعالى.

- قيمة العمل في المنطق الإلهي ليس في رقميّته خارجاً وإنّما في طبيعة نيّته.
- العمل لا تترتّب عليه آثاره التكوينية دنيوياً وآخروياً إلّا من خلال نيّته.
- للإنسان روح وبدن، وهكذا العمل فله روح وبدن، وروحه نيّته، وبدنه هو شخص العمل الخارجي، وحيث إنّ روح الإنسان خير من بدنه فكذلك نيّة المرء خير من عمله.
- وجود الشيء بذاتياته، والنيّة من ذاتيات العمل، ولذا فهي هويّة العمل.
- النيّة هي أصل العمل وأساسه، والعمل فرعها، وقيمة النيّة بالنسبة للعمل نفسه هي عين قيمة الفرع بالنسبة للأصل.
- إنّ الصورة الباطنية لكلّ عمل هي تعبير آخر عن النيّة فيه، وجميع السلوكيات لها صور باطنية تشكّل بمجموعها صورة الإنسان.
- القلب السليم اصطلاح قرآنيّ مشير إلى الطهارة، وصاحب النيّة الصادقة هو صاحب القلب السليم، والقلب السليم مراتب كالحال في تطهير النيّة.
- العون الإلهي لعباده يكون على قدر نيّاتهم، وفي هذا حكمة ولطف بهم.
- إصلاح النيّة صعب أو عسير، ولكنّه يبقى أمراً ممكناً وليس محالاً.
- لا بأس بتداخل النوايا الصالحة، وإنّما البأس في اجتماع النوايا المتعارضة.
- العبادة بصفتها وسيلة لمقصد أخرويّ، لابدّ أن تتجرّد نيّتها من أيّ مطلب دنيويّ، وإلّا فإنّها ستكون شركاً خفيّاً، كما هو الحال في صور الرياء.
- أفضل طرق إصلاح النيّة هو التعاطي بصدق مع النفس، والعمل على تعويد النفس على الصدق، مع المراقبة؛ لأنّها عمل وقائيّ لحفظ النيّة من

الشوب.

- الناس يدّعون حبّ الله، ولكنّ هم لا يجيدون رسومه، ولا يراعون حرمته.
- الشتات في نيّة العبادة سببه هو عدم التعرّف على واقعية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- مصانعة الوجه الواحد هو الكيمياء المعنوية والأكسير الأعظم.
- الخطوة الأولى في تصفية النيّة في غير العبادات هي التركيز على جهة واحدة وغضّ الطرف عن الجهات الأخرى.
- الصحيح في عملية إصلاح النيّة هو العمل على قدر الطاقة والاستطاعة، للنجاة من الوقوع في الإحباط واليأس، وهي طريقة عقلائية وسنّة قرآنية.
- في إصلاح النيّة لابدّ من عدم اليأس من الإخفاق، مع مراعاة المعالجة التدريجية، فالإخفاق قد يترك أثراً سلبياً خطيراً، وهو اليأس والقنوط.
- التقيّ منجذب لعمل البرّ، وعمل البرّ يلقي بصاحبه في بحبوحة التقوى.
- لأنّنا نطلب المخرج من سلطة الأغيار في تشكّل النيّة، والتحوّل إلى مقام الصدق في النيّة، فلابدّ من الاستعانة بالله تعالى، وهذا أمر منطقيّ.
- التأمّل من أشرف العبادات، والتفكّر هو نفس التأمّل في المقام، فالتأمّل عبادة وذكر وتقرّب، وبواسطته نحقّق أعلى مراتب التركيز.
- من آثار إصلاح النيّة: إصلاح مطلق الأعمال، وتعميق ملكة الصدق، وتحقيق الاستقرار النفسي، فوحدة النيّة وحدة باطنية، وشتاتها باطنيّ.
- الصدق هو السرّ الحقيقي المحرّك لكلّ جزئية في مقوّمات إصلاح النيّة، وهو حجر الزاوية، ولا سبيل إلى إصلاحها من دون واقعية الصدق.

مذاكرة

- ما هي النيّة في اللغة والاصطلاح؟
- ما هو وجه ضرورة اشتمال العمل العبادي على قصد القربة؟
- أين تكمن قيمة العمل في المنطق الإلهي؟ ولماذا؟
- ما الذي تفهمه من: (نيّة المؤمن خير من عمله)؟ وكيف تحلّل ذلك؟
- ما هو وجه الشباهة بين العمل والإنسان؟
- ما هو المراد من الشاكلة في قوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾؟
- ما هي علاقة النيّة بذاتيات العمل العبادي؟ وماذا تعني الذاتية؟
- ما هي قيمة النيّة بالنسبة للعمل؟
- ما هي علاقة الصورة الباطنية للعمل بالنيّة فيه؟
- ما الخطورة الحقيقية في كون الناس سيُحشرون على صورهم الباطنية؟
- ما هو القلب السليم؟ وما هي علاقته بالنيّة الصادقة؟ وهل هو مراتبيّ؟
- تبعاً لأيّ شيء يكون العون الإلهي لعباده؟
- هل يصحّ أن تتداخل النوايا الصالحة والخيرة في العمل الواحد؟
- لماذا يُشترط في العبادة أن تتجرّد النيّة فيها من أيّ مطلب دنيويّ؟
- ما هو أفضل طرق إصلاح النيّة؟
- ما هي أهمّ المقوّمات لإصلاح النيّة؟
- ما هي علاقة مصداقية الحبّ لله تعالى بإصلاح النيّة؟
- ما هي مشكلة عموم الناس الذين يدّعون حبّهم لله تعالى؟
- ما هو السبب في الشتات الواقع في نيّة الأعمال العبادية؟
- كيف تفهم الحكمة القائلة: (صانع وجهاً يكفك الوجوه كلّها)؟ وما علاقتها بإصلاح النيّة؟

- الخطوة الأولى في تصفية النيّة في غير العبـادات هـي التركيـز عـلى جهـة واحدة وغضّ الطرف عن الجهات الأخرى.
- ما هو دور العمل على قدر الطاقة والاستطاعة في إصلاح النيّة؟
- ماذا نعني بملازمة البرّ والتقوّى؟
- ما هي العلاقة بين البرّ والتقوى؟ وما علاقة ذلك بالصدق وإصلاح النيّة؟
- ما هو التأمل؟ وما علاقته بالعبادات وبإصلاح النيّة؟
- ما هي أهمّ آثار إصلاح النيّة؟
- ما هو السرّ الحقيقي المحرّك لكلّ جزئية في مقوّمات إصلاح النيّة؟

الدرس الحادي عشر

الابتعاد عن مجالس الغفلة وقاية للصدق

- أهداف الدرس
- تمهيد

تحديد المراد من الغفلة والغافلين ومجالس الغفلة

- أقسام مجالس الغفلة وأسباب الانسياق إليها
- الخداع النفسي والخداع الغيري، وعلاقة الفراغ بمجالس الغفلة
- مجالس الغفلة نافذة الهروب ومصيدة القضاء على الصدق
- مخاطر الغفلة ومجالس الغفلة والبطّالين
- وقائية الصدق من ظلمة الغفلة ومجالس البطالين
- العزلة أولى من ارتياد مجالس الغفلة والبطالين
- الهروب من مجالس الغفلة إلى الله تعالى
- عدم اليأس من الخلاص من الغفلة ومجالسها
- الرصد القرآني والروائي والأخلاقي لمجالس الغفلة
- التنافي بين مجالس الغفلة ومساجد الطاعة
- مجالس العلم والذكر
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان المراد من الغفلة ومجالسها وأقسامها.
- بيان الفرق بين مجالس الغفلة مع الأغيار الظاهرية والباطنية.
- كشف سرّ الانسياق إلى مجالس الغفلة والخداع النفسي والغيري.
- بيان علاقة مجالس الغفلة بالفراغ والهروب من المسؤوليات.
- الكشف عن مصيدة مجالس الغفلة للصدق وإطفائها لنورانيّته.
- الكشف عن مخاطر الغفلة ووقائية الصدق من ظلمتها.
- الكشف عن الرصد القرآني والروائي والأخلاقي لمجالس الغفلة.
- بيان التنافي بين مجالس الغفلة ومساجد الطاعة.
- بيان هويّة مجالس العلم والذكر وما يقابلها.

تمهيد

يشتمل هذا الدرس على مواضيع كثيرة بالغة الأهمّية، وتفاصيل كثيرة لا غنى لنا عن الوقوف عندها، ونظراً لوحدة موضوعات هذا الدرس فقد ارتأينا عرضها في درس واحد، رغم أنّها من حيث الأهمّية والكثرة والتنوّع كانت تقتضي العرض في أكثر من درس، وتكمن أهمّية هذا الدرس بكلّ محاوره وعناوينه في أنّه يتعرّض إلى الواقع المرير الذي عليه الكثير من الناس، إن لم يكن أكثرهم، وهو الاستغراق في عالم الغفلة، وارتياد مجالس البطّالين، فكان من اللازم بيان معنى الغفلة ومجالسها وما يقابلها، وعرض أقسام هذه المجالس التي يصحّ التعبير عنها بأنّها مقابر الفضيلة والكمال، فهي بؤر الخواطر المحرَّمة والمكروهة، وبؤر المحرّمات والمكروهات، والتي تُخضع الإنسان لخداع نفسيّ وخداع غيريّ، وما ذلك إلّا لأنّه قد وقع فريسة لمحرقة الفراغ، ومستنقع

الانتكاسات المتوالية، وبوّابة الهروب مـن المـسؤوليات، ومـصيدة القـضاء عـلى الصدق، فكان من اللازم الوقـوف عنـد هـذه المخـاطر الجـسيمة لتلـك المقـابر المهلكة، والكشف عن كـون الـصدق هـو الوسـيلة الوقائيـة والعلاجيـة أيـضاً للخلاص من الغفلة ومجالسها، وكان من اللازم عرض بعض البيانات القرآنيـة والروائية والأخلاقية لمجالس الغفلة، لننتهي عند مساجد الطاعة ومجالس العلم والذكر.

تحديد المراد من الغفلة والغافلين

إذا كانت النيّة هي الإرادة والقـصد والانبعـاث فـإنّ الغفلـة هـي الخمـول والانكماش وعدم الانبعاث، ولذا فإنّ الغفلة هي ضدّ النيّة والانبعـاث، أو هـي فتور النفس عن الالتفات والتوّجه إلى ما فيه غرضـها ومطلبهـا، إمّـا عـاجلاً أو آجلاً، فالغفلة وعدم انبعاث الـنفس إلى تحـصيل الكـمال رذيلـة، بخـلاف النيّـة والقصد لتحصيل الكمال فهو الفضيلة[١]، وقيل هي فقْـد الـشعور فـيما حقّـه أن يُشعر به[٢]، فإذا ما غفل العبد عن نفسه أو عن ماله أو عـن أهلـه كثـر المعـاتبون وبرز الناصحون.

تحديد المراد من مجالس الغفلة

مجالس الغفلة هي الكينونة مع الأغيار بما لا ينفع في أمور الدين والدنيا والآخـرة، فيستهلك أوقاته بالمسامرة والمعاشرة الباطلة، فيأنس بالرذائل، ويـستوحش مـن الفضائل، وكلمّا طال به العهد غفل عـن الهـدف المقـصود، وابتعـد عـن الكـمال المطلوب، وإذا ما حضر مضطرّاً إلى مجـالس الـوعظ فإنّـه يحـضرها بقلـبٍ سـاهٍ،

---

(١) انظر: جامع السعادات، مصدر سابق: ج ٣ ص ٨٣.

(٢) انظر: فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٦٢.

وعقلٍ لاهٍ، وروحٍ خاملةٍ، ومشاعر مقفرة، ونفرةٍ وصدود، وظلمةٍ بـلا حـدود، فلا يستقطبه وِرد، ولا يؤثّر فيه ذكر، وهذا هو البعد الحقيقي عن الله تعالى، وكـما قيل: على قدر غفلة العبد عن الذكر يكون بعده عن الله، كما أنّه بقدر البعـد عـن الله تعالى يكون حجم الغفلة، وهذه الغفلة غفلـة بمجـرّد التيهـان عـن تحـصيل الكمال، فإذا ما اشتملت على المعاصي كانت مجالس غفلة وسوء ورذيلة، وما هي إلّا مجالس الشياطين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦)، نعم: ﴿وَمَـنْ يَكُـنِ الـشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينـاً فَـسَاءَ قَرِينـاً﴾ (النساء: ٣٨)، وما كانت استجابته لهذا القرين السوء إلّا تبعاً لاستجابته لهـواه، وحيث ما كان الهوى كـان للـشيطان مرتـع يعـشوشب فيـه، فيـدعوه إلى مرتـع الرذيلة فيستجيب، قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَـا مَـا أَطْغَيْتُـهُ وَلَكِـنْ كَانَ فِي ضَـلالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق: ٢٧).

أقسام مجالس الغفلة

اتّضح أنّ مجالس الغفلة عادة ما تكـون مـع الأغيـار، فتـشغل الـنفس عـن مهامّها ووظائفها الأوّلية بأمور فارغة لا قيمة معرفية ولا معنوية لهـا، مـن قبيـل مجالس المسامرة التي تُعقد للـضحك واللغـو وتـضييع الوقـت الثمـين، فيـشتدّ الأنس بها ويقل الأُنس بالله، وقد قيل من قبل: كلّما ازداد الأُنـس بالـدنيا قـلّ الأُنـس بالله، فالتناسب عكسيّ تماماً، وهذه المجالس بصفتها غيرية فإنّها دائماً تطلـب الأغيـار، وإن كان انعقاد مجالسها مع النفس، حيث يستحـضر الإنـسان الأغيـار النفـسية، مـن هموم وغموم وأمانٍ باطلـة، وهـذه المجـالس الغيريـة النفـسية هـي الأكثـر خطـورة وصعوبة؛ لشدة العلقة بها، فتكون الأغيار المطلوبة في مجالس الغفلـة لانعقادهـا أغياراً ظاهرية، وهم عموم الناس، وأغياراً باطنية، وهي النوازع النفسية، وبهذه الثنائية من الأغيار تنعقد مجالس الغفلة، فهي إلى غير انقطاع، ومـا دام التوجّـه لهـا

واقعاً فهي قائمة ناطقة في النفس وفي أنفس الآخرين أيضاً، وفي ضوء ذلك سيقع تقسيم محاور البحث في هذا الدرس إلى محورين أساسيين:

المحور الأوّل: مجالس الغفلة مع الأغيار الظاهرية

لا تخلو مجالس الغفلة مع الأغيار الظاهرية من اشتمالها على المحرّمات والشبهات والأمور الفارغة التي قد يلزم منها الوقوع في المحرّمات، وهي كالتالي:

أوّلاً: مجالس الغفلة التي تشتمل على ارتكاب الحرام

وهي عبارة عن سموم قاتلة، دأبها وقوامها في تحطيم النفوس والقلوب، وهي من أسوأ مجالس الغفلة على الإطلاق، حيث تُرتكب فيها الكبائر، كالنميمة والغيبة والبهتان، وجميع أنواع النفاق الاجتماعي، فضلاً عن المجالس الأكثر سوءاً وخباثةً، وهي مجالس المنكرات، فهي جميعاً ليست مجالس الأوقات الفارغة، ولا مجالس المسامرة والمتعة في الكلام، وإنّما هي بؤر لنشر الظلم والفساد، ومثل هذه المجالس سريعة الانقضاض على النفوس، وفعّالة في آثارها الوضعية التكوينية، فيستسلم الفاعل للفعل وآثاره شيئاً فشيئاً، وكلّما طال المكوث والانغماس في تلك المستنقعات فإنّ الخروج منها سيكون بالغ التعقيد، وما نعاينه من قسوة القلوب وتحجّرها فإنّما ذلك من فعل تلك المجالس السيّئة الصيت.

ثانياً: مجالس الغفلة التي تشوبها الشبهات

وهي المجالس الأقلّ خطورة، ولكنّها سرعان ما تنتهي لتلك المجالس السيّئة الخبيثة، فالتوارد في مواطن الشبهات إنّما هو مقدّمة للاقتراب من مواطن المُحرّمات، ومن تلك الشبهات ارتكاب المكروهات، والمكروهات هي أقرب

للمحرّمات منها للمباحات، حيث ورد النهي فيها لا الإباحة والجواز، ولكنّه نهيٌ ـ كما يقال ـ مخفّف وليس فيه إلزام، ونظراً لقربها من المحرّمات فإنّ احتمالية الوقوع في المحرّم واردة، بل يكاد أن يقع فيه إن لم يكن وقع فعلاً، وكما جاء في الخبر عن النعمان بن بشير قال: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله، يقول: **حلالٌ بيّن، وحرامٌ بيّن، وبينهما شبهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس، فمن اتّقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا إنّ لكلّ مَلِكٍ حمى، وإنّ حمى الله تعالى محارمه**»(١)، وقوله: «**كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه**»، أي: من قارب المعاصي ودنا منها، قرب وقوعه فيها(٢).

ثالثاً: مجالس الغفلة التي تشتمل على الإسراف في المباحات

لا ريب في جواز المباحات، وإلّا ما كانت مباحات، ولكنّها قد تبلغ حدّ

---

(١) مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ١٧ ص ٣٢٣ ح ٧؛ عوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الأحسائي: ج ١ ص ٨٩ ح ٢٤، تحقيق: البحّاثة الشيخ مجتبى العراقي، نشر: مطبعة سيّد الشهداء، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣ هـ، قم المقدّسة؛ وقريب منه في: صحيح ابن حبان، محمد بن حبان: ج ١٢ ص ٣٨٠، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، بيروت؛ مسند الحميدي، للإمام الحافظ عبد الله بن الزبير الحميدي (ت: ٢١٩هـ): ج ٢ ص ٤١٠، تحقيق وتعليق: الأستاذ المحدّث المحقق الشيخ حبيب الرحمن العظمى، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م، بيروت؛ المعجم الأوسط، مصدر سابق: ج ٢ ص٣٧٣؛ وجزء من الخبر ورد في: صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٥ ص ٥١.

(٢) انظر: مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين البحراني (ت: ١٠٨٥ هـ): ج ١ ص ٦٠٢، تنظيم محمود عادل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، نشر: مكتبة نشر: الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ، طهران.

الإسراف فيصيبها الحرام وتعود من المحرّمات، **فالعاقل** ينبغي أن لا يتجاوز حدود حاجته، وإلّا وقع الإسراف، والغالب في هذه المجالس وقوع مثل هذا الإسراف، وأدناه إضاعة الوقت الثمين، فالإنسان لم يُخلق للعبث واللهو، وإنّما خُلق للتقوى والعمل، ولكنّ أكثر الناس غافلون، قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ (التوبة: ٦٥)، وكأنّ رسالتهم في الحياة هي اللهو اللعب والعبث، ولو فتّش العاقل فيما خُلق له اطّلع على الهدف السامي منها، بصفتها مزرعة للآخرة، وهي دار الابتلاء لننجو بأنفسنا من زيفها وهرائها، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه كان يقول: «**إنّ الله سبحانه قد جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها ليعلم أيّهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خُلقنا، ولا بالسعي فيها أُمرنا، وإنّما وُضعنا فيها لنُبتلى بها**»[١]، وبالتالي فإنّ: «**الناس للدنيا عاملان: عامل عمل للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها، فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل، فأحرز الحظّين معاً، وملك الزادين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله، لا يسأل الله حاجة فيمنعه**»[٢].

جدير بالذكر أنّ الخروج من الإسراف في ارتكاب المباحات ليس سهلاً، فالمنغمس في المباحات حدّ الثمالة لا يجد نفسه مذنباً، ولو تفكّر قليلاً في عالم غفلته لوجد نفسه مذنباً ذنباً كبيراً، فهدر الأوقات الثمينة في الفرح والمرح، والضحك والمداعبات، وعقد المجالس من أجل ذلك، ما هو إلّا ذنب ومعصية، فإنّ المجالس لا ينبغي أن تُعقد إلّا لنشر العلم والمعرفة والفضيلة، وأمّا الوداعة وتداول الأخبار الصغيرة وتفاصيلها عن الدنيا وأبنائها فلابدّ أن تقدّر بقدرها،

---

(١) انظر: نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٣ ص ١١٢ رقم (٥٥).

(٢) انظر: المصدر نفسه: ج ٤ ص ٦٤ رقم (٢٦٩).

وكما يقال بأنّ الضرورات تقدّر بقدرها، وكلّ حديث ليس فيه علم ومعرفة وفضيلة فهو من حديث الدنيا، والتقيّ العامل بعلمه لا تلتبس عليه اللوابس.

المحور الثاني: مجالس الغفلة مع الأغيار الباطنية

وهي المجالس التي يعقدها الإنسان مع أهوائه وأوهامه وأمانيه الضالّة، فيتنقّل فيها تنقّل الطير من غصن إلى آخر، ومن شجرة إلى أخرى، ومن بستان لآخر، والأماني بحر سيّال لا تنتهي عند حدّ، وأحلام اليقظة تفترس الذاكرة ولا تُبقي معلماً فيها إلّا وسخرته لأبطالها وتفاصيلها، والإنسان بطبعه قاصّ بارع مع نفسه، يستطيع أن يُوجد أدواراً لأبطاله بعدد حبّات الرمل، وله القدرة العالية على الإعادة والإصغاء لما يرويه لنفسه، وهذه هي الخواطر الباطلة التي تلتهم الوقت والجهد والذاكرة.

وهذه الخواطر المريرة التي يسكن إليها الإنسان، ويفرّ إليها من واقع لا يجد الشجاعة في مواجهتها، فيصنع له أحلاماً، ويتعاطى معها وكأنّها واقع معاش، وما هي إلّا أضغاث أحلام أفرزتها اليقظة المتلبّسة بأردية الغفلة، وهذه الخواطر الباطنية بالمقايسة مع ما تقدّم في الأغيار الظاهرية يمكن تقسيمها إلى خواطر محرّمة، وأخرى مكروهة، وأخرى مباحة، وهي كالتالي:

أوّلاً: الخواطر المحرَّمة

وهي الخواطر التي إذا ما انعكست في الخارج كأعمال، فإنّها ستكون من الكبائر ولا ريب، كما في خواطر النميمة والغيبة والبهتان، وفضلاً عن تلك الخواطر الخبيثة التي تنغمس فيها النفس بالدماء والأعراض، فيجول خاطره في رحلة ممتعة له ومسكرة، فيمارس رغبته، ويستفرغ شهوته، وما هو إلّا العَطَلَة والضياع والفراغ، فلا علم يتدبّر فيه، ولا عمل ينجزه، ومثل هؤلاء عادة ما

يتفنّنون في استحضار الصور المريعة، واستجداء الخيالات الباطلة، فلا يكاد أن ينتهي من فصل إلّا ويجد نفسه على أعتاب فصل جديد أكثر استقطاباً له وجذباً.

ثانياً: الخواطر المكروهة

لا ريب أنّ جميع الخواطر الآنفة في الخواطر المحرّمة، إن لم تكن ـ من حيث هي خواطر ـ محرّمة فهي مكروهة كراهة شديدة، فهي فعل نفسانيّ مضرّ بالإنسان وموجّه له لإيقاعها في الخارج، ولو أُتيحت له الفرصة فسرعان ما يستجيب لها، أو يميل للاستجابة لها كقدر متيقّن، وعليه فالحدّ الأدنى في أصل تلك الخواطر المحرمة هو أن تكون عملاً مكروهاً كراهية شديدة، هذه هو القسم الأوّل من الخواطر المكروهة، وأمّا القسم الثاني منها فهي نفس الخواطر التي إن وقعت في الخارج لا تكون حراماً، من قبيل ما يتخيّله الإنسان الضعيف من صور الردع والانتقام من أشخاص لا تطيب نفسه بلقياهم، سواء أساؤوا له بشكل مباشر أو لم يسيئوا، فهذه الخواطر فضلاً عن كونها تُعبّر عن حالات الضعف والهروب من الواقع والمسؤولية فإنّها تستهلك من الطاقة والجهد والوقت، وتجعل الإنسان على مقربة من المحرّم نفسه، وقد مرّ أنّ من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، ومن تلك المكروهات الاشتغال والتفكّر بالمحاسن الظاهرة للنساء الأجنبيات، وهو كثير الوقوع في الخارج فضلاً عن وقوعه في دائرة الخواطر والتفكير.

ثالثاً: الخواطر المحلَّلة

وهي أدنى الخواطر أثراً وتأثيراً، وإنّما تكمن خطورتها في كثرتها، وفي سلّميتها للمكروهات والمحرّمات، فالتفكّر بالملذّات المباحة، من طعام وشراب، وما شابه ذلك، من دون أن تمسّ الذاكرة منطقة المحرّمات أو المكروهات، فإنّه

مقبول إلى حدّ ما، ولا يكاد الإنسان بطبعه أن ينفلت من ذلك، كما لو جاع أو عطش أو رغب بشيء مباح، وإنّما المشكلة تكمن فيما إذا شكّلت هذه الخواطر المساحة الأكبر من تفكيره، فيكون وكأنّه بهيمة، همّها علفها، فالإنسان لم يُخلق لذلك، ونعم ما جاء في توصيف ذلك في كتاب لأمير المؤمنين علي عليه السلام إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، وقد بلغه أنّه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فكان فيما كتب إليه الإمام عليه السلام: «**فما خُلقت ليشغلني أكل الطيّبات كالبهيمة المربوطة، همّها علفها، أو المرسَلة شغلها تقمّمها، تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها**»[1].

إنّ المشكلة الحقيقية لهذه الخواطر ـ بشكل عامّ ـ هي أنّها تستنزف طاقة الإنسان، وتجعله يعيش في عالم بعيد عن واقعه، فالإنسان وإن كان يحتاج إلى فسحة يرتاح فيها من هموم الدنيا وغمومها، إلّا أنّ هنالك فرقاً عظيماً بين الفسحة المطلوبة إنسانياً وبين مستنقع الخواطر الذي يغرق فيه الإنسان يومياً دون أن يلتفت لذلك، وكلّما وجد الإنسان نفسه غارقاً في مثل هذا المستنقع فعليه أن يعلم أوّلاً أنّه يمارس عملية هروب خطيرة من واقع لا يستطيع مواجهته، أو على الأصحّ لا يريد مواجهته، وبالتالي فإنّ إدمان الخواطر هو استغراق في عملية الهروب غير المبرّرة، فإذا ما سكتنا عن تلك الخواطر وعن إدماننا لها فإنّنا نكون قد ارتكبنا خطيئة كبيرة بحقّ أنفسنا، ولذلك لابدّ من مواجهة الموقف بقوّة وشجاعة، ولا ريب أنّ الانسياق الحادّ للخواطر، بأقسامها الثلاثة له أسباب كثيرة، سنحاول الوقوف على ما هو الأهمّ منها؛ للتفكّر فيها والعمل على تطويقها والخلاص منها.

---

(١) انظر: نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٣ ص ٧١ رقم (٤٥).وتقمّمها، أي: التقاطها للقمامة، والقمامة هي الكناسة والزبالة، وتكترش، أي: تملأ كرشها.

أسباب الانسياق إلى مجالس الغفلة

للانسياق إلى مجالس الغفلة أسباب الكثيرة، ولكنّ أهمها:

أوّلاً: الغفلة عن الموت والاستخفاف به، فهو على يقين من موت أمّه وأبيه، وزوجته وجميع إخوته وبنيه، على يقين من موت الجميع، ولكنّه لا يجد لذلك اليقين موضعاً في قلبه فيما يتعلّق به، فينشأ في قلبه وهم البقاء والخلود، يفرّ من منزل الوحشة الذي لابدّ منه بالتخفّي في منزل الشهوة والرغبة!

ونعم ما قيل في ذلك:

أيا من له في باطن الأرض منزل ... أتأنس بالدنيا وأنت غريب[1].

ثانياً: الكبْر والغرور، وهما العدوّان المُهلكان، فهما كالغفلة يعميان ويُصمّان، ومن صرعته شقوة الكبْر والغرور لم يعد يتأثّر بأيّ شيء، لأنّهما يُعطّلان العلم والعقل، ويُوقظان الجهل والحمق، فيرى غفلته المطبقة كمالاً وجمالاً، ويستخفّ بكلمة الحقّ ولو كانت مأخوذة من كلام الله تعالى!

ثالثاً: الوحشة من الحقّ والأُنس بالباطل، فهو منشدّ إلى غفلته لأنّها تحقّق له الأنس المفقود، وحيث إنّ هذا الأنس باطل في واقعيّته، ولا يشتمل على ما هو

---

(١) انظر: روضة الواعظين، مصدر سابق: ص ٤٩١. وقد احتمل الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨ هـ) نسبة البيت مع أبيات أخرى إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام (ت: ١٤٦هـ)، وهي:

أَفِقْ وابْكِ حَانَتْ كَبْرَةٌ ومَشِيْبُ ... أما للتُّقَى والحَقّ فيكَ نَصِيبُ
أَيَا مَن له في باطِنِ الأرضِ مَنْزِلٌ ... أَتَأْنَسُ بالدُّنْيَا وأنْتَ غَرِيبُ
ومـا الـدهر إلّا مَرُّ يَومٍ ولـيْلَةٍ ... وما الموتُ إلا نازلٌ وقَرِيبُ

في حين نسبها البعض إلى عبد الله بن المعتزّ العباسي (ت: ٢٩٦ هـ). انظر: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي (ت: ٣٥٣ هـ): ص٩٧، منشور في المكتبة الشاملة.

يغني ويُسمن فإنّه يبقى منشدّاً لتوالي الجوع بعد الجوع، والفقر بعد الفقر، فاللهو واللعب يُمتّعان الإنسان ولكنّهما لا يمنحانه شيئاً واقعياً، فيضلّ في أسرهما طلباً لتلك النشوة، كما هو الحال في شارب الخمر والمدمن عليه، فإنّه يفرّ بالسكر من مسؤولياته وخطاياه، فيظن أنّ الخمر سوف يمنحه الأُنس والراحة، وهذا ما يحصل له، ولكنّه بشكل مؤقّت، فسرعان ما يستيقظ ليجد ركام الخطايا على أعتاب يومه الجديد قد علا واشتدّ، فيُسارع للهروب مرّة أخرى، وليس أمامه ـ لشدّة غفلته ـ غير الانكباب مرّة أُخرى على الاستغراق في السكر بعد السكر.

رابعاً: رفقة السوء والأُنس بهم، وهذا هو البئر المظلم، والديار الموحشة، ولكنّه في غفلة عن ذلك، ورفقة السوء أشبه برفقة الأفاعي والعقارب، حيث لا يجني الإنسان منها غير اللسع والسمّ، يدسّون سمومهم بابتسامات باهتة وفارغة، فينفق الغافل معهم جُلّ أوقاته، ويُسرف عليهم رأس أمواله، ولا يكاد يقبض من رفقتهم غير البؤس واليأس والقنوط، فهو في ظاهره فرح سعيد، ولكنّه في واقعه حزين وتعيس، يعيش الشتات والضياع والتغرّب، ولا يكاد أن يثق بشيء، لا بحاضر ولا بمستقبل.

خامساً: اعتياد الخطيئة والإدمان عليها، وهنا قد تقع له بصيرة بسوء ما هو عليه ولكنّه لا يمتلك الإرادة الكافية للخروج من مستنقعه، وقد يشعر بلذعات الضمير من آنٍ لآخر، فيفرّ من لذعاته بمحاولة البقاء في غيبوبته المتواصلة، ولذلك فإنّ مثل هذا الشخص لابدّ له من مساعد ومنقذ، فهو في الغالب لا يمكنه الخروج من مستنقعه بمفرده، وإذا ما رغب بالخروج فإنّه لا يمتلك أقداماً تسعى به، ولا أطرافاً يتشبّث بها، ولذلك فإنّ الاعتياد والإدمان هو موت حقيقيّ بطيء.

سادساً: الفراغ القاتل، فلا علم يتفكّر فيه، ولا عمل يقوم به، فهو نهب للطيور الجارحة، والرياح العاتية، وبعبارة قرآنية: ﴿**فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ**

فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ (الحجّ: ٣١)، وسيأتي توضيح آخر لخطورة هذا الفارغ القاتل.

الخداع النفسي والخداع الغيري

في ضوء ما تقدّم في محوري الخواطر، الظاهرية والباطنية، فإنّ الإنسان يمارِس خداعاً نفسياً من قبل نفسه، ويُمارَس ضدّه خداع آخر من الأغيار، والخداع النفسي هو الفاعل الأساسي في تجنيد الخواطر الباطنية، حيث يُوجد له المبررات الكثيرة التي تجعله في مأمن من المعاتبة والملامة، وأمّا في الخداع الغيري فإنّ كلّ واحد من الأغيار يدافع عن وجوده وحضوره في مجالس الغفلة، ويكون هذا الدفاع من خلال الترغيب والتسويف، فالترغيب يكون في سماع القصص والتفاصيل الفارغة، والتسويف يكون في تعليق حلول المشاكل على المستقبل والمشيئة الإلهية من دون العمل لذلك، فيمارس كلّ واحد من الأغيار خداعاً صريحاً بالترغيب، وخداعاً باطناً بالتسويف، وتستمرّ لعبة الخداع بلا انقطاع، حلقات متواصلة، بعضها يولّد بعضاً، كأمواج البحر تقفز إلى الأعلى ثمّ تعود إلى أصلها، تخطف الأنظار، ولكنّها سرعان ما تغيب في طيّ البحر، وهكذا هي الخواطر تخطف الأبصار، تمارس خداعاً خلّاباً وساحراً، ولكنّها سرعان ما تعود إلى ظلمة الغفلة، بلا حلول حقيقية، ولا رؤية واضحة، وكلّ واحد من الأغيار يمارس مع الآخرين لعبة الخداع المكررة، والغريب أنّ كلّ واحد منهم يعرف جيداً أنّه واقع تحت نير هذا الخداع، ولكنّه لا يريد الانفكاك، لأنّ الانفكاك يجعله في مواجهة الواقع الذي عالجه بالانكباب في مجالس الغفلة، وهو لا يريد ذلك، بل يريد مواصلة الهروب، ولذلك يختلط الخداع النفسي مع الخداع الغيري، وهذا ما يكشف لنا مدى خطورة هذه الخواطر، الظاهرية والباطنية، المحرّمة والمكروهة والمباحة.

علاقة الفراغ بمجالس الغفلة

إنّ أوّل مفتاح لدخول مجالس الغفلة هو مفتاح الفـراغ، فالإنـسان إذا خـلا وقته من طلب العلم أو العمل به، فإنّـه سـوف يكـون مرتعـاً للخـواطر، حيـث الترغيب والتسويف، وهو يحاول بذلك ملء الفراغ القاتل، وحيـث إنّـه لا يجـد علماً ولا عملاً فإنّه سوف يجد نفسه مـستجيباً لأهـواء الـنفس وخواطرهـا، كـما سيجد نفسه منشدّاً كثيراً للصحبة والرفقة، بغية ملء الأوقات، وظنّه أنّه سـوف يجني شيئاً، ولكنّه تعويض سلبيّ، حيث استجداء التخـيّلات الفاسـدة، فيكـون كالمستجير من الرمضاء بالنار، وإذا ما تمّ ملء الأوقات الفارغة بالعلم والعمـل الصحيح والصالح فإنّ جميع تلك الخواطر ستكون هباءً منثوراً، ولكنّ هذا الهباء المنثور كالفيروس، سرعان ما تعود له الحياة، فيجتمع ككتلـة واحـدة، ويـمارس دوره من جديد في عملية التغييب في مستنقع الخواطر، هذا إذا ما وقعت الغفلـة عن ذلك الهباء الفايروسي.

إنّ الفراغ شبح قاتل، عادة ما يفضي بالإنسان العاطل عن العلـم والعمـل إلى المهالك العظيمة والمخاطر الجسيمة، ولو راجعنا جميـع الدراسـات الميدانيـة التـي تتحدث عن الجريمة في العـالم وازديـاد حـالات الانتحـار، والـسرقات ومختلـف الموبقات، نجد أنّ العامل الأساس والسبب الأوّل الذي يقف وراء كلّ ذلـك هـو الفراغ القاتل، وإذا ما رأينا إنساناً يتدخّل في حياتنا الاجتماعية، فيقحم نفسه في كلّ صغيرة وكبيرة فاعلم بأنّه يعاني من الفراغ القاتل، وكثـيراً مـا يكـون هـذا الفـراغ القاتل سبباً في توليد وتعميق حالات النميمة والنفاق، ولذلك نجد القرآن الكريم يحرص كثيراً على الترغيب بطلب العلم، قال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِـنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ (المجادلة: ١١)، وبمواصلة العمل، قال تعـالى: ﴿**وَقُـلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ (التوبة: ١٠٥).

مجالس الغفلة نافذة الهروب من المسؤوليات

تقدّمت عدّة إشارات إلى هذه الحقيقة المؤلمة، وهي أنّ مجالس الغفلة عادةً ما تكون طريقاً للهروب من الواقع ومسؤولياته، فتكون شبيهة إلى حدّ كبير بالمسكرات والمخدّرات، فكما أنّها تجعل المعتاد عليها في غيبوبة تامّة عن الواقع فكذلك مجالس الغفلة، ولو لم تكن كذلك فإنّها لابدّ أن تكون مجالس يقظة، ومجالس اليقظة هي مجالس العلم والمعرفة والمواعظ الحسنة، وهي مجالس تلاوة القرآن والذكر والنصيحة، ومن الواضح أنّ مجالس الغفلة لا تشتمل على شيء من ذلك، بل هي على النقيض تماماً، ولذلك لابدّ من التعاطي بجدّية عالية مع هذه الواقعية المؤلمة، واعتبار الفرار منها نوعاً من الاستغراق في عالم الغفلة.

إنّ الرجوع إلى الواقع ومواجهة المسؤوليات سوف يحقّق أمرين في غاية الأهمّية، وهما: تأدية المهامّ والواجبات الاجتماعية المطلوبة، والخلاص النسبي من عالم الغفلة ومجالسها، ولا يوجد طريق آخر أنفع وأجدى من ذلك، بل إنّ جميع الحلول الأخرى التي يُمكن أن تُدّعى في المقام لا تمسّ الواقع بشيء، بل هي نوع آخر من الاستغراق في الغفلة والهروب من الواقع، فإنّ الأمراض العضوية ـ على سبيل المثال ـ لا ينجو الإنسان منها بالهروب منها، وإنّما بمواجهتها والعمل على معالجتها، وهنالك فرق عظيم بين الأدوية العلاجية القاضية على الأمراض، وبين المسكّنات والمهدّئات المعطّلة للآلام بشكل مؤقّت، ولا ريب أنّ مواجهة المشكلات والواقع والبحث عن الحلول، والعمل التدريجي على تجاوزها ستكون بمثابة الأدوية العلاجية، وأنّ الفرار منها من خلال الركون إلى مجالس الغفلة سيكون بمثابة المسكّنات المعطّلة للآلام المطيلة للأمراض.

مجالس الغفلة مصيدة القضاء على الصدق وإطفاء نورانيته

وهنا تكمن مشكلة أخرى لا تقلّ خطورة عن تلك المشكلات التي تفرزها

مجالس الغفلة، وهي مشكلة التقاطع مع الصدق، وإطفاء نورانيّته، والذي سيؤدّي بشكل طبيعيّ إلى نشر الظلمة والعتمة المطبقة في العقل والقلب، فالصدق هويّة الإنسان السوي، وهذا الهروب من الواقع باتجاه مجالس الغفلة ما هو إلّا عملية تكاذب صريحة مع النفس، وانغماس واضح وصريح في غربة الظلمة، فمجالس الغفلة سموم قاتلة، تورث الكذب والتكاذب، وتقتل الصدق والتصادق، وتجعل واردها كسعفة في مهبّ الريح، ولذلك سنجد من الطبيعي فقدان الصدق في مجالس الغفلة، وهل الغيبة إلا تعبير آخر عن انطفاء شعلة الصدق في القلب؟ وهل البهتان إلّا بزوغ شجرة الظلام في القلب؟ وهل النميمة إلّا استهزاء واستخفاف بالنفس وبالآخرين؟ وأين ذلك كلّه من واقعية الصدق؟

مخاطر الغفلة ومجالس الغفلة والبطّالين

للإنسان أرصدة أساسية في حياته، وهذه الأرصدة منها ما لا عوض له أبداً، كالعمر والطاقة، فالوقت التالف لا عوض له أبداً، والطاقة النافدة لا عوض لها أبداً، ولا ريب أنّ الغفلة ومجالس البطّالين مصيدة عظيمة تنعدم فيها الأوقات والطاقة، وفوق هذه الخسارة الكبيرة فإنّ هنالك خسائر أخرى هي من لوازم مجالس الغفلة والبطّالين، والتى يُمكن الإشارة إلى الأهمّ منها، وهى:

- الخروج من رضوان الله تعالى إلى سخطه، وهذه هى الفاجعة الكُبرى.
- إماتة القلب، وراثة الهمّ والغمّ، فلا يغرّنك ما تجده من ضحكات عريضة، وابتسامات باهتة، فما ذلك إلّا أصداء بائسة لصوت الهزيمة النفسية التى يعيشها أولئك، ويتغافلون في إخفائها بظواهر مغرية، فهم صرعى الانتحار اليومى، والخذلان والانكسار، يفرّون بذلك الأنس المزيّف من واقع مرير، ولا يدركون حجم الخسارة الكبيرة.

- التعرّف على أنواع المعاصي والخطايا، والتفنّن في اقترافها، فهم لا يتعرّفون في مجالس الغفلة على الإصلاح وطلب الكمال والارتقاء، وإنّما يتسافلون بالذنوب، وينحدرون في كلّ يوم إلى خُلقٍ أدنى.
- ومن تبعات مجالس الغفلة والبطّالين: أنّها تورث العداوة والبغضاء بينهم، والتحاسد والمنقصة، ناهيك عن كونها تذهب بالحياء والوقار، وماذا ينتظر روّاد مجالس البطّالين غير السوء والمنقصة؟
- إنّ هدر الوقت والجهد والطاقة هو هدر لفرص التعلّم والعمل، والكينونة في عالم الخمول والبلادة، ولذلك فهم في كلّ يوم في ذلٍّ ومنقصة، ولا ذلّ أعظم من ذلّ المعصية، ولا منقصة أكبر من منقصة العمر بلا ثمرة.

وقائية الصدق من ظلمة الغفلة ومجالس البطّالين

وهنا لابدّ من الالتفات إلى أنّ أهمّية العمل الدؤوب على وقاية الصدق من جميع السموم القاتلة له، والتي منها ـ إن لم تكن أعظمها وأخطرها ـ مجالس الغفلة ومجالس البطّالين، وقد عرفنا خطورتها، ومن البديهي أن تكون الوقاية بالمقاطعة التامّة لمثل هذه المجالس، ولكنّ المطلوب هو تحقيق الضمانة لذلك، فالوقاية لا تحرز بالمقاطعة واحدها، وإنّما لابدّ من ملاحظة ومراقبة الأصدقاء الذين يرتادون مجالس السوء، فالاحتياط بمقاطعتهم أو مراقبة العلاقة معهم لا تقل أهمّية عن أصل مقاطعة مجالس الغفلة، فإنّ الغالب في عملية الانسياق إلى مجالس الغفلة والبطّالين يكون سببه صديق غافل وبطّال أراد بقصد أو بغير قصد تسرية مرضه الوبيل إلى أصدقائه المقرّبين، ولو راجعنا الدراسات الميدانية في ضبط بعض الظواهر السيّئة، كالتدخين مثلاً، نجد أنّ معظم المدخّنين قد انساقوا لذلك بسبب الرفقة ليس إلّا، وهكذا الحال في الأمور الخطيرة، لاسيّما

المنكـرات والموبقـات، ولـذلك لابـدّ مـن الحـذر مـن مرتـادي مجـالس الغفلـة والبطّالين.

العزلة أولى من ارتياد مجالس الغفلة والبطّالين

من مقتضيات الصدق مع النفس والموضـوعية في التحقيـق مـع أنفـسنا أن نـشخّص بـشجاعة ومـسؤولية جميـع المـوارد التـي تنتمـي إلى مجـالس الغفلـة والبطّالين، وليس ذلك بالأمر اليسير؛ فالإنسان بطبعه ينتـصر لكرامتـه وعزّتـه، وليس من السهل عليه أن يعترف بوجود موارد لهذه المجالس الباطلة في حياتـه، ولكنّ الإنسان السويّ الذي تقوده التقوى في قـراءة الأشـياء لا يـستجيب لهـذه التداعيات، ويسارع في تصيّد الباطل والعمل على اقتلاعه من الجـذور، وبـذلك يكون قد نجح في تحديد البدايات الصحيحة، سواء في علاج مجالس الغفلة أو في الوقاية منها، فإذا ما وجد مورداً يتّصل بمجالس الغفلة والبطّالين فإنّـه سـيعمل على قطع وشائجه، ولو وجد أنّ علاقاته الاجتماعية مستغرقة في ذلـك مـن دون التفات منه فإنّه سيُعاجل في علاجها، ولأنّ الإنسان ـ كما يُقال ـ مدنيّ واجتماعيّ بالطبع فإنّه سيجد عسراً واضحاً في قطـع وشـائجه الاجتماعيـة، فيقـع في حـيرة وابتلاء وامتحان كبيرين، حيث سيكون بين ثلاثة أمـور، الأوّل: أن يقطـع هـذه الوشائج الاجتماعية المنتمية لمجالس البطّالين، والثاني: أن يُبقي عليها ولكن مـع الاحتياط في التعاطي معها بنحو ـ يُوهم نفسه بـذلك لا غـير ـ يقـي نفـسه مـن آثارها، والثالـث: أن يبـدأ بممارسـة دور المـصلح مـع تلـك الوشـائج والرفقـة والأصحاب.

ولعلّ الأمر الثالث يبدو هو الأولى والأفضل والأصلح؛ لأنّه لا يستطيع أن يعيش بلا علاقات، فلا يسلك الأمر الأوّل، ولا يـستطيع أن يخسر نفـسه، فـلا يسلك الأمر الثاني، ولكنّ الصحيح في المقام هـو أن يـسلك الأمـر الأوّل، وهـو

قطع الوشائج معهم تماماً؛ فذلك هو الحلّ الناجع له ولهم، أمّا لـه فإنّـه سـيكون بمأمن منهم، وأمّا لهم فإنّه سيترك أثراً بالغاً فيهم أو في بعضهم على أقلّ التقادير، وسوف يُفجّر ثورة في أوساطهم تجعلهم يفكّرون بجدّية في أحوالهم، لاسـيّما إذا كان قد بيّن لهم سبب انقطاعه عنهم، ونحن ننصحه ببيان ذلك لهـم مـن دون أن يعطيهم فرصة الدفاع عن مجالسهم، وأن يفهمهـم بأنّـه مـا جـاء لكـي يناقـشهم بذلك، وإنّما جاء لكي يخبرهم بقراره وأسبابه، وأمّـا كـون هـذا القـرار الحاسـم سوف يفقده الكثير من علاقاته الاجتماعية، فهذا صحيح، ولكنّه أولى لـه بكثـير من ارتياد تلك المجالس أو البقاء على اتّصال معها، والحذار الحـذار مـن سـلوك الأمر الثاني فإنّه سرعان ما يضعف ويتحوّل صاحبه إلى متمـرّد مـن جديـد عـلى مشروعه الإصلاحي، وينصاع لصوت البطّالين، وأمّا بالنسبة للأمر الثالث فهـو على حسنه الظاهر فإنّه خطر أيضاً، ولعلّه سيكون في بعض الموارد من تسويلات الشيطان، وكيف لإنسان كان بالأمس القريب منتمياً لمجالس البطّالين أن يصبح واعظاً لهم؟ فلعلّ ذلك سوف يجعلـه في موضـع الـسخرية مـنهم، ولـذلك فـإنّ أعظم ردّ عنيف تجاه تلك المجالس الباطلة هـو مقاطعتهـا تمامـاً، فـذلك سـوف يترك أثراً عميقاً فيهم، ربما يبلغ حدّ الاختراق والهدم لكيـانهم العنكبـوتي، وقـد قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتـاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤١)، فلا يـستجيب لنوازع الـنفس بـالتوقّي الجزئـي أو بممارسـة دور الـواعظ معهـم، وإنّـما عليـه بالمقاطعة تماماً، فذلك أولى وأصلح له من ارتياد مجالس الغفلة والبطّالين، وهـذا القرار الواضح والشجاع سوف يجعله على مراقبة كبيرة من إصلاح نفـسه ومـن إصلاحهم أيضاً، ولو إصلاح بعضهم، وسوف يكون قد سـاهم بـشكل مبـاشر بإنشاء علاقـات جديـدة تنتمـي إلى عـالم اليقظـة والـصدق، لا إلى عـالم الغفلـة

والكذب، قال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ (النحل: ٩)، فامضِ على بركة الله، ولا تخشَ في الله لومة لائم، ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران١٢٢).

الهروب من مجالس الغفلة إلى الله تعالى

ممّا جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي، وهو من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام، ذكر لمجالس البطّالين وحتمية الفرار منها، وإنّما يكون الفرار إلى الله تعالى لا غير، قال عليه السلام: «**سيّدي لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحّيتني ... أو لعلّك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني وبينهم خلّيتني**»[1]، يبثّ شكواه، ويسأله تعالى الخلاص من ذلك، والخلاص ـ كما قدّمنا ـ بقطع الوشائج عن مجالس البطّالين تماماً، فكان قوله عليه السلام: «**وأنا يا سيّدي عائذٌ بفضلك، هاربٌ منك إليك، مستنجزٌ ما وعدتَ من الصفح عمّن أحسن بك ظنّاً، وما أنا يا ربِّ وما خطري**»[2]، فلا سبيل سوى الهروب إلى الله تعالى، وهذا هو أشرف وأزكى أنواع الهروب، فهو في واقعه ليس هروباً وإنّما هو لجوء ورجوع، فإنّ الهروب من الله تعالى ليس هروباً من ذاته عزَّ وجلَّ، وإنّما هو هروب من غضبه وسخطه، فنفرّ منه تعالى إليه، ونعم الفرار فرارنا في ذلك، ونعم الملجأ ملجؤنا في ذلك، قال تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ (الذاريات: ٥٠)، نهرب من عذابه إلى رحمته، ومن سخطه إلى رضاه، ومن عدله إلى فضله، ومن ناره إلى جنّته، فهو فرار منه إليه،

---

(١) الصحيفة السجّادية، للإمام عليّ زين العابدين عليه السلام: ص ٢٢٢، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، بإشراف: محمد علي الأبطحي، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ، قم.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٧.

وما دمنا قاطنين في مستنقع تلك المجالس الباطلة فإنّنا فارّون منه تعالى إلى أنفسنا الأمّارة بالسوء، وما دمنا قاطعين لأوشاج تلك المجالس الباطلة فإنّنا فارّون من أنفسنا الأمّارة وعذابها الدامي إلى الله تعالى ورحمته ورضاه، وطوبى للفارّين إلى الله تعالى.

عدم اليأس من الخلاص من الغفلة ومجالسها

لاشك أنّ مجالس الغفلة والبطّالين هي من أشهر مراتع الشيطان، وبالتالي فمن الطبيعي أن نجد الشيطان وأعوانه يدافعون عن أنفسهم، ولا يستسلمون بسهولة، ومن حبائل الشيطان في ذلك: زرع اليأس والتيئيس من الإصلاح والخروج من براثنه، فيجد الإنسان ضعفاً في همّته في الخروج منها بعد قوّة وإرادة، فإن استسلم لضعفه انكبّ على وجهه في الغفلة مجدّداً، وإن قاوم وصمد خرج بنجاحات باهرة، ولا رب أنّ هذا الصراع كبير وطويل الأمد، ولا يتوقّع الإنسان أن ينتصر فيه بسهولة، لاسيّما إذا جاء الخروج من مجالس الغفلة متأخّراً، أي: بعد عمر طويل مضى في مجالس البطّالين، فإنّ النفس تستعصي، وتحتاج إلى دراية وفنّ وجهاد، ولننقل تجربة فريدة لأحد أكبر علماء الأخلاق في الإسلام، وهو الشيخ أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه[1]، حيث يقول: «إني تنبّهتُ عن نوم الغفلة

---

(١) هو الأخلاقي الحكيم أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه الرازي (ت: ٤٢١)، من أعيان العلماء وأركان الحكماء، عاصر الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا، واختصّ بالوزير ابن العميد، له مؤلّفات كثيرة بعضها في الحكمة ومنها كتاب (الفوز الأكبر)، وكتاب (الفوز الأصغر)، وكتاب (تجارب الأمم وتعاقب الهمم)، وكتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق)، وهو أوّل كتاب صنّف في علم الأخلاق، وكتاب (طهارة النفس)، و (ترتيب السعادة)، وقد مدحه المحقق الخواجة نصير الدين الطوسي بأبيات، عاش رحمه الله عمراً طويلاً. انظر: الأعلام قاموس تراجم، مصدر سابق: ج ١ ص ٢١١.

بعد الكبر واستحكام العادة، فتوجّهتُ إلى فطام نفسي عن رذائل الملكات، وجاهدت جهاداً عظيماً، حتى وفّقني الله لاستخلاصها عمّا يهلكها، فلا ييأس أحدٌ من رحمة الله، فإنّ النجاة لكلّ طالبٍ مرجوّةٌ، وأبواب الإفاضة أبداً مفتوحة»[١].

يقول الشيخ النراقي معلّقاً على ذلك: «فبادروا إخواني إلى تهذيب نفوسكم قبل أن يصير الرئيس مرؤوساً، والعقل مقهوراً، فيفسد جوهركم، وتُمسخ حقيقتكم، ويدرككم الانتكاس في الخلق الذي هو خروج عن أفق الإنسان ودخول في زمرة البهائم والسباع والشياطين، نعوذ بالله ونسأله العصمة من الخسران الذي لا نهاية له. وقد شبّه الحكماء مَن أهمل سياسة نفسه الغافلة بمن له ياقوتة شريفة حمراء، فرماها في نار مضطرمة فيحرقها، حتى تصير كلساً لا منفعة فيها»[٢].

الرصد القرآني لمجالس الغفلة

تناول القرآن الكريم موضوع الغفلة ومجالسها من زوايا مختلفة، منها:

أوّلاً: التحذير والنهي عن رفقة البطّالين وطاعتهم، فإنّهم لا يورّثون غير اتّباع الهوى، والتفريط بالحقّ، قال تعالى: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾ (الكهف: ٢٨).

ثانياً: التحذير من مجالس الغفلة، لأنّها ليست سوى مجالس الانقطاع عن الله تعالى، والانغماس في الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، فالغفلة هي انقطاع الذكر والفكر معاً، والذكر المقصود في المقام هو المصحوب بالفكر والتدبّر.

---

(١) جامع السعادات، مصدر سابق: ج ١ ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

ثالثاً: أصحاب مجالس السوء ليسوا سوى أدعياء للمعرفة، وإلّا فهم جاهلون، فالجاهل من جهل تكاليفه وفرّط بآخرته، والبطّالون هم المستخفّون بتكاليفهم وآخرتهم، قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ (الروم: ٧)، فقد نجد فيهم من حملة الشهادات، وأصحاب التحصيل في العلوم المختلفة، ولكنهم قابعون تحت سلطة النفس وسطوتها، عاجزون عن إبصار غفلتهم، ومأسورون لأهوائهم، وكأنّهم خُشب مُسنّدة.

الرصد الروائي لمجالس الغفلة

أوّلاً: النقص والحسرة في كلّ مجلس لم يُذكر فيه الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله فيه إلّا كان عليهم ترة، وما من رجل مشى طريقاً فلم يذكر الله عزّ وجلّ إلّا كان عليه ترة، وما من رجل أوى إلى فراشه فلم يذكر الله إلا كان عليه ترة**»[1]، والترة: هي النقص والتبعة والحسرة والندم[2].

وفي هذا الخبر توسعة كبيرة لمجالس الغفلة، فالنقص والتبعة والحسرة هي من مقتضيات مجالس الغفلة، وكلّ مجلس أو طريق أو منام لا يُذكر فيه الله تعالى فهو متفرّع على تلك المجالس، بل هو منها، وأيّ غفلة أعظم من الغفلة عن الله تعالى؟ أو الغفلة عن رسوله صلّى الله عليه وآله، ولذا نجد التنبيه لذلك في خبر آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «**ما جلس قومٌ مجلساً لم يذكروا فيه ربَّهم ويصلُّوا فيه على نبيّهم صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إلّا كان عليهم ترة**»[3].

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٣٢؛ ص ٤٥٣.

(٢) انظر: فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٩٥.

(٣) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٨٤؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج٥ ص١٢٩ ح ٣٤٤٠.

ثانياً: مجالس الغفلة والبطّالين هي مجالس الغفلة عن الموت وما يراد بنا، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه خطب فقال: «**وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه. وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم**»[١].

ثالثاً: التحذير من منازل الغفلة، والتي هي مجالس الغفلة والبطّالين، فهي ليست على نوع واحد، فكلّ غافل وبطّال يضفي من شخصيته على المجلس شيئاً، فيكون كلّ مجلس هجيناً من نواقص وإخفاقات كثيرة، وعن الإمام عليه السلام في كتاب أرسله إلى الحارث الهمداني: «**واحذر منازل الغفلة والجفاء، وقلّة الأعوان على طاعة الله**»[٢]، ومنازل الغفلة هي المنازل المختبئة تحت مظلّة الظلام، فهي تخشى النور والضياء، ولا تمتلك إلّا التعايش والحراك مع خفافيش الليل المطبق.

الرصد الأخلاقي لمجالس الغفلة

إنّ جميع الأبحاث الأخلاقية التي تعتني وتهتمّ بتعريف وتوصيف الأخلاق الحميدة والذميمة، والتي تهدف إلى الارتقاء بالإنسان إنّما يكون هدفها الأوّل هو إخراج الإنسان من عالم الغفلة، فالغفلة هي مفتاح الشرور، وكلّ بنيان كماليّ داخل في عملية التحلية، غير مسبوقٍ بتصفية الباطن على مستوى الخلاص من الغفلة، فإنّه بنيانٌ محكومٌ عليه بالسقوط السريع، كمن بنى داراً على أساس من الرمل، ولذلك نجد علم الأخلاق ومصنّفاته يُوليان موضوع الغفلة اهتماماً كبيراً؛ لأنّ معالجة الغفلة هي أهمّ خطوات عملية الإصلاح، وعليها تبتني الخطوات الأخرى، وما يسمّونه بالتخلية من الأخلاق الذميمة ما هو إلّا تعبير آخر عن الخروج من عالم الغفلة، فالغيبة غفلة، والرياء غفلة، والعُجب غفلة، وسوء الظنّ

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٢٧ خطبة: (١٨٨).

(٢) المصدر نفسه: ج ٣ ص ١٢٩ رقم (٦٩).

غفلة، والسرقات غفلة، وسائر ارتكاب المنكرات لا تخرج عن كونها غفلات.

التنافي بين مجالس الغفلة ومساجد الطاعة

المساجد هي المكان الذي يُفترض أن يتّخذ المؤمنون منه ورشة عمل لمعالجة العيوب الظاهرة والباطنة، وهي أفضل الأمكنة المساعدة على الخروج من مجالس الغفلة التي يعيشها الكثير مع الأغيار الظاهرية والأغيار الباطنية، فالمساجد مدارس تساعدنا على رصد مواضع الخلل في النيّة والقول والفعل، وتجلية النفس والقلب، وارتياد المساجد وإدامة الحضور فيها يجعلنا نعيش مع روحانيتها، فنخرج بعد كلّ رحلة مسجدية ونحن مرتدون ثوب المسجدية، فنكون مسجديين في أقوالنا وأفعالنا[1]، وإذا ما كنّا مسجديين فذلك يعني أن نكون مِن حمَلة القرآن والسنّة الشريفة، وأن نكون متّصفين بأخلاقيات المسجد، والتي تقتضي منّا لزوم المراقبة؛ فهي سبيل الوقاية من التوغّل في الغفلة والخطأ، وبهذه الوقائية يمكننا تنفيذ برامج المشارطة والمحاسبة والمعاتبة والمعاقبة، وبهذا تكون قلوبنا مسجدية، وإذا ما تحقّقت المسجدية فينا (الاتصاف بأخلاقيات المسجد) فإنّنا سوف نكون قد حقّقنا مساجد الطاعة، ومساجد الطاعة هي ـ باختصار شديد ـ: الخلاص من مجالس الغفلة ومن مجالس البطّالين، ولذلك فإنّه لا يمكن أبداً الجمع بين مجالس الغفلة وبين مساجد الطاعة، فأحدهما طارد

(١) جدير بالذكر أنّ للسيد الأستاذ (دام ظلّه) حديثاً طويلاً حول المسجد والمسجدية، تناوله في الحلقة الرابعة من (سلسلة الأخلاق التعليمية)، والتي حملت عنوان (روحانية العبادات)، وتحديداً في الدرس السادس منها (الدرس السادس: أخلاقيات المسجد والأماكن المقدّسة)، وأثبت هنالك أنّ أخلاق المسجد هي مسجدية المسجد، أو قل هي النتيجة العملانية للعبادة في المسجد، فهدف المسجد هو المسجدية، والمسجدية هي أخلاقه.

للآخر، وإذا ما وجدنا خللاً أو قصوراً أو غياباً لمساجد الطاعة في أنفسنا وقلوبنا وعقولنا فإنّ مردّ ذلك إلى وقوع اختراق مجالس الغفلة لأنفسنا وقلوبنا وعقولنا، ولو كانت مساجد الطاعة يقظة وحاضرة في قلوبنا في كلّ سلوك نسلكه فلا ريب في عدم وجود موضع قدم لمجالس الغفلة في قلوبنا، ولذلك علينا بالمراقبة ثمّ المراقبة ثمّ المراقبة، فهي النظام الرصدي لنتوءات الانحراف التي توجدها مجالس الغفلة.

مجالس العلم والذكر

وفي قبال مجالس الغفلة والبطّالين تقف مجالس العلم والذكر والوعظ، وهذه المجالس هي المدارس الحقيقية في السير والسلوك وتحصيل الكمال، والغيبة عن هذه المجالس ـ التي تشتمل على النفحات الرحمانية ـ تُسبّب الذلّ والخذلان، وقد ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي مقطع يحكي هذا المعنى، حيث يقول الإمام علي زين العابدين عليه السلام فيه: «**سيّدي ... لعلّك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني**»[1]، والخذلان يعني سلب التوفيق في العلم والعمل، ومن ذلك الخذلان: الترك في عالم الغفلة والخضوع إلى مجالس البطّالين، فمجالس العلم ومجالس البطّالين متنافية تماماً، وبقدر تمدّد أحدهما ينحسر الآخر، وبقدر انحسار أحدهما يتمدّد الآخر، وهنا ينبغي أن نطرح عدّة أسئلة مهمّة ونجيب عنها:

السؤال الأوّل: ما هي مجالس العلم والذكر والوعظ؟ وما صفتها؟

السؤال الثاني: من هم أولئك الذين نجالسهم؟

السؤال الثالث: كيف تكون هذه المجالس النورانية حاضرة في حياتنا؟

السؤال الرابع: كيف نعمل على نشرها والحثّ عليها؟

---

(١) الصحيفة السجادية، مصدر سابق: ص ٢٢٢.

● أمّا السؤال الأوّل فجوابه: أنّ مجالس العلم هى المجالس التى تُعقد فيها المدارسة في العلوم الإسلامية، والتى تدخل في باب التفقّه في الدين، وأمّا مجالس الذكر والوعظ فهى مجالس ذكر الله تعالى ومجالس التوبة والإنابة إليه، وتلك هى مجالس النور والرحمة، التى تُبدّل فيها السيّئات إلى حسنات، فقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**ما جلس قومٌ يذكرون الله إلّا نادى بهم منادٍ من السماء: قوموا فقد بُدّلت سيّئاتكم حسنات، وغُفر لكم جميعاً، وما قعد عدّة من أهل الأرض يذكرون الله إلّا قعد معهم عدّة من الملائكة**»[1]، وفي خبر آخر عنه صلّى الله عليه وآله: «**ما جلس قومٌ يذكرون الله إلّا حفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزّلت عليهم السكينة وذكرتهم فيمن عندهم**»[2].

وقد تنعقد مجالس للعلم والعمل فتخلو من ذكر الله تعالى، وفي ذلك قدح وإضرار بها، ولذلك ينبغي أن تكون هذه المجالس مفعمة بذكر الله تعالى، وقد ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**ما من قومٍ قعدوا في مجلسٍ ثمّ قاموا ولم يذكروا الله إلّا كان حسرةً عليهم يوم القيامة**»[3].

وأمّا الشطر الآخر للسؤال الأوّل عن صفة مجالس العلم والذكر والوعظ، فقد وُصفت مجالس الذكر وحلق الذكر برياض الجنّة، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال لأصحابه: «**بادروا إلى رياض الجنّة**، قالوا: يا رسول الله**!** وما

---

(١) روضة الواعظين، مصدر سابق: ص ٣٩١، وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ٧ ص١٥٣ ح ٤؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص ٣١٢؛ عدّة الداعي، مصدر سابق: ص ٢٣٨؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٢٤٥ ح ٣٧٩١؛ شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١٠ ص ١٥٤؛ الدرّ المنثور، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥١.

(٢) روضة الواعظين، مصدر سابق: ص ٣٩١.

(٣) وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج ٧ ص ١٥٣ ح ٥.

رياض الجنّة؟ قال: **حلق الذكر**»[١]، وحلق الذكر هي حلق العلم والتفقّه في الدين، وتلاوة القرآن ودروس التزكية والإصلاح، وغير ذلك من مدارسة الفضائل.

- وأمّا السؤال عن هويّة أولئك الذين نجالسهم، فقد جاء عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **قالت الحواريّون لعيسى: يا روح الله! من نجالس؟ قال مَن يذكّركم اللهَ رؤيتُه، ويزيد في علمكم منطقُه، ويرغّبكم في الآخرة عملُه**»[٢]، وعن ابن عباس قال: «قلنا: يا رسول الله من نجالس؟ قال: **من يزيد في علمكم منطقُه، ويرغّبكم في الآخرة عملُه، ويزهّدكم في الدنيا فعلُه**»[٣]، وعن ابن عباس أيضاً قال: «قيل: يا رسول الله، أيّ الجلساء خير؟ قال: **من ذكّركم بالله رؤيتُه، وزادكم في علمكم منطقُه، وذكّركم بالآخرة عملُه**»[٤].

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «**جالس العلماء يزدد علمك، ويحسن أدبك، وتزكُ نفسك**»[٥]، وينبغي السؤال عن سرّ الحثّ على مجالسة العلماء

(١) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٠٩ ح ٥٨٨٨؛ أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٤٤٤ ح ٢؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٥٠؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٩٤ ح ٣٥٧٧.

(٢) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٩ ح ٣؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٤٤؛ تاريخ دمشق، مصدر سابق: ج ٤٧ ص ٤٥٣.

(٣) الدرّ المنثور، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٨؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ٩ ص ١٧٨ ح٢٥٥٨٦.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ١٥٧ ح ١٤؛ سبل الهدى والرشاد، مصدر سابق: ج ٩ ص ٣١٥؛ كنز العمّال، مصدر سابق: ج ٩ ص ١٧٨ ح ٢٥٥٨٧.

(٥) عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٢٢٣.

وأهل العلم، وهذا ما يُجيب عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله بقوله: «**مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة**»(١).

● وأمّا السؤال حول كيف أن تكون هذه المجالس النورانية حاضرة في حياتنا، فجوابه هو من خلال المراقبة الشديدة لأحوالنا، وبمرافقة الصالحين من أهل العلم والخير، والاجتناب عن رفقة السوء، فرفقة الصالحين نعمةٌ لا تقدَّر بثمن، ورفقة أهل السوء بلاءٌ ما بعده بلاء، وقد كان موسى الكليم عليه السلام يحثّ الخطى على اللقاء بالعبد الصالح، ليتزوّد منه، كما جاء في قصّتهما في سورة الكهف، ومنها ما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً**﴾ (الكهف: ٦٥ ـ ٦٦)، فعقد موسى عليه السلام في رحلته العجيبة مع الخضر عليه السلام مجالس علم ومعرفة وسير وسلوك، وقد صاحبته عليه السلام بعض الإخفاقات، فكان يتداركها بالاعتذار الشديد؛ حرصاً منه عليه السلام على تتميم مجالسه العلمية والمعنوية مع ذلك العبد الصالح.

● وأمّا السؤال عن كيفية العمل على نشر مجالس العلم والذكر والوعظ، والحث عليها، فقد وردت إشارة قرآنية إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ (المجادلة: ١١)، أي: إذا طُلب منكم أن يوسّع بعضكم المجالس لبعضكم الآخر فأوسعوا لهم، ولو لم تكن تلك المجالس مجالس علم وذكر وموعظة لما وقع الحثّ على التوسعة وفسح المجال للآخرين للجلوس فيها، وهذه هي القرينة السياقية الأولى، وأمّا القرينة السياقية الثانية على كونها مجالس

(١) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٩ ح ٤.

العلم والذكر فهي: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾، أي: يُوسّع الله عليكم في خير الدنيا والآخرة، والقرينة السياقية الثالثة هي ذيل الآية: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، فما هي مناسبة ذكر الذين أُوتوا العلم ورفع درجاتهم لو لم تكن تلك المجالس مجالس علم، فيكون الوعد برفع الدرجات حثّاً لطيفاً إلى ارتياد مجالس العلم والذكر والوعظ.

وأمّا القرينة المنفصلة المؤيّدة لهذا المعنى في الحثّ فهي ما جاء في بعض الأخبار وآراء المفسّرين في بيان أُولى تطبيقات هذه المجالس النورانية ومصاديقها، معتبرين أنّ مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله هي أولى تلك المجالس، ومن الواضح أنّ مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله هو مجلس العلم كلّه، ومجلس الذكر كلّه، ومجلس الوعظ كلّه، وأيّ مجلس سيكون أفضل وأشرف من مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ومن الحثّ القرآني على حضور مجالس الذكر، سواء كانت مجالس جماعية، أو فردية يعقدها الذاكر مع نفسه ـ فتكون هذه المجالس واقعة في قبال مجالس الغفلة الباطنية ـ ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢).

وفي قبال ذلك الحثّ القرآني والنبوي لارتياد مجالس العلم والذكر والوعظ، ورد النهي الشديد عن حضور مجالس البطّالين وأهل السوء، في القرآن الكريم والسنّة الشريفة، أمّا القرآن فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ (النساء: ١٤٠)، وهذه من أعظم مجالس الغفلة؛ لأنّها تشتمل على كبائر المحرّمات، وهي الكفر بالله الملازم للكفر بآياته سبحانه والاستهزاء بها، ولو ردّ

الإنسان حكماً شرعياً واحداً نصّ عليه القرآن أو السنّة فهذه سخرية واستهزاء.

● وأمّا في السنّة الشريفة فمنها ما جاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه، ولا يقدر على تغييره**»[١]، وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقوم مكان ريبة**»، ومكان الريبة هو تعبير آخر عن مجالس السوء والبطّالين، وعنه عليه السلام أيضاً: «**مجالسة أهل الهوى منساة للإيمان، ومحضرة للشيطان**»[٢]، أي: هي موضع لنسيان الإيمان، وداعية للذهول عنه، وعنه عليه السلام: «**إيّاك ومصاحبة أهل الفسوق، فإنّ الراضي بفعل قوم كالداخل معهم**»[٣].

وأخيراً فإنّ مجالس العلم هي مجالس الحياة واليقظة، ومجالس البطّالين هي مجالس الموت والغفلة، كما روي ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، حيث يقول: «**مثل الذي يذكر ربّه والذي لا يذكر، مثل الحيّ والميت**»[٤].

كلمات على الطريق

● قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (الزمر: ١٨)، من وجوه الآية الكريمة: الفصل بين مجالس أهل العلم والذكر والموعظة، وهو أحسن القول، وبين مجالس الغفلة والبطّالين، الذين لا يزيدون المرافق لهم إلّا ذنباً وبُعداً عن الله تعالى، وهو أسوأ القول، وشتّان بين أحسن القول وأسوئه.

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٧٤ ح ١، باب: (مجالسة أهل المعاصي).
(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٠.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٩٨.
(٤) صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٧ ص ١٦٨؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج٢ ص١٨٨.

- عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**المتكلّمون (أو المجالس) ثلاثة: رابح ـ أو غانم ـ وسالم وشاجب، فأما الرابح فالذاكر لله، وأمّا السالم فالساكت. وأمّا الشاجب فالذي يخوض في الباطل، إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فاحش بذيء، قليل الحياء، لا يبالي ما قال، ولا ما قيل فيه**»[1]، والبذيء: السفيه والذي أفحش في منطقه، الشاجب: الهذّاء المكثار، أي كثير الهذيان وكثير الكلام، وفي تاج العروس: «الشاجب باللام: الهذّاء المكثار، وفي الحديث: الناس ثلاثة: شاجب وغانم وسالم، فالشاجب: الذي يتكلّم بالرديء، وقيل: الناطق بالخنا، المعين على الظلم، والغانم: الذي يتكلّم بالخير، ويأمر به، وينهى عن المنكر، فيغنم، والسالم: الساكت»[2]، والخنا هو الفُحش في القول، الذي يمسّ كرامة الناس وشرفهم.
- وممّا جاء في وصيّة لقمان الحكيم لابنه: «**يا بُنيّ! جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإنّ الله عزَّ وجلَّ يُحيي القلوب بنور الحكمة كما يُحيي الأرض بوابل السماء**»[3].

---

(١) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٩٤؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٥ ص٢٩٣ ح ١٠؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٧١ ص ١٨٩؛ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني: ص ٢٠ ح ٤٩؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ٩ ص ١٤٨ ح ٢٥٤٥٢.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني: ج ١ ص ٣١٠، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.

(٣) كتاب الموطأ، للإمام مالك بن أنس: ج ٢ ص ١٠٠٢ ح ١، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، بيروت؛ تفسير القمي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي: ج ٢ ص ١٦٣، تصحيح السيد طيب الجزائري، نشر: مؤسسة دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة؛ الدرّ المنثور، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٦٥.

خلاصة الدرس

- الغفلة خمول وفتور وانكماش وعدم انبعاث، ولذلك فهي ضدّ النيّة.
- مجالس الغفلة هي الكينونة مع الأغيار بما لا ينفع في دين ودنيا وآخرة.
- مجالس الغفلة بصفة كونها غيرية فإنّها دائماً تطلب الأغيار، وأغيارها نفسية باطنية، وغيرية ظاهرية، والنفسية هي الأكثر خطورة وصعوبة.
- تنقسم مجالس الغفلة مع الأغيار الظاهرية إلى: مجالس ارتكاب الحرام، ومجالس الشبهات، ومجالس الإسراف في المباحات.
- مجالس الغفلة المحرّمة هي عبارة عن سموم قاتلة، دأبها وقوامها في تحطيم النفوس والقلوب، وهي من أسوأ مجالس الغفلة على الإطلاق.
- مجالس الشبهات سرعان ما تنتهي إلى المجالس السيّئة الخبيثة، فالتوارد في مواطن الشبهات مقدّمة للاقتراب من مواطن المُحرّمات.
- الخروج من الإسراف في المباحات صعب؛ فالمنغمس فيها لا يجد نفسه مذنباً، ولو تفكّر لوجد نفسه مذنباً، فهدر الوقت الثمين ذنب ومعصية.
- مجالس الأغيار الباطنية تُعقد مع الأهواء والأوهام والأماني الضالّة، حيث التنقّل كالطير من غصن إلى آخر، والأماني بحر سيّال لا تنتهي عند حدّ.
- أحلام اليقظة تفترس الذاكرة ولا تُبقي معلماً فيها إلّا وسخّرته لأبطالها.
- تكمن خطورة الخواطر المباحة في كثرتها، وفي سلّميتها للمكروهات والمحرّمات، واستنزافها لطاقة الإنسان وماله وجهده.
- من أسباب الانسياق إلى مجالس الغفلة: الغفلة عن الموت والاستخفاف به، والكبْر والغرور، والوحشة من الحقّ والأُنس بالباطل، ورفقة السوء والأُنس بهم، واعتياد الخطيئة والإدمان عليها، والفراغ القاتل.
- الفراغ القاتل سببه عدم وجود علم يتفكّر فيه، ولا عمل يقوم به،

فيكون نهباً للطيور الجارحة والرياح العاتية.

- الخداع النفسي هو الفاعل الأساسي في تجنيد الخواطر الباطنية.
- الفراغ هو أوّل مفتاح لدخول مجالس الغفلة، فالخلوّ من العلم والعمل يجعله مرتعاً للخواطر، حيث الترغيب والتسويف.
- مجالس الغفلة طريق للهروب من الواقع ومسؤولياته، فهي مسكرات.
- الرجوع إلى الواقع ومواجهة المسؤوليات يحقّق تأدية المهامّ والواجبات الاجتماعية المطلوبة، والخلاص النسبي من عالم الغفلة ومجالسها.
- مجالس الغفلة مقبرة العلم والعمل والفضيلة والصدق والكمال، بل هي سرّ انطفاء نورانية العلم والصدق.
- للإنسان أرصدة أساسية في حياته لا عوض لها، كالعمر والطاقة، ولا ريب أنّ الغفلة ومجالس البطّالين مصيدة عظيمة تنعدم فيها الأوقات والطاقة.
- من خسائر مجالس الغفلة والبطّالين: الخروج من رضوان الله إلى سخطه، وإماتة القلب، و وراثة الهمّ والغمّ، والتعرّف على المعاصي واقترافها، وزرع العداوة والبغضاء والتحاسد والمنقصة.
- لابدّ من الاستعانة بالصدق كحصن وقائيّ من سموم مجالس البطّالين.
- سياسة التعاطي مع مجالس الغفلة إمّا بقطع وشائجنا الاجتماعية المنتمية لها، أو بالإبقاء عليها مع الاحتياط بنحو يقي من آثارها، أو القيام بدور المصلح مع تلك الوشائج والرفقة والأصحاب، والصحيح هو الأوّل.
- قطع وشائج مجالس الغفلة هو الحلّ الناجع للأمن منها، وهو السبيل لتفجير ثورة في أوساطها، تجعل أصحابها يفكّرون بجدّية في أحوالهم، لاسيّما مع بيان سبب القطيعة معهم.

- خير طريق للخلاص من مجالس الغفلة يكون بالهروب منها إلى الله تعالى، ولا يكون هذا الهروب إلّا بمعيّة الصدق.
- لابدّ من عدم الاستسلام لمجالس الغفلة، وعدم اليأس من الخلاص منها، ولا نتوقّع الانتصار عليها بسهولة، لاسيّما إذا جاء الخروج منها متأخّراً.
- تناول القرآن موضوع الغفلة ومجالسها من زوايا، منها: التحذير والنهي عن رفقة البطّالين وطاعتهم، والتحذير منها لكونها مجالس الانقطاع عن الله والانغماس في الدنيا، ولكون أصحابها ليسوا سوى أدعياء للمعرفة.
- من الرصد الروائي لمجالس الغفلة: أنّها تورث النقص والحسرة، وكونها مجالس الغفلة عن الموت وما يراد بنا.
- الهدف الأوّل للأبحاث الأخلاقية هو إخراج الإنسان من عالم الغفلة.
- مساجد الطاعة مدارس القرب، ومجالس الغفلة اندراس لفضيلة الكمال.
- إذا ما تحقّقت المسجدية فينا (الاتصاف بأخلاقيات المسجد) نكون قد حقّقنا مساجد الطاعة، ومساجد الطاعة هي الخلاص من مجالس الغفلة.
- في قبال مجالس الغفلة والبطّالين تقف مجالس العلم والذكر والوعظ، وهذه المجالس مدارس السير والسلوك وتحصيل الكمال.
- مجالس العلم هي مدارسة العلوم الداخلة في باب التفقّه في الدين، ومجالس الذكر والوعظ هي مجالس ذكر الله تعالى والتوبة والإنابة إليه.
- خلوّ مجالس العلم والعمل من ذكر الله تعالى قدح وإضرار بها.
- مجالس العلم للحياة واليقظة، ومجالس البطّالين للموت والغفلة.

مذاكرة

- ما هي الغفلة؟ وما هي مجالس الغفلة والبطّالين؟
- ما وجه طلب مجالس الغفلة والبطّالين للأغيار؟ وما هي أنواع الأغيار؟
- لأيّ الأغيار تنتمي مجالس ارتكاب الحرام والشبهات، والإسراف؟
- أيّ مجالس الغفلة التي تعتبر سموماً قاتلة، قوامها تحطيم القلوب؟
- لماذا تنتهي مجالس الشبهات إلى مجالس المحرّمات؟
- هل للأماني حدّ ونهاية؟ وما هي علاقتها بمجالس الغفلة؟
- ما هو أثر أحلام اليقظة على الذاكرة؟
- أين تكمن خطورة الخواطر المباحة؟
- ما هي أسباب الانسياق إلى مجالس الغفلة والبطّالين؟
- ما هي أسباب الفراغ القاتل؟ وإلى أيّ شيء يؤدّي هذا الفراغ؟
- ما هو نوع الخداع الفاعل في تجنيد الخواطر الباطنية؟
- ما هو أوّل مفتاح لمجالس الغفلة؟ وماذا نعني بالترغيب والتسويف؟
- ما هو المقصود بالهباء الفايروسي؟ وما صلته بالفراغ والعلم والعمل؟
- ما هي علاقة مجالس الغفلة بالهروب من الواقع ومسؤولياته؟
- ما الذي يحقّقه الرجوع إلى الواقع ومواجهة المسؤوليات؟
- ما هي الأرصدة التي لا عوض لها؟ وما خطر مجالس الغفلة عليها؟
- ما هي أهمّ الخسائر التي تسببها مجالس الغفلة والبطّالين؟ وما علاجها؟
- ما هو دور الصدق في الخلاص من مجالس الغفلة والبطّالين؟
- ما هي أفضل طريقة للتعاطي مع مجالس الغفلة والبطّالين؟ ولماذا؟
- ما هي الزوايا التي تناولها القرآن في موضوع الغفلة ومجالسها؟
- ما هو الهدف الأوّل لجميع الأبحاث الأخلاقية؟

- ما هي المسجدية؟ وما هي مساجد الطاعة؟ وما دورها في معالجة الغفلة؟
- ما هي مجالس العلم والذكر والوعظ؟ وما هي صفتها؟
- من هم أولئك الذين ينبغي أن نجالسهم، ولا نجالس غيرهم؟
- كيف تكون مجالس العلم والذكر والوعظ حاضرة في حياتنا؟ وكيف نعمل على نشرها والحثّ عليها؟
- ما هي علاقة رياض الجنّة بحلق الذكر؟
- ما هي علاقة قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ بمجالس الذكر؟
- ماذا نعني بقولنا: مجالس العلم هي مجالس الحياة واليقظة، ومجالس البطّالين هي مجالس الموت والغفلة؟

الدرس الثاني عشر

علاقة الشهامة والشجاعة والسخاء بالصدق

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى الشهامة وفضيلتها
- معنى الشجاعة وفضيلتها
- القدوة الشجاع يغرس الشجاعة في قلوب أتباعه
- ثقافة الموت تملأ القلب بالشجاعة
- معنى السخاء وفضيلته
- علاقة السخاء بالإيمان واليقين والهمم العالية
- الآثار الاجتماعية للشهامة والشجاعة والسخاء
- السخيّ في الطاعة والسخيّ في المعصية
- الرصد القرآني والروائي للشهامة والشجاعة والسخاء
- السخاء صفة الوسطية والاعتدال بين التبذير والبخل
- مراتبية الشهامة والشجاعة والسخاء
- علاقة الشهامة والشجاعة والسخاء بالصدق
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان معنى (الشهامة، الشجاعة، السخاء) وفضائلها
- بيان علاقة القدوة الشجاع ونشر ثقافة الموت بالشجاعة
- بيان الآثار الاجتماعية للشهامة والشجاعة والسخاء
- الفصل بين السخاء في الطاعة والسخاء في المعصية
- عرض الرصد القرآني والروائي للشهامة والشجاعة والسخاء
- الكشف عن علاقة الشهامة والشجاعة والسخاء بالصدق

تمهيد

في ضوء مباحث الدرس السابق المتعلّق بالغفلة ومجالس البطّالين، بقي سؤال متروك يطلب الإجابة عنه، وهو كيفية الخلاص من ذلك كلّه؟ وقد عرفنا إجابة موجزة حول مدخلية الصدق في مواجهة الغفلة، وقد لاحظنا أنّ هنالك حاجة ماسّة للبحث عن منافذ أخرى تساعدنا كثيراً على الخروج من عالم الغفلة، والخلاص من مجالس البطّالين، ولا ريب أنّ الشهامة والشجاعة والسخاء من الوسائل الأكيدة في الخلاص من ذلك، وهذا ما يلزمنا بالبحث عن معنى الشهامة والشجاعة والسخاء وفضائلها، وبيان بعض المنافذ العميقة المساعدة على الخلاص من رذيلة الجبن، من قبيل وجود القدوة الشجاع الذي يغرس الشجاعة في قلوب أتباعه، ونشر ثقافة الموت، بصفته أمراً حتمياً، لا بمعنى التشاؤم والانقطاع عن الحياة، وإنّما بمعنى داعميته الأكيدة في الخلاص من الخوف والجبن ما دمنا نموت جميعاً، ونظراً لأهمّية السخاء في حياتنا الاجتماعية احتجنا إلى البحث في علاقته بالإيمان واليقين والهمم العالية، وبيان آثاره الاجتماعية، ثمّ الفصل بين السخاء في الطاعة والسخاء في المعصية، لرفع توهّمات

كثيرة، وبيان الجذور القرآنية والروائية للشهامة والشجاعة والسخاء، وأخيراً كان من اللازم أن نكشف مراتبية هذه الصفات وعلاقتها الوثيقة بالصدق.

معنى الشهامة وفضيلتها

الشهامة مصدر «شهم»، وضدّها: البلادة، وهذه المادّة (ش. هـ.م) تدلُّ على الذكاء، فالشهم هو الذكيّ الفؤاد، المتوقّد، الجلد[١]، وفي ذلك يقول العلامة الطريحي: «الشهامة ضدّها البلادة، يقال: شهم الرجل بالضمّ شهامة، فهو شهم، أي: جلد، ذكيّ الفؤاد»[٢]، والشهم أيضاً: السيّد النجد النافذ في الأمور، وعن الفرّاء: الشهم في كلام العرب: الحمول الجيّد القيام بما حُمّل، الذي لا تلقاه إلا حمولاً، طيّب النفس بما حُمّل، وكذلك هو في غير الناس[٣].

وأمّا في الاصطلاح، فيقول ابن مسكويه: «الشهامة هي: الحرص على الأعمال العظام توقّعاً للأحدوثة الجميلة»[٤]، وقريب من ذلك: «هي: الحرص على الأمور العظام؛ توقّعاً للذكر الجميل عند الحقِّ والخلق»[٥]، وقيل بأنّها: «عزّة

---

(١) انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٣٢٨.

(٢) انظر: مجمع البحرين، مصدر سابق: ج ٢ ص ٥٥٦.

(٣) انظر: لسان العرب، مصدر سابق: ج ١٢ ص ٣٢٨؛ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: ج ٣ ص ٢٢٣، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ، الناشر: اتحاد الكتّاب العرب، الطبعة: ٢٠٠٢م.

(٤) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه: ص ٣٠، تحقيق: قسطنطين زريق، نشر: الجامعة الأمريكية، ١٩٦٦م، بيروت؛ الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، العلّامة الحلّي جمال الدين الحسن بن يوسف المطهّر: ص ١٧٣، الناشر: مكتبة الألفين، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م، بنيد القار، الكويت.

(٥) انظر: التوقيف على مهمّات التعاريف، للشيخ محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي المصري (ت: ١٠٣١ هـ): ص ٥، الناشر: عالم الكتب، القاهرة.

النفس، وحرصها على مباشرة أمور عظيمة، تستتبع الذكر الجميل»[١]، والشهامة من أفراد أو مصاديق علوّ الهمّة، حتى قيل بأنّها علوّ الهمة، والتي تقتضي الحرص على اقتناء عظائم الأمور توقّعاً لجميل الذكر على مرّ الدهور[٢].

وأمّا فضيلة الشهامة فإنّها جامعة بين الذكاء والعزّة وعلوّ الهمّة، وهذه الأمور لا تجتمع إلّا عند الشخصيات الكبيرة، لاسيّما في المصلحين الذي يأتون بمشاريع كُبرى، تهدف إلى تغيير واقعٍ متردٍّ إلى واقعٍ جديد، فتواجههم المعوّقات والصعاب، ويقابلون ذلك برحابة صدر وانفتاح وتفاؤل، فلا تلين هممهم، ولا تخمل حركتهم، فهم في جدٍّ وسعي متواصل.

ومن ثمرات الشهامة: أنّها تساعد على إشاعة المحبّة في النفوس، وإزالة العداوة بين الناس، كما أنّها تساعد كثيراً على حفظ الأنفس من التلف، والأموال من الهدر، والأعراض من الدنس، وأيضاً تساعد على نشر الأمن والأمان في والطمأنينة في المجتمع، ولذلك فهي مرتبطة بصفتين حميدتين، هما: الشجاعة والسخاء، بل إنّها تقوم على هاتين الصفتين في نجدة الضعفاء والمحتاجين، ولذلك فمَن فقد الشجاعة والسخاء ضعفت شهامته، وماتت مروءته، ومن وُجِدتا فيه علت همّته وقويت شهامته، وهنا يكمن شرف النفس ورفعتها.

كما أنّ الصبر ركيزة أخرى لتدعيم الشهامة وتقويتها، وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: «الصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصّة بالرجولية»[٣].

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجّار: ص ٤٩٨، تحقيق: مجمع اللغة العربية، انتشارات ناصر خسروي، طهران.

(٢) انظر: جامع السعادات، مصدر سابق: ج ١ ص ٨٤؛ ص ٢٣٨.

(٣) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم حسين بن محمد بن المُفضَّل الراغب الأصفهاني (ت: ٥٦٥ هـ): ص ١١٥، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكلّيات الأزهرية، الطبعة الأُولى، ١٣٩٣ هـ، القاهرة.

معنى الشجاعة وفضيلتها

شجُع ـ بالضم ـ اشتدّ عند البأس، والشجاعة هي: شدّة القلب في البأس[(١)]، أو قل: هي جرأة القلب وقوّة النفس عند مواجهة الأمور الصعبة، وأمّا في الاصطلاح فهي: ملكة انقياد القوّة الغضبية للعقل، وهي الثبات والصمود عند المواجهة، وعدم الفرار منها، ولا يلزم من الشجاعة توفّر القوّة والمكنة البدنية، فالقوّة معينة للشجاعة وليست موجدة لها، فهنالك أقوياء كثيرون ولكنهم جُبناء القلب، فالشجاعة قوّة معنوية في القلب وليست بدنية، وهذا الثبات والتراصّ عند الشدّة، لاسيّما في مقاتلة الأعداء، أُشير له في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ (الصفّ: ٤)، ومن هنا قيل: بأنّها ثبات القلب عند النوازل وإن كان الشخص ضعيف البطش[(٢)].

ولا نريد بالشجاعة غياب الخوف والتردّد تماماً، فذلك أمر ـ في الغالب ـ ليس مقدوراً عليه، وإن حصل وارتفع كلّ خوف فذلك من أشرف وأرفع مراتب الشجاعة، فالشجاعة مراتبية، كما سيأتي، وإنّما نريد من الشجاعة التغلّب على الخوف والتردّد في مواقف الحياة، فلا نكون أُلعوبة بيد الخوف، يقذف بنا في مطاوي الذلّ والهوان، وخير ما يُطرد به الخوف المنبوذ هو بالاستعانة بالله تعالى والثقة به، فمَن كان الله تعالى معينه وثقته كان هو الغالب على خوفه وتردّده.

---

(١) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥ هـ): ج١ ص٢١٢، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ، إيران؛ الصحاح تاج اللغة، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٢٣٥؛ لسان العرب، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٧٣.

(٢) انظر: الفروسية، لابن قيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت: ٧٥١ هـ): ص ٥٠٠، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، الناشر: دار الأندلس، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، حائل، السعودية.

جدير بالذكر أنّ صفة الشجاعة وإن كانت في الأصل جبلّية إلّا أنّها ممكنة الاكتساب مع التصبّر والثبات، إذا ما تعوّد على الإقدام، وعمل على إزالة حواجز الخوف بالإيمان والعقيدة الصحيحة، والتضرّع إلى الله تعالى والتوكّل عليه، والتعوّذ به سبحانه من الجبن والضعف والفتور، كما أنّ مرافقة الشجعان تُكسِب شيئاً من تلك الجذوة، وتعوّد المواجهة، فذلك من مواضع القوّة والثبات، وقد كان المؤمنون من الصحابة يلوذون برسول الله صلّى الله عليه وآله إذا حلّ بهم خطب أو اشتدّ بهم الوطيس، ولم يُستثن من ذلك أحد، حتى أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو بطل الإسلام وسيفه البتّار، الكرّار غير الفرّار، الذي تنخلع قلوب الأعداء من صوته وسيفه، والذي كانت له الصولة وحده في معركة الأحزاب، وكان النصر أينما حلّ ملازماً له، ومرافقاً لسيفه، وها هو الفتى عليّ طعمة الحرب وابن لهواتها، مع كلّ هذا يستمدّ الدعم في الشدائد من شجاعة قائده الأعظم رسول الله صلّى الله عليه وآله، حيث يقول عليه الإسلام: **«كنّا إذا إحمرّ البأس اتّقينا برسول الله صلّى الله عليه وآله، فلم يكن منّا أقرب إلى العدوّ منه»**(١).

قال الشريف الرضي: «ومعنى ذلك أنّه إذا عظم الخوف من العدوّ واشتدّ عضاض الحرب، فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلّى الله عليه وآله بنفسه،

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٦١ رقم (٩)؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص١٨؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٦؛ المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٤٣؛ أُسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير الجزري أبي الحسن عزّ الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشافعي: ج١ ص٢٩، انتشارات إسماعيليان، طهران؛ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (السيرة النبوية)، محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس (ت: ٧٣٤ هـ): ج٢ ص٤٢٢، الناشر: مؤسسة عزّ الدين، طبعة: ١٤٠٦ هـ، بيروت.

فينزل الله عليهم النصر به، ويأمنون ممّا كانوا يخافونه بمكانه»[١].

وفي خبر آخر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «**لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو أقربنا إلى العدوّ، وكان من أشدّ الناس يومئذٍ بأساً**»[٢]، وفي هذا درس عمليّ عظيم لنا لاكتساب الشجاعة والاتصاف بها، وخير الشجاعة هي الشجاعة في قول الحقّ، الشجاعة الناصحة الكريمة، التي تجعل من المؤمنين أذلّةً على بعضهم أعزّةً على خصومهم، كما صرّح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ (المائدة: ٥٤)[٣].

علماً بأنّ الشجاعة الواقعية لا تنحصر في ساحة الحرب، وإنّما هنالك عشرات المواقف التي تقتضي الشجاعة الكبيرة، وإن كانت ساحة الحرب هي أبرز موارد ظهور الشجاعة، ولكن قد لا تكون أفضلها وأشرفها، وقد مرّ منّا أنّ قول كلمة الحقّ في وجه حاكم ظالم من الشجاعة، والصبر على الطاعة وعن المعصية شجاعة، كما أنّ الاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الحقّ شجاعة، بل ومعالجة الرذائل هو ضرب فريد من الشجاعة، والسخاوة والكرم والجود ضروب من الشجاعة.

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٦١ رقم (٩).

(٢) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج١ ص١٢٦؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص١٨؛ الطبقات الكبرى، محمد بن سعد: ج٢ ص٢٣، نشر: دار صادر، بيروت؛ تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مصدر سابق: ج٢ ص١٣٥؛ عيون الأثر، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٢٢.

(٣) وقد كان المصلح الكبير السيد جمال الدين الأفغاني يُعلّم أتباعه بأنّ الخوف فكرة في الرأس وعليهم أن يتغلّبوا عليها بفكرة أعظم وأقوى، ثم يقول لهم: الجهاد في سبيل الله، الشهادة، رضوان الله، هي أفكار وأعمال أقوى من الحياة نفسها فضلاً عن الجبن والخوف.

القدوة الشجاع يغرس الشجاعة في قلوب أتباعه

ومن منطلق التمسّك بالقدوة والمثل الأعلى الذي نصّبه الله تعالى لأمّة الإنسان عموماً وللمؤمنين خصوصاً ـ كما جاء صريحاً في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١) ـ أن نحذو حذو الرسول صلّى الله عليه وآله في تقصّي شجاعته، وقد كان من روائع الأمثلة على شجاعته صلّى الله عليه وآله أنّه كان يتعالى على أعدائه الجبابرة الطغاة، فيأخذ بعض الحصى ويرميها في وجوههم دون أن يخشى منهم أحداً، وهو يقول: «**شاهت الوجوه**»[1]، فيبثّ الرعب فيهم وتتخلع قلوبهم لذلك، وكأنّ يد الله ترميهم، بل هو كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧).

وقد كان صلّى الله عليه وآله يغرس الشجاعة في قلوب أصحابه غرساً، ويدفعهم للبطولة دفعاً، فيهتف فيهم صلّى الله عليه وآله: «**إنّ أفضل الجهاد كلمة**

---

(١) مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٨ ص ٥٢٩؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج١ ص ٣٠٣؛ الطبقات الكبرى، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٥١، ص ١٥٦؛ تاريخ الطبري، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٥٠؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٦٩؛ سنن الدارمي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢١٩؛ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد)، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ): ج ١ ص ٦٩، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد للطباعة، قم المقدّسة؛ كنز الفوائد، للمحدث العلامة أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت: ٤٤٩ هـ): ص ٧٣، الناشر: مكتبة المصطفوي، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ، قم؛ التاريخ الكبير، للشيخ المحدّث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ): ج ٨ ص ٣١٦ رقم: (٣١٥٢)، الناشر: المكتبة الإسلامية، ديار بكر، بإشراف الدكتور محمد عبد المُعيد خان.

عدل عند إمام جائر»[١]، ويسقي قلـوبهم بطهـور الـشجاعة الأمثـل، بـين الفينـة والأخرى، فيندبهم صلّى الله عليه وآله للجهاد في سبيل الله تعالى بقولـه: «**لغـدوة في سبيل الله، أو روحة**[٢]، **خير من الدنيا وما فيها»**[٣].

ولو تأمّلنا في هذه الصياغات النبوية لملكة الشجاعة التي كان صلّى الله عليـه وآله حريصاً على غرسها في النفوس نجد أنّها تمثّل الشجاعة الهادفة، فهي ليـست

---

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٥ ص ٦٠ ح ١٦؛ الخصال، الشيخ الصدوق: ص٦ ح ١٦؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٧٧ ح ٩؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٩؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٣٢٩ ح ٤٠١١؛ سنن أبي داود، مصدر سابق: ج٢ ص٣٢٥ ح٤٣٤٤؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج٣ ص٣١٨ ح٢٢٦٥.

(٢) الغَدْوَة: المرّة الواحدة من الغدو، وهو الخروج في أيّ وقت كان من أوّل النهار إلى انتصافه، والروحة: المرّة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أيّ وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها. انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٠؛ نيل الأوطار، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٥؛ فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٧.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٥٧٠ ح ٥٦؛ مصنّف الصنعاني: ج ٥ ص٢٦١ ح ٩٥٤٩؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٣٢، ص ١٤١؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٠٢؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٦ ص٣٦؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٠٠ ح ١٦٩٩؛ المهذّب البارع في شرح المختصر النافع، أحمد بن محمد بن فهد الحلّي (ت: ٨٤١ هـ): ج ٢ ص ٢٩٦، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٧ هـ، قم؛ شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي: ج ١ ص ٣٢٧ ح ٢٩٧، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم؛ عوالي اللآلئ، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٨٢ ح ١.

شجاعة السباع، وإنّما هي شجاعة المؤمن عندما يقف بوجه الظالم، وعندما يخرج شاهراً سيفه للجهاد في سبيل الله، دفاعاً عن القيم والمُثل العُليا، وهنالك فرق عظيم بين الشجاعة الهادفة، وهي شجاعة الحقّ، وبين شجاعة السباع، التي كثيراً ما يعتريها التجاوز والتعدّي والظلم.

جدير بالذكر أنّ الحثّ على التمتّع بالشجاعة هو من جملة المنطلقات القرآنية التي سار في ركابها رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد ورد في ذلك نصوص قرآنية تربوية، من قبيل الحثّ على القتال والجهاد، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ**﴾ (الأنفال: ٦٥)، ولأنّ التمتّع بالشجاعة المطلوبة في القتال يحتاج إلى مؤازرة كبيرة فقد وقع الترغيب بالنصرة والوعد بالنصر حتى في صورة تضافر الأعداء وتضاعف أعدادهم، فالإنسان بطبعه يخشى الكثرة، والشجاعة تقتضي الثبات والصمود، ولكي لا ينحصر التفكير بالموت عند ملاقاة العدوّ الكثيف فإنّه جاء الوعد الإلهي بالنصر حتى مع قلّة العدد، وفي ذلك مؤازرة صريحة للتزوّد بالشجاعة والصبر والثبات، لتحقيق النصر والغلبة على الأعداء، وما ذلك على الله تعالى ببعيد، و: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤٩).

ثقافة الموت تملأ القلب بالشجاعة

إنّ من المهم جداً لمن يريد التخلّص من رذيلة الجبن: أن يتزوّد من ثقافة الموت، بمعنى: أن لا يغفل عن هذه الحقيقة المدوّية، ومتى ما عاش الإنسان في أجواء الاستعداد للموت والتهيئة له فإنّه ولا ريب سوف تنقشع عن قلبه ظلمة الجبن، ويُشرق قلبه بالإقدام والشجاعة، ومتى ما عاش الإنسان بعيداً عن ذكر

الموت وثقافته فإنّه سوف يكون فريسة سهلة للكثير من الرذائل، ومنها رذيلة الجبن، وقد أشار القرآن الكريم إلى سبيل الشجاعة والإقدام من خلال التمسّك بالدار الآخرة والنظر إلى نعيمها وبقائها، وتقديمها على الدنيا، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء: ٧٤).

وإذا ما تعاطى الإنسان بجدّية عالية مع حقيقة الموت، في كونه ضرورة حتمية واقعة، لا مفرّ منها، فإنّه سوف يجد نفسه قريباً من مواطن الشجاعة، فإذا كان الموت هو نهاية حياة الإنسان فما الذي يجعله يتشبّث بالحياة بالنحو السلبي؟ وكيف لا تنعقد في قلبه الشجاعة وهو يرى فضيلتها وروعتها؟ ولنعم ما قاله المتنبي في الحثّ على تغيير الطباع، ليبدل الإنسان رذيلة الجبن بفضيلة الشجاعة، حيث يقول:

وإذا لم يكن من الموت بدّ ... فمن العجز أن تكون جبانا[١]

معنى السخاء وفضيلته

السخاء لغةً: الجود الكرم، تقول: سَخِيَتْ نفسي عن الشيء إذا تركته، ولم تنازعك نفسك إليه[٢]، وهو ضدّ البخل[١]، وأمّا اصطلاحاً فيمكن القول بأنّه بذل

---

(١) انظر: خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي: ج ١ ص٢٠٥، تحقيق: عصام شعيتو، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، بيروت.

(٢) انظر: كتاب العين، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢٨٩؛ الصحاح تاج اللغة، مصدر سابق: ج٦ ص٢٣٧٣؛ مجمع البحرين، مصدر سابق: ج٢ ص٣٥١. قيل بوجود فرق بين السخاء والجود، قال أبو هلال: «إنّ السخاء هو أن يلين الإنسان عند السؤال، ويسهل مهره للطالب، من قولهم: سخوت النار، أسخوها سخوا، إذا ألينتها، وسخوت الأديم

المال أو النفس فيما يجب أو ما ينبغي، عن ملكة حاصلة، أو هو نفس تلك الملكة.

ويصحّ القول بأنّ السخيّ هو الذي يؤدّي واجب الشرع، وواجب المروّة والعادة جميعاً، فإن منع واحداً منها فهو بخيل، والذي يمنع واجب الشرع أكثر بخلاً[٢].

وأكثر العوامل المؤثرة في تحقيق ملكة السخاء هو الاتصاف بالزهد، كما أنّ التعلّق الكبير بالدنيا عامل مؤثّر في ملكة البخل، ومن هنا قالوا بأنّ السخاء من ثمرات الزهد، كما أنّ البخل من ثمرات حبّ الدنيا.

ثمّ إنّ القيمة المعنوية للسخاء هو كونه من معالي الأخلاق الحميدة والصفات الشريفة، بل هو خُلق إلهيّ[٣]، وخُلق الأنبياء والأولياء والصالحين[٤]،

ليّنته، وأرض سخاوية ليّنة، ولهذا لا يقال لله تعالى: سخيّ، والجود: كثرة العطاء من غير سؤال، من قولك: جادت السماء، إذا جادت بمطر عزيز». الفروق اللغوية، مصدر سابق: ص ٢٧٤ رقم (١٠٨٨). وهو تفريق دقيق، إلّا أنّ الاستعمال والعرف يكشفان عن نوع من الترادف بين الجود والسخاء، والفوارق الدقيقة الضئيلة غير ملحوظة.

(١) انظر: المخصص، للشيخ ابن سيده أبي الحسن على بن إسماعيل الأندلسي (ت: ٤٥٨ هـ): ص ٣٩، طبعة بولاق، مصر، ومنشور في المكتبة الشاملة؛ جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد: ج ٢ ص ٩٢، حقّقه وقدّم له: الدكتور رمزي منير بعلبكي، منشورات دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، بيروت؛ منشور في المكتبة الشاملة؛ جامع السعادات، مصدر سابق: ج ٢ ص ٨٧.

(٢) انظر: جامع السعادات، مصدر سابق: ج ٢ ص ٩٠.

(٣) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**السخاء خلق الله الأعظم**». الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٧ ح ٤٨٠٢؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ٦ ص ٣٣٧ ح ١٥٩٢٦.

(٤) عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: «**ما بعث الله نبيّاً ولا وصيّاً إلّا سخيّاً، ولا كان أحد من الصالحين إلّا سخيّاً، وما زال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى**». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤١ ح ١٣.

والله تعالى يحبّ معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها[(١)]، ولشرافة هذا الخلق الرفيع فقد عبّر عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله بأنّه من شجر الجنّة، أي: إنّه نبتة إلهية غُرست في الجنّة، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **إنّ السخاء شجرة من أشجار الجنّة، لها أغصان متدلّية في الدنيا، فمن كان سخيّاً تعلّق بغصن من أغصانها، فساقه ذلك الغصن إلى الجنّة، والبخل شجرة من أشجار النار لها أغصان متدلّية في الدنيا، فمن كان بخيلاً تعلّق بغصن من أغصانها، فساقه ذلك الغصن إلى النار**»[(٢)]، وعندئذٍ من الطبيعي أن يكون السخيّ قريباً من الله، قريباً من الجنّة، قريباً من الناس، بعيداً من النار، كما أنّ البخيل بعيد من الجنّة، بعيد من الناس، قريب من النار[(٣)].

وبجملة واحدة: «**الجنّة دار الأسخياء**»[(٤)]، وقيل بأنّ الله عزّ وجلّ قد أوحى

(١) حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله. انظر: المعجم الكبير، مصدر سابق: ج ٦ ص١٨١؛ مجمع الزوائد، مصدر سابق: ج ٨ ص ١٨٨.

(٢) ورد الحديث بألفاظ متقاربة، بعضها مفصلة، وبعضها مجملة. انظر: أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص ٤٧٤ ح ٥؛ الاختصاص، الشيخ المفيد: ص ٢٥٢؛ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ج ١ ص ١٥ ح ٢٧، تحقيق: حسين الأعلمي، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ ، بيروت؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٧ ح ٤٨٠٣.

(٣) حديث مرويّ عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. انظر: الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٠ ح ٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥ ح ٢٧.

(٤) حديث للنبي صلّى الله عليه وآله. مسند الشهاب، مصدر سابق: ج ١ ص ١٠٠ ح١١٦؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١ ص ٥٦٣ ح ٣٦٤٤؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٧ ص ١٣ ح ٥.

إلى نبيّه موسى عليه السلام: **أن لا تقتل السامري؛ فإنّه سخيّ**[١]. جدير بالذكر أنّ واقعية السخاء تكمن في المبادرة، حيث يكون البذل لمستحقّيه من دون انتظار سؤال منهم، وإلّا فالاستجابة بعد السؤال لا تخلو من كونها نتيجة حياء من السائل أو فرار من سؤاله، وهذا معنى: «**السخاء ما كان ابتداء، فأمّا ما كان عن مسألة فحياء وتذمّم**»[٢]، أي: إنّ السخاء «ملكة بذل المال لمستحقّه بقدر ما ينبغي ابتداء»[٣].

علاقة السخاء بالإيمان واليقين والهمم العالية

من الإيمان الاتصاف بصفات الله تعالى وصفات نبيّه صلّى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام والأولياء والصالحين، ومن صفاتهم الجود والسخاء والكرم، فالسخاء ـ كما مرّ ـ خلق إلهيّ ونبويّ، وخلق الصالحين، وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ما يؤكّد ذلك، قال: «**السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو عماد الإيمان، ولا يكون مؤمناً إلّا سخي، ولا يكون سخيّا إلّا ذو يقين وهمّة عالية، لأنّ السخاء شعاع نور اليقين، ومَن عرف ما قصد هان عليه ما بذل**»[٤].

الآثار الاجتماعية للشهامة والشجاعة والسخاء

أمّا الآثار الاجتماعية للسخاء فمنها ما يتعلّق بالسخيّ نفسه، حيث ستقع له محبّة كبيرة في النفوس، والنفس مجبولة على حبّ من يُحسن إليها، كما أنّ السخاء

---

(١) انظر: الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤١ ح ١٣.

(٢) كلمة لأمير المؤمنين علي عليه السلام. نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٤ رقم (٥٣).

(٣) انظر: مجمع البحرين، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٥١.

(٤) مصباح الشريعة، مصدر سابق: ص ٨٢؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٧ ص١٧ ح ١٤؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٨ ص ٣٥٥ ح ١٧.

هو الغطاء الساتر لعيوب السخيّ عن أعين الناس، بخلاف البخل فإنّـه فاضـح للعيوب الأخرى في عيون الناس، فمن أراد أن يتستّر عن الناس فعليه بالسخاء، لاسيّما فيما يتعلّق بإطعام الطعام، فالإطعام يُشبع العيون والنفوس قبل البطـون، ويترك الأثر الطيّب والذكرى الجميلة، بل إنّه يُوفّر حـصانةً وحفظـاً للـسخيّ في نفسه وماله وعرضه، وهذه الآثار متفرّعـة عـلى المحبوبيّـة التـي نالهـا في قلـوب الناس، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**الجود حارس الأعراض**»(١).

ومنها ما يتعلّق بالناس، فللسخاء صور كثيرة ومقتضيات كثيرة، ومنها منح القروض لمن يحتاج ذلك، عند المكنة من ذلك، وأيضاً عدم التضييق عليهم، فمن السخاوة إنظار المعسر وتأجيله، وقد جاء في سيرة رسول الله صلّى الله عليه وآلـه أنّه قد صعد المنبر ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه، وصـلّى عـلى أنبيائـه صـلّى الله عليهم، ثمّ قال: «**أيها الناس ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله عزّ وجلّ في كلّ يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه**»(٢)، بل والتسامح معه في قرضه عند الشعور بعجـزه عـن الـسداد، فقـد ورد عـن الإمـام أبي عبـد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من أراد أن يظلّه الله يـوم لا ظـلّ إلّا ظلّـه ــ** قالهـا ثلاثاً، فهابه الناس أن يسألوه ـ فقـال: **فلينظـر معـسراً أو ليـدع له مـن حقّـه**»(٣)، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة: ٢٨٠)، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيـان الآية: «**إن كنتم تعلمون أنّه معسر فتصدّقوا عليه بمالكم، فهو خير لكم**»(٤).

---

(١) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤٨ ح ٢١١.

(٢) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٥، باب: (إنظار المعسر) ح٤.

(٣) المصدر نفسه: ح ١.

(٤) المصدر نفسه: ح ٤.

ومن صور الجود والسخاء إعانة المحتاجين في المأكل والمشرب والملبس، لاسيّما من أهل الفضل والشرف، فيكون التقصير في حقّهم بخلاً وسوء خُلق، وقد كان الإمام محمد الباقر عليه السلام يقول: «**لأن أعول أهل بيت من المسلمين، أشبع جوعتهم، وأكسو عورتهم، وأكفّ وجوههم عن الناس، أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّةً وحجّةً ـ حتى انتهى إلى عشر، وعشر مثلها ومثلها، حتى انتهى إلى سبعين**»[١].

ومن تلك الصور النبيلة للسخاء ما يُبذل لوقاية العرض والنفس، وحفظ الحرمات، وإنقاذ الأنفس، فإنّ السخيّ بطبعه لا يُقصّر في شيء من ذلك، ومن ذلك أيضاً ما ينفقه السخيّ في المنافع العامّة والخيرات الجارية، كبناء المساجد والمدارس والمستشفيات، وسائر الخدمات الإنسانية.

السخيّ في الطاعة والسخيّ في المعصية

للسخاء صور إيجابية مطلوبة، كما أنّ له صوراً سلبية منبوذة، فمِن أرقى صور السخاء ما تكون في الطاعة، حيث يكون السخيّ في كلّ مورد من موارد الطاعة حاضراً ومُكثراً، كما أنّ الاستغراق في المعاصي وبذل المال فيها ـ كالبذل الفاضح في المنكرات ـ من أبشع صور السخاء، وإنّما عُدّ من السخاء في النظر العرفي وليس في النظر الشرعي، فالناس تراه سخيّاً، ولكنّه في واقعه ليس كذلك، فالسخاء ما وقع منه في طاعة الله تعالى وخدمة الإنسانية والناس أجمعين، أو قل: ما وقع منه في الطاعة ومساعدة الناس فيه على الطاعة، لا أن يقع في المعصية ومساعدة الناس فيه على المعصية.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**السخيّ بما ملك وأراد به وجه الله تعالى، وأمّا السخيّ في معصية الله ـ أو المتسخّي معصية الله ـ فحمّال سخط الله وغضبه،**

---

(١) الفروع من الكافي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٢ ح ٣.

وهو أبخل الناس على نفسه فكيف لغيره؟ حيث اتّبع هواه وخالف أمر الله»[(١)].

فالسخيّ في المعصية هو حمّال خطاياه وخطايا غيره، وقد ورد في القرآن ما يُشير إلى ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿**وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ (العنكبوت: ١٣).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**السخاء أن تسخو نفس العبد عن الحرام أن تطلبه فإذا ظفر بالحلال طابت نفسه أن ينفقه في طاعة الله عزّ وجلّ**»[(٢)].

الرصد القرآني للشهامة والشجاعة والسخاء

ممّا ورد في القرآن ممّا له صلة وثيقة بالشهامة قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً**﴾ (الإسراء: ٥)، أي: بعثنا عليكم عباداً أصحاب قوّة في الحرب والبطش، أي: أصحاب قوّة ومنعة وهمّة عالية في مقارعة الأعداء.

ومن أصحاب الهمم العالية أولئك الذين يطلبون وجه الله، ولا تؤثّر فيهم مغريات الحياة، قال تعالى: ﴿**رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾ (النور: ٣٧).

وأمّا الشجاعة فقد عبّر عنها بحصر الخشية بالله تعالى، فالمؤمن الرسالي لا يخشى في تبليغ رسالته إلّا الله تعالى، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً**﴾ (الأحزاب: ٣٩)، ورسالات الله تعالى لا تقتصر على التبليغ الديني، وإنّما تشمل تحمّل المسؤوليات

---

(١) مصباح الشريعة، مصدر سابق: ص ٨٢؛ مستدرك الوسائل، مصدر سابق: ج ٧ ص١٧ ح ١٤؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٨ ص ٣٥٥ ح ١٧.

(٢) معاني الأخبار، مصدر سابق: ص٢٥٦ ح٣؛ وسائل الشيعة، مصدر سابق: ج٩ ص١٨ ح١١.

الاجتماعية وأداء الواجبات، فالمعلّم في مدرسته يؤدّي رسالة ربّه في التربية والتعليم، والمجاهد في سبيل الله يؤدّي رسالة ربّه في ساحات الجهاد بمقارعته الأعداء، وهكذا في جميع الأعمال التي فيها صيانة المجتمع ورفعة الإنسان.

وأمّا عن السخاء فقد ورد المدح والثناء للبذل القليل فكيف بالكثير منه؟ وما ذلك إلّا لأهمّية هذه الفضيلة في حياتنا الاجتماعية، قال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر: ٩)، حيث كان الأنصار من المسلمين يؤثرون المهاجرين على أنفسهم في أموالهم وطعامهم ومساكنهم، رغم أنّ الكثير منهم لم يكونوا ميسوري الحال، بل كان فيهم حاجة وفقر، وهؤلاء أصحاب القلوب الطاهرة والنوايا الصادقة كانوا يقدّمون إخوانهم في الإيمان على أنفسهم، وهذا كرم وجود وسخاء، فاستحقّوا أن يكونوا مفلحين منجحين فائزين، والسخاء إنّما يُلحظ فيه حال المعطي لا القدر الممنوح، فدينار الميسور لا يساوي درهم الفقير، فالثاني ربما يكون قد منح ثمن خبزه، بخلاف الأوّل، وهذا السخاء على قلّته هو من الهمم العالية، فالمعطي ما عنده ذو همّة عالية، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**الكرم نتيجة علوّ الهمّة**»[1].

الرصد الروائي للشهامة والشجاعة والسخاء

مما جاء في الشهامة والهمّة العالية عن الإمام علي عليه السلام في وصيّته إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «**ولتكن مسألتك فيما يعنيك، ممّا يبقى لك جماله وينفي عنك وباله، والمال لا يبقى لك ولا تبقى له**»[2]، فتقديم الرفعة على المال شهامة

---

(١) غرر الحكم، مصدر سابق: ص ٢٦٠، رقم (٨٦٧٨)؛ عيون الحكم، مصدر سابق: ص ٢٨.

(٢) تحف العقول، مصدر سابق: ص ٧٥؛ نظم درر السمطين، محمد بن يوسف الزرندي الحنفي: ص ١٦٥، من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة، ١٩٥٨م، النجف؛ كشف المحجّة لثمرة المهجة، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن

صريحة، و«**خير الهمم أعلاها**»[1]، وقد ورد في دعـاء للإمـام زيـن العابـدين عليـه السلام: «**واجعلنا من الذين أسرعت أرواحهـم في العـلى، وخططـت هممهـم في عـزّ الورى، فلم تزل قلوبهم والهة طائرة حتى أناخوا في رياض النعيم**»[2].

وأمّا في الشجاعة فمن مواردها: ملاقاة العدوّ وعدم الفرار منه. عن رسـول الله صلّى الله عليه وآله: «**ثلاثة يحبّهم الله: الرجل يلقى العدوّ في فئة فينصب لهم نحره حتى يُقتل أو يفتح لأصحابه...**»[3]، وفي هذا المورد شجاعة بالغة، وصدق واقعـيّ، بل وشهامة عالية.

وأمّا السخاء ففيه حسن صحبتنا للإسلام، كـما جـاء في خطبـة لرسـول الله صلّى الله عليه وآله: «**يا أيّها الناس إنّ الله قد اختار لكـم الإسـلام دينـاً، فأحـسنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق، ألا إنّ السخاء شجرة من الجنّة، وأغصانها في الدنيا، فمن كان منكم سخيّاً لا يزال متعلّقاً بغـصن مـن أغـصانها حـتى يـورده الله الجنّة**»[4]، وما أجمله من تعبير (فأحسنوا صحبة الإسلام بالسخاء)، اللهم اجعلنا ممّن يحسنون صحبته، ولا يفرّطون برفقته، وأحينا وأمتنا على ملّته.

طاووس الحسني : ص ١٦٥، الناشر: المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠ هـ. النجف؛ دستور معالم الحكم، للفاضل محمد بن سلامة (ت: ٤٥٤ هج): ص ٧٢، الناشر: مكتبة المفيد، طبع المكتبة الأزهرية، قم.

(١) كلمة لأمير المؤمنين علي عليه السلام. انظر: غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق: ص٣٠٥، رقم الحكمة (١٠٢٧٥)؛ عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٢٣٧.

(٢) الصحيفة السجادية، مصدر سابق: ص ٤٧١ رقم الدعاء (٢٠٠).

(٣) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٥١؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١ ص ٥٥٠ ح ٣٥٥١؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ١٥ ص ٨١٩ ح ٤٣٢٥٥.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٨٢؛ تاريخ مدينة دمشق، مصدر سابق: ج ٥٠ ص ٢٨٩؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ٦ ص ٥٧١ ح ١٦٩٧٣.

السخاء صفة الوسطية والاعتدال بين التبذير والبخل

وأنّه: «ليس السخيّ المبذّر الذي ينفق ماله في غير حقّه، ولكنّه الـذي يـؤدّي إلى الله عزّ وجلّ ما فرض عليه في ماله مـن الزكـاة وغيرهـا، والبخيـل الـذي لا يؤدّي حقّ الله عزّ وجلّ عليه في ماله»[١]، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ السخيّ الكريم الذي ينفق ماله في حقّ الله»[٢].

ثمّ إنّ مقتضى وسـطية الـسخاء بـين التبـذير والبخـل هـو مراعـاة الحـدود الممكنة، التي تساعده على عدم إلحاق الضرر الكبير به وبمتعلّقيه، وعليـه فلابـدّ من مقدار بحيث إذا تجاوز الإنسان ذلك المقدار مـن الوسـطية والاعتـدال فإنّـه يكون قد وقع في الإفراط، وهو التبذير، أو وقع في التفريط، وهو البخل، فيكون فريسة لإحدى الرذيلتين، والخلاصة في ذلـك: أنّ الـسخاء فـضيلة عظيمـة مـع حفظ وسطيتها، فلا يلحق السخيّ الأضرار المعتدّة بشخصه ووجاهته ومكانته.

كما من اللازم أن يكون السخاء في الأموال المملوكة الحلال، لا في الأمـوال التي لا يُعرف طريقها ومنشؤها، من موارد الحرمة والشبهة، وبالتالي فإنّ الحكّام الظلمة، والسلاطين المتجبّرة، مهما بالغوا في الصرف والسخاء فإنّهم لـن يكونـوا أسخياء، فالأسخياء هم الـذين ينفقـون مـن أمـوالهم الزكيـة، لا مـن الأمـوال المنهوبة من خزائن الدولة وأموال الشعب وقوته.

مراتبية الشهامة والشجاعة والسخاء

كلّ ما تقدّم من الصفات الحميدة، ومنها الشهامة والشجاعة والسخاء، إنّـما هي صفات مراتبية، وبالتعبير المنطقي هي مفاهيم مشكّكة وليـست متواطئـة[٣]،

---

(١) أمالي الطوسي، مصدر سابق: ص ٤٧٥ ح ٦؛ بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٦٨ ص ٣٥٢.
(٢) معاني الأخبار، مصدر سابق: ص ٢٥٦ ح ٢؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٣٧٣.
(٣) قال الشريف المرتضى: «المتواطية: التي تدلّ على أعيان متعددة بمعنىً واحدٍ مشتركٍ

وبالتالي فإنّ هنالك تنافساً في نيل المراتب، وهذا ما يتعلّق بالميل والسعي والهمّة والتوفيق، فلا يكفي الميل من غير سعي، ولا يكفي السعي من غير همّة، ولا تكفي الهمّة من غير توفيق، وما دامت هذه الصفات مراتبية فالإنسان مسؤول على تحصيل أشرف مراتبها وإدامتها، وبحسب التحقيق لا يوجد إنسان يخلو من مرتبة من مراتب الشهامة والشجاعة والسخاء، ولكنّها قد تكون دانية فيغلب العجز والجبن والبخل، وقد تكون متوسّطة فتغلب أحياناً وتختفي أحياناً أخرى، وقد تكون عالية فتكون هي الغالبة دائماً، وقد تكون متعالية فلا تسمح بظهور أيّ مرتبة من مراتب العجز والذلّ والجبن والبخل.

علاقة الشهامة بالصدق

قلنا بأنّ الشهامة هي الرفعة وعلوّ الهمّة والتصدّي للأعمال العظام باقتدار وقوّة، وهذا كلّه يحتاج إلى واقعية عالية في الصدق، وإذا ما كانت العبرة بالخواتيم فإنّ العبرة في دعوى الشهامة تكمن في الصدق فيها، فإذا حلّت المواقف العظيمة فإنّها ستكون هي المؤشّر الواقعي على وجود الشهامة من عدمها، وهي المؤشّر في دعوى الاتصاف بها من العدم، كما أنّ الصدق نفسه هو الآخر يمكن أن يكون إفرازاً طبيعياً لواقعية الشهامة، بمعنى أنّ الشهامة نفسها تقتضي الصدق وتمنع على صاحبها أن ينزوي إلى الكذب والالتواء، ولذلك نجد

بينها، كاسم الإنسان على زيد وعمرو، والحيوان على الإنسان والفرس والطير... المشكّك: ما يقع على مسمّيات بمعنىً واحدٍ لكن بينها اختلاف بالتقدّم والتأخّر والشدّة والضعف ... كالبياض الواقع على الثلج والعاج وفي الثلج أشدّ». رسائل الشريف المرتضى، للسيد الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي: ج ٢ ص ٢٨٥، تقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، الناشر: منشورات دار القرآن الكريم، طبع: مطبعة الخيام، ١٤٠٥ هـ، قم.

نفوس أصحاب الهمم العالية تربأ بهم أن يقع منهم الكذب وما شابه، فالشهامة تُعبّئ النفس بالإباء والشمم، أي: الرفعة والعلوّ وشرف الأنفس، وهذه القيم العظيمة تربأ بصاحبها مقارفة الكذب، وهذا ما يكشف لنا عن واقعية العلاقة، وقوّة الارتباط بين الشهامة والصدق، وبذلك نكون قد حصلنا على طريق آخر لتحصيل الصدق وتحصينه.

علاقة الشجاعة بالصدق

قال تعالى: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (البقرة: ١٧٧)، والصبر في البأساء والضرّاء لا يقع إلّا من أهل الشجاعة والثبات، ومن وقع منه ذلك فقد كشف عن صدقه وتقواه، وكأنّ الصدق والتقوى في المقام هما أرضيّة الشجاعة، كما أنّ الشجاعة هي الأخرى يمكن أن تكون حصناً يقي فضيلة الصدق في نفس الشجاع، فالشجاعة بطبعها السامي لا تنسجم مع الكذب، وتمنع صاحبها من النزول إلى تلك المنازل الواطئة، وبعبارى أخرى: إنّها ملكة علوية تربأ بصاحبها من الانزلاق إلى رذيلة الكذب.

علاقة السخاء بالصدق

إنّ حبّ الدنيا يدعو للتمسّك بها، والتزاحم والتدافع والتقاتل من أجلها، وهذا ما يجعل صاحبه يتنازل عن المكارم من أجل حفظ دنياه، ومن تلك المكارم مكرمة الصدق، فيكون السخاء منقذاً له من ذلك الانفراط والذوبان في تلك المهالك، وطريقاً لإنقاذ فضيلة الصدق من التهالك، كما أنّ الصدق نفسه، وهو صفة ربّانية علوية، تقتضي من صاحبها أن يكون سخيّاً، فمن الزيف أن يكون الإنسان الصادق بخيلاً، ومن الزيف أن يكون السخيّ كاذباً، وكأنّ الصفات العلوية حبّات خرز منتظمة في المسبحة الواحدة، متوافقة ومتشاكلة، وبعضها يفضي للبعض الآخر، كما أنّ الصفات المتسافلة الدونية يقود بعضها لبعضها الآخر.

كلمات على الطريق

- التحوّل من حالة الضعف إلى القوّة، ومن الذلّة إلى العزّة، ومن التشرّد إلى السكن والأمن والطمأنينة، ومن الهزيمة إلى النصر، إنّما يكون بتأييد ربّانيّ، قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (الأنفال: ٢٦)، وهذا التحوّل الكبير ينمّ عن المكنة من التحوّل من العجز إلى الشهامة، ومن الجبن إلى الشجاعة، ومن البخل إلى السخاء: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (البقرة: ٢٠).
- عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اجعل كلّ همّك وسعيك للخلاص من محلّ الشقاء والعقاب، والنجاة من مقام البلاء والعذاب**»[١]، و: «**اجعل همّك وجدّك لآخرتك**»[٢].

خلاصة الدرس

- الشهامة ضدّ البلادة، وهي تدلُّ على الذكاء، والجَلَد، وهي: الحرص على الأعمال العظام المستتبع للذكر الجميل، وهي من أفراد علوّ الهمّة.
- من ثمرات الشهامة أنّها تساعد على إشاعة المحبّة، وإزالة العداوة، وحفظ الأنفس من التلف، والأموال من الهدر، والأعراض من الدنس.
- الشجاعة شدّة القلب في البأس، وقوّة النفس عند مواجهة الأمور الصعبة، وهي: ملكة انقياد القوّة الغضبية للعقل، وثبات وصمود عند المواجهة.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق: ص ٨٦، رقم الحكمة (٢٥٩١)؛ عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٧٦؛ محاسبة النفس، مصدر سابق: ص ٥٦.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق: ص ٨٦، رقم الحكمة (٢٥٨٨).

- الشجاعة قوّة معنوية في القلب وليست بدنيّة، فهي ثبات القلب عند النوازل وإن كان الشخص ضعيف البطش.
- ليست الشجاعة غياب الخوف تماماً، وإنّما هي التغلّب عليه في مواقف الحياة، فلا نكون أُلعوبةً بيد الخوف، يقذف بنا في مطاوي الذلّ والهوان.
- الشجاعة وإن كانت جبلّية إلّا أنّها ممكنة الاكتساب مع التصبّر والثبات.
- الشجاعة الواقعية لا تنحصر في ساحة الحرب، فهنالك مواقف بعيدة عن ساحة الحرب، وتقتضي شجاعة كبيرة، ككلمة الحقّ في وجه حاكم ظالم.
- القدوة الشجاع يغرس الشجاعة في قلوب أتباعه، وقد كان صلّى الله عليه وآله يغرس الشجاعة في قلوب أصحابه غرساً، ويدفعهم للبطولة دفعاً.
- الحث على التمتّع بالشجاعة هو من جملة المنطلقات القرآنية.
- لأنّ التمتّع بالشجاعة المطلوبة في القتال يحتاج إلى مؤازرة كبيرة فقد وقع الترغيب بالنصرة والوعد بالنصر حتى في صورة تضافر الأعداد وتضاعفهم.
- متى ما عاش الإنسان في أجواء الاستعداد للموت والتهيئة له فستنقشع عن قلبه ظلمة الجبن، ويُشرق قلبه بالإقدام والشجاعة.
- السخاء جود وكرم، وهو بذل المال أو النفس فيما يجب أو ما ينبغي، عن ملكة ذاتية أو مكتسبة.
- أكثر العوامل المؤثّرة في تحقيق ملكة السخاء هو الاتصاف بالزهد.
- القيمة المعنوية للسخاء هو كونه من معالي الأخلاق والصفات الشريفة.
- واقعية السخاء في المبادرة، فيكون البذل لمستحقّيه دون انتظار سؤالهم.
- للسخاء آثار اجتماعية، كجلب المحبّة، وستر العيوب، وترك الأثر الطيّب والذكرى الجميلة، وتوفير حصانة للنفس والمال والعرض.

- أرقى صور السخاء ما تكون في الطاعة، وأبشع صوره الاستغراق في المعاصي وبذل المال فيها، والسخاء في المنكرات بحسب النظر العرفي لا الشرعي.
- في السخاء حسن صحبتنا للإسلام، كما جاء في خطبة لرسول الله صلّى الله عليه وآله.
- مقتضى وسطية السخاء بين التبذير والبخل هو مراعاة الحدود الممكنة، التي تساعده على عدم إلحاق الضرر الكبير به وبمتعلّقيه.
- الأسخياء هم الذين ينفقون من أموالهم الزكيّة، لا من الأموال المنهوبة من خزائن الدولة وأموال الشعب وقوته.
- كلّ الصفات الحميدة، ومنها الشهامة والشجاعة والسخاء، مراتبية.
- لا يوجد إنسان يخلو من مرتبة من مراتب الشهامة والشجاعة والسخاء، ولكنّها قد تكون دانية أو متوسّطة أو عالية أو متعالية.
- الشهامة تحتاج إلى واقعية عالية في الصدق، والمواقف العظيمة مؤشّر واقعي على وجود الشهامة من عدمها، كما أنّ الصدق نفسه يمكن أن يكون إفرازاً طبيعياً لواقعية الشهامة.
- الصدق والتقوى أرضيّة الشجاعة، كما أنّ الشجاعة يمكن أن تكون حصناً يقي الصدق في نفس الشجاع، فالشجاعة سامية، ولا تنسجم مع الكذب.
- السخاء منقذ من الانفراط في المهالك، وطريق لإنقاذ الصدق من التهالك.

مذاكرة

- ما هي الشهامة والشجاعة والسخاء وفضائلها؟
- ما هي ثمرات الشهامة؟

- ماذا نعني بكون الشجاعة قوّة معنوية في القلب وليست بدنية؟
- هل الشجاعة غياب الخوف والتردّد تماماً؟ كيف توضّح ذلك؟
- هل الشجاعة جبلّية أم ممكنة الاكتساب؟ وضّح ذلك.
- هل تنحصر الشجاعة الواقعية في ساحة الحرب؟ وضّح ذلك.
- ما هي علاقة القدوة الشجاع بغرس الشجاعة؟
- ماذا نعني بنشر ثقافة الموت؟
- لماذا وقع الترغيب بالنصرة والوعد بالنصر حتى عند تضافر الأعداء؟
- ما هي أكثر العوامل المؤثّرة في تحقيق ملكة السخاء؟
- ما هي القيمة المعنوية للسخاء؟ وأين تكمن واقعيته؟
- ما هي الآثار الاجتماعية للسخاء؟ وما هي أرقى صوره؟
- السخاء فيه حسن صحبتنا للإسلام، كيف تفهم ذلك؟
- ما هو مقتضى وسطية السخاء بين التبذير والبخل؟
- كيف تقيّم صرف الأموال المنهوبة من خزائن الدولة وقوت الشعب؟
- ماذا نعني بكون كلّ الصفات الحميدة مراتبية؟
- ماذا نعني بالمراتب الدانية المتوسّطة والعالية والمتعالية في الشجاعة؟
- المواقف العظيمة مؤشّر واقعيّ على أيّ شيء؟
- كيف يكون الصدق إفرازاً طبيعياً لواقعية الشهامة؟
- ما هي أرضيّة الشجاعة، وكيف تكون الشجاعة حصناً لفضيلة الصدق؟
- كيف يكون السخاء منقذاً من المهالك، وطريقاً لإنقاذ الصدق من التهالك؟

الدرس الثالث عشر

الرضا بالقضاء تمحّض الإيمان وترجمة للصدق

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى القضاء وأركانه
- تصوير القضاء الإلهي
- القضاء الإلهي بين التسليم والاستسلام
- معنى الرضا بالقضاء والوجوه المتصوّرة فيه
- الرضا القلبي والرضا العملي
- الرضا بالقضاء والصبر عليه
- فلسفة الرضا بالقضاء الإلهي ومعنى التمحّض في الإيمان
- علاقة الرضا بالقضاء بالتمحّض في الإيمان وبالصدق
- آثار الرضا وعدمه بالقضاء الإلهي في الدنيا والآخرة
- سبل الوقاية والخلاص من عدم الرضا بالقضاء الإلهي
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- تصوير معنى القضاء والرضا به، والفرق بين التسليم والاستسلام
- عرض الوجوه المتصوّرة في معنى الرضا بالقضاء
- تصوير الرضا القلبي والرضا العملي، والرضا بالقضاء والصبر عليه
- تحليل فلسفة الرضا بالقضاء الإلهي ومعنى التمحّض في الإيمان
- الكشف عن علاقة الرضا بالقضاء بالإيمان والصدق
- بيان الآثار الدنيوية والأخروية للرضا بالقضاء الإلهي وعدمه
- تحديد سبل الوقاية والخلاص من عدم الرضا بالقضاء الإلهي

تمهيد

يُعتبر هذا الدرس من الناحية المعنوية من أهمّ دروس هذه الحلقة، لأنّه يتعلّق ببحر عميق، وسرّ من أسرار الله تعالى، كما ورد في الخبر[1]، وهو قضاء الله تعالى وقدره، وهو سبيل للطمأنينة والرضوان، وهذا ما يقتضي منّا التعرّف على القضاء الإلهي وأركانه، ثمّ التعرّف على معنى الرضا بالقضاء الإلهي وكونه تسليماً لا استسلاماً، ليستدعي بعدها الوجوه المتصوّرة في معنى الرضا بالقضاء، كنظر المصالح والمفاسد، ونظر البقاء والزوال، ونظر الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، ليتّضح بعدها معنى الرضا القلبي والرضا العملي، والفرق بين الرضا بالقضاء والصبر عليه، وغير ذلك من المحاور المهمّة المتعلّقة بفلسفة الرضا بالقضاء الإلهي، والتمحّض في الإيمان والصدق، وآثار الرضا بالقضاء الإلهي في الدنيا والآخرة، ثمّ الختم بالآثار المقابلة للرضا بالقضاء وسبل الوقاية منها.

---

(١) انظر: التوحيد لشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ٣٦٥ ح ٣.

معنى القضاء وأركانه

قال ابن فارس: أصلٌ صحيح يدلُّ على إحكام أمرٍ وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصِّلت: ١٢)، أي: أحكَمَ خَلْقَهنّ، والقضاء: الحُكم. قال سبحانه ـ حكايةً ـ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (طه: ٧٢)، أي: اصنَعْ واحكُمْ، ولذلك سمِّي القاضي قاضياً، لأنّه يحكم الأحكامَ ويُنْفِذُها[١].

وأمّا في الاصطلاح، قال الشيخ الصدوق: معنى القضاء من الله عزّ وجلّ على ثلاثة أوجه: فوجه منها هو الحكم والإلزام، يقال: قضى القاضي على فلان بكذا أي حكم عليه به وألزمه إيّاه، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣)، ووجه منها هو الخبر، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ (الإسراء: ٤)، أي: أخبرناهم بذلك على لسان النبي صلّى الله عليه وآله، ووجه منها هو الإتمام، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصّلت: ١٢)، ومنه قول الناس: قضى فلان حاجتي، يريد أنّه أتمّ حاجتي على ما سألته[٢].

وفي السنّة الشريفة: «عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: **يا يونس! فتعلم ما القدر؟** قلت: لا، قال: **هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء**، قال: ثمّ قال: **والقضاء: هو الإبرام وإقامة العين**»[٣].

وهذا الأمر المحكم والمبرم الذي لا مردّ له، هو ما نُسأل عنه يوم القيامة،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق: ج ٥ ص ٨٢.
(٢) انظر: التوحيد، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ص ٢١١، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، نشر: جماعة المدرّسين، ١٣٨٧هـ، قم.
(٣) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٧ ح ٤.

عقيدةً واستجابةً، عن الشيخ المفيد، قال: «قال الشيخ الصدوق: اعتقادنا في ذلك قول الصادق عليه السلام لزرارة حين سأله فقال: ما تقول يا سيّدي في القضاء والقدر؟ قال: **أقول: إنّ الله تعالى إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا قضى عليهم**»[١].

ولتحقّق الإيمان بالقضاء الإلهي لابدّ أن يحصل لدينا إيمان بأمور يُمكن أن نسمّيها بأركان القضاء الإلهي، ونعني بها أركان الإيمان بالقضاء الإلهي، وهي:

الأوّل: لزوم الإيمان بأنّ الله تعالى هو الخالق لكلّ شيء، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ (الزمر: ٦٢).

الثاني: لزوم الإيمان بالعلم الإطلاقي لله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً**﴾ (النساء: ١٢٦)، والإحاطة وجودية وعلمية.

الثالث: لزوم الإيمان بإطلاقية القدرة والمشيئة الإلهية، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (البقرة: ٢٠).

عن عليّ بن إبراهيم الهاشمي قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: **لا يكون شيء إلّا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى**، قلت: ما معنى شاء؟ قال: **ابتداء الفعل**، قلت: ما معنى قدّر؟ قال: **تقدير الشيء من طوله وعرضه**، قلت: ما معنى قضى؟ قال: **إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مردّ له**»[٢].

الرابع: لزوم الإيمان بما هو مكتوب في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ (التوبة: ٥١)، أي: مكتوب في اللوح المحفوظ.

---

(١) الاعتقادات، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ): ص ٣٤، تحقيق: عصام عبد السيد، الناشر دار المفيد للطباعة والنشر التوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ، قم المقدّسة.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ١ ص ١٥٠.

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٢)، أي: ليس يصيب أحداً مصيبة في ماله أو في نفسه إلّا وهو مثبّت مذكور في اللوح المحفوظ[1]، وفلسفته في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: ٢٣).

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩).

قال الشيخ الطبرسي: «(إلّا في كِتَاب) معناه: وهو مكتوب في كتاب. (مُبين) أي: في اللوح المحفوظ، ولم يكتبها في اللوح المحفوظ ليحفظها ويدرسها، فإنّه كان عالماً بها قبل أن كتبها، ولكن ليعارض الملائكة الحوادث على ممرّ الأيام بالمكتوب فيه، فيجدونها موافقة للمكتوب فيه، فيزدادون علماً ويقيناً بصفات الله تعالى، وأيضاً فإنّ المكلف إذا علم أنّ أعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة، قويت دواعيه إلى الأفعال الحسنة وترك القبائح»[2].

وفي الأخبار ما يؤكّد ذلك؛ عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **إنّ الله عزّ وجلّ قدّر المقادير ودبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام**»[3].

تصوير القضاء الإلهي

القضاء الإلهي من المقولات القرآنية ذات الأبعاد المعرفية والمعنوية الكثيرة والمختلفة، ففيها أبعاد كلامية وفلسفية وعرفانية، ولها آثار شديدة الصلة بالإيمان

---

(١) انظر: التبيان في تفسير القرآن، مصدر سابق: ج ٩ ص ٥٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ٤ ص ٧١.

(٣) التوحيد، مصدر سابق: ص ٣٧٦ ح ٢٢.

وحدود العلاقة مع الله تعالى، وارتباط وثيق بطبيعـة حرّيـة الإنـسان واختيـاره، وغير ذلك من المسائل الفكرية البالغة في العمق والتعقيد، ونظراً لأهمّية الموضوع وصعوبة مضامينه فإنّنا سـوف نـسلك طريقـاً يـسيراً في تقريـب معنـى القـضاء الإلهي، بما يتناسب مع هذا الكتاب الأخلاقي التعليمي، ومن يروم الوقوف على التفاصيل فليرجع إلى ما كتبناه في هذا المجال(١).

القضاء قد يكون بمعنى كتابة الشيء وإمضائه، كما في كتابة العبـادة لله تعـالى بشكل عامّ، قال تعالى: ﴿وَقَـضَى رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّـاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣)، ثـمّ جاءت بعض البيانات لمصاديق هذه العبادة وبطريقة الكتابة نفسه، كما في فريضة الصيام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِيـنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقـرة: ١٨٣)، وهنالـك قـضاء مكتـوب يتعلّـق بالنصر والغلبة للحقّ، قـال تعـالى: ﴿كَتَـبَ اللَّهُ لَأَغْلِـبَنَّ أَنَـا وَرُسُـلِي إِنَّ اللَّهَ قَـوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١)، وقضاء مكتوب يتعلّق بالابتلاءات، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُـونَ﴾ (التوبـة: ٥١)، وهذا القضاء المكتوب، منه ما هو مرتبط باختيار الإنسان من حيـث الاسـتجابة والتنفيذ، كما هو الحال في العبادة والصيام، حيث يمكنه الامتثـال والطاعـة، كـما يمكنه العناد والمعصية، فالإنسان لديه القدرة التكوينية على كلّ ذلـك، ومنـه مـا هو خارج عن إرادة الإنسان واختياره، من قبيل غلبـة الله تعـالى ورسـله، ومـن قبيل وقوع الابتلاءات، فهذه أمور لا مردّ لها، وهي خارجة عن القدرة التكوينية

---

(١) تناول السيد الأستاذ (دام ظلّه) هذا الموضوع في دراسات مختلفة، المكتوب منها والمنشور: (القضاء والقدر ... وإشكالية تعطيل الفعل الإنساني)، والمكتوب منها وفي طريقه للنشر: (العدل الإلهي)، في عدّة أجزاء، فضلاً عن البحوث الجزئية لهذا الموضوع في كتبه الأخرى، وأمّا في المحاضرات الصوتية فهنالك العشرات منها.

للإنسان، فهي ليست مورداً للطاعة والمعصية، وإن كان لبعض متعلّقاتها علاقة بذلك، كالشكر على النعمة، والصبر عند الابتلاء بمصيبة، وعدم الجزع منها، فالإنسان قادر تكويناً على ذلك، لكنّه غير قادر على ردّ أصل الابتلاء؛ وإلّا لما وقع ابتلاء قطّ، فلا أحد ـ بحسب العادة ـ يرغب بالابتلاء.

وسواء كان القضاء المكتوب خارجاً عن القدرة التكوينية للإنسان أو ليس خارجاً فلابدّ من التعاطي بإيجابيّة معه؛ لأنّ هذا القضاء لا يقع إلّا ضمن الإرادة والمشيئة الإلهية، وضمن الحكمة والخطّة الإلهية الشاملة، فالله تعالى لا يريد بالإنسان إلّا خيراً، حتى في وقوع الابتلاء، وأيّاً كان الابتلاء فهو في صالح الإنسان، ولكنّ هذا الصلاح والنفع في الرؤية الكونية الإلهية عادة ما يكون منظوراً فيه البعد الأخروي، لأنّ الرؤية الكونية الإلهية تمتاز بالحركة البقائية الدائمة، وهذا لا ينسجم عادة إلّا مع الدار الآخرة الموصوفة بالخلود والبقاء، وإن كان ذلك لا يمنع من لحاظ الدنيا الفانية، إلّا أنّها عادة ما تكون ملحوظة بالعرض لا بالذات، بخلاف الرؤية البشرية للوجود والحياة فإنّها عادة ما تمتاز بالحركة المحسوسة المحدودة، وهذا ما ينسجم عادةً مع الدنيا الفانية لا مع الآخرة، فيلاحظ وجه العقوبة والتضييق في الابتلاءات الواقعة عليه، ولا يلحظ المثوبة والتوسعة في تحصيل الكمال، وهذا هو الفرق الكبير بين الرؤية الإلهية والرؤية البشرية، قال تعالى: ﴿**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (الأنفال: ٦٧)، فمن وجد نفسه متذمّراً من الابتلاءات، هارباً منها، ساعياً للخلاص منها، فهو خاضع لآثار الرؤية البشرية، كما هو الحال في أغلب الناس، وبالتالي فإنّه في الغالب لا يكون راضياً بقضاء الله تعالى، وأمّا من وجد نفسه مسلّماً للابتلاءات، شاكراً في السرّاء والضرّاء، ناظراً وجه العناية الإلهية في أصل الابتلاء وفي العمل على الخلاص منه، فهو خاضع للرؤية الإلهية، وبالتالي فإنّه سيكون

راضياً بالقضاء الإلهي، ومن ادّعى الالتزام بالرؤية الإلهية مع صدور الاعتراضات الباطنية منه على الابتلاءات التي تصيبه فإنّه يكون قد حكم في طبيعة مدّعياته في ذلك، ومن لم يكن على بيّنة من طبيعة اعتقاده بالرؤية الإلهية ولكنّه وجد في قلبه تسليماً وطمأنينة في كلّ ابتلاء يصيبه فإنّه يكون قد تعرّف عملياً على اندكاكه بالرؤية الإلهية، وعليه الصبر والثبات على ما هو عليه، وبعبارة نبوية لذلك العبد الصالح الموقن: «**عبدٌ نوّر الله قلبه بالإيمان، الزم ما أنت عليه**»(١).

القضاء الإلهي بين التسليم والاستسلام

هنالك فرق بين التسليم والاستسلام، فالتسليم مقام معنويّ رفيع، بل هو مقام الأنبياء عليهم السلام، ومعناه الرضا بالقضاء الإلهي وعدم الاعتراض

---

(١) عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شابّ في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفرّاً لونه، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: **كيف أصبحت يا فلان؟** قال: أصبحت يا رسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلّى الله عليه وآله من قوله وقال: **إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟** فقال: إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني، وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد نُصب للحساب، وحُشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة، يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون، وعلى الأرائك متّكئون، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذَّبون مصطرخون، وكأنّي الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه: **هذا عبدٌ نوّر الله قلبه بالإيمان،** ثم قال له: **الزم ما أنت عليه،** فقال الشاب: ادعُ الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلّى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر». أصول الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص ٥٣ ح ٢؛ المحاسن، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٥٠ ح ٢٦٥.

عليه، وهو لا يتنافى مع العمل وبذل الجهد للخلاص من الابتلاء، كما هو الحال في المرض فالإنسان المؤمن المسلّم يرضى بأصل القضاء ويشكر ربّه على ذلك، فالابتلاءات في المنطق الإلهي نعمة تستحقّ الشكر، وأمّا الاستسلام فإنّه يجتمع مع عدم الرضا بالقضاء، فيكون الإنسان معترضاً في قلبه، متنفّراً في سلوكه، كما أنّه يعني عدم العمل على الخلاص من تبعات الابتلاء، فالمريض الذي يرفض العلاج والتداوي ليس مسلّماً وإنّما هو مستسلم، فيكون إعراضه سلبياً وليس إيجابياً، وهو ليس مأجوراً في ذلك، لا في ابتلائه ولا في إعراضه عن الدواء، بخلاف المسلّم فهو مثاب مأجور في ابتلائه وفي معالجته لذلك الابتلاء، ولذلك علينا أن نُفرّق بين ما يقع منّا من تسليم ومن استسلام، فالأول داخل في الرضا بالقضاء الإلهي، والثاني لا علاقة له بالقضاء الإلهي، كما أنّ الأوّل لو تأمّلنا فيه سنجده منسجماً مع الفطرة الإنسانية السليمة، وأمّا الثاني فإنّه يعكس حالة مرضيّة يُصاب بها الإنسان، وبعبارة أخرى: الأوّل يمثّل استقامةً ومقاماً معنوياً رفيعاً، والثاني يمثّل انحرافاً وانتكاسةً معنويةً خطيرةً، وفي ذلك درس عظيم وبليغ لنا، لكشف ما نحن عليه، وهذا ما يندرج بشكل واضح في الأخلاق الواقعية والتعليمية.

معنى الرضا بالقضاء والوجوه المتصوّرة فيه

ممّا تقدّم يتّضح لنا وجه مهمّ وأساسي للمراد من الرضا بالقضاء الإلهي، وهنالك أوجه أخرى للرضا بالقضاء الإلهي ينبغي التوقّف عندها، وتقييم أقوالنا وأفعالنا ومطلق سلوكياتنا في ضوء ذلك، فإنّ الرضا بالقضاء قد يكون سهلاً في معناه، ولكنّه صعب وربما عسير في تطبيقاته في تفاصيل حياتنا.

وأمّا الوجوه المتصوّرة في المقام فأهمّها:

الوجه الأوّل: نظر المصالح والمفاسد (هويّة المقاصد)

من الرضا بالقضاء الإلهي: الاعتقاد بمرجعية الابتلاءات الإلهية إلى المصالح والمفاسد، بمعنى الاعتقاد عند وقوعها بأنّها داخلة ضمن قاعدة المصالح الإلهية، وأن عدم وقوعها يكون مندرجاً ضمن المفاسد، والإرادة الإلهية ناظرة إلى تحقيق المصالح ونبذ المفاسد، فإذا ما قدّم الإنسان واقعية المصالح الإلهية المنظورة في الابتلاء الواقع عليه على المفاسد التي تفرزها أهواؤه فإنّه من الراضين بالقضاء الإلهي، وإلّا فلا، وهذا الرضا لا يكون بالتمنّي وإنّما يكون بتبع مساحة الاعتقاد التي ينطوي عليها قلبه في التوحيد والعدل الإلهي، وما يقع من انتكاسات في نظر المصالح والمفاسد وطبيعة المقاصد عادة ما يكون سببه ضيق الأفق في العقيدة، وضيق الخُلق في السلوك، وهو بين الضيقين أُلعوبة، تستقطبه الأهواء يميناً وشمالاً.

الوجه الثاني: نظر البقاء والزوال

ومن الرضا بالقضاء أن تكون للإنسان رؤية كونية إلهية قائمة على أصل التعاطي مع الخلود والبقاء في الآخرة لا في الدنيا، فإذا ما كان الإنسان عاملاً بخلاف ذلك، فلا يعيش إلّا لهمّ الدنيا دون الآخرة، فإنّه ولا ريب لن يكون راضياً بالقضاء الإلهي؛ لأنّ ما يعمل له لا بقاء له، فيرى بأمّ عينيه زوال ما كان يعمل له، وتزلزل ما بناه، فمن أين يأتيه الرضا بالقضاء؟ ولذلك لابدّ من التحوّل من أفق الزوال إلى آفاق البقاء، وهذا التحوّل هو الكفيل بتحقيق الرضا بالقضاء الإلهي، ومتى ما انعقدت في قلبه عقيدة البقاء للآخرة والزوال للدنيا، وتعامل على أساس ما انعقد في قلبه فإنّه ولا ريب سينتج ابتلاؤه رضاً بالقضاء الإلهي، وهذا هو الفرق الجسيم بين نظر الزوال ونظر البقاء، قال تعالى: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل: ٩٦).

الوجه الثالث: طلب الدنيا وطلب الآخرة

ما دامت الدنيا زائلة بما فيها فإنّها ستكون عاجزة تماماً عن تزويد أصحابها بالرضا بالقضاء الإلهي؛ لسبب تأكّد لنا فيما تقدّم، وهو أنّ الرضا بالقضاء يعني الرضا بما يقع من زوال الدنيا نتيجة الابتلاء بالفقر والمرض والموت، فإذا كان الطلب الحثيث منحصراً بالدنيا فإنّه من الطبيعي أن يعيش الإنسان واقعاً مريراً من عدم الرضا بالقضاء الإلهي، فهو معترض تماماً على كلّ ما يقع، وحتى ما يقع له من خير فإنّه يرى نفسه علّة في تحقيقه، مع أنّ الله تعالى لا يمنع طلاّب الدنيا عن دنياهم، قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ**﴾ (هود: ١٥)، وإنّما يمنع من ديمومة التنعّم فيها؛ والمنع تكوينيّ، لأنّ الدنيا وجود متزلزل، قائم على واقعية الفناء لا البقاء، فيكون الطلب فيها طلباً للزوال، وكلّما اشتدّ فيها الطلب فإنّه لا ينتج بقاءً أبداً، وكيف تنتج بقاءً وهي فاقدة لخواصّ البقاء؟ والحكماء يقولون بأنّ فاقد الشيء لا يعطيه.

الوجه الرابع: نظر الإرادة الإلهية والإرادة البشرية

وهنا يقع الصراع الشديد بين الاستجابة للإرادة الإلهية والاستجابة للإرادة البشرية، فالإنسان بطبعه تبع لما يُريد، ويغفل ما هو الأهمّ من ذلك، وهو ما يريده الله تعالى، فيعيش لنفسه وأهوائه أكثر ممّا يعيش لربّه وإيمانه، ولو تأمّل قليلاً لوجد أنّ الإرادة الإلهية هي النافذة، شاء ذلك أم أبى، قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ (هود: ١٠٧)، ولكنّ مشكلة الإنسان أنّ نظره قصير، فيرى ما يُحقّقه هو المنجز الباقي، ولكنّه سرعان ما يكون هباء منثوراً ولو بعد حين، ولا يكون إلّا ما يُريده سبحانه، ولا يكون غيره، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ (الطلاق: ٣).

إنّ هؤلاء، طلاّب الدنيا، هم في الغالب يرزحون تحت طائلة التمنّيات حتى إن لم تكن واقعية، لأنّهم في الأصل لا يرون لهم وجوداً واقعياً غير ما هم عليه في الدنيا، فيريدون الاستحواذ عليها وما فيها، ومن الصعب أن يدركوا خطأ ما هم عليه؛ لشدّة انغماسهم في تفاصيل الدنيا، ولشدّة سطوة الأماني الضالّة، والتمنّيات العريضة التي هي فضلاً عن خطئها فإنّهم يطلبونها ولا يعملون لها، فهم كالذين جاء ذكرهم في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ (القصص: ٧٩)، مع أنّ الإنسان تكفيه لقيمات يسيرة، يُقمن صلبه[١]، فعلامَ الطمع والجشع؟ وعلامَ تكون الأماني الطويلة فيما هو زائل وفانٍ؟ يجعله كثير الأسف، وطويل الحسرة، وضيّق النظرة، وقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنهم قالوا: «**يا بني آدم ما لك تأسف على معدوم لا يردّه إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت**»[٢].

على أنّ هذا لا يمنع من العمل والتوسعة في الدنيا، وإنّما يمنع من أن يكون همّ الإنسان ودأبه في ذلك، فالإنسان لم يُخلق للدنيا وإنّما خُلق للآخرة، أو قل

---

(١) عن المقدام بن معد يكرب يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «**حسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه**». عدّة الداعي، مصدر سابق: ص ٧٤؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج ٢ ص ١١١١ ح ٣٣٤٩؛ سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٨ ح ٢٤٨٦؛ السنن الكبرى، مصدر سابق: ج ٤ ص ١٧٧ ح ٦٧٦٨، ح ٦٧٦٩؛ فتح الباري، مصدر سابق: ج ٩ ص ٤٣٥.

(٢) مستدرك سفينة البحار، للشيخ العلامة علي النمازي الشاهرودي: ج ٣ ص ٣٥٣، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، طبعة ١٤١٩هـ، قم المقدّسة؛ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، مصدر سابق: ج ٢ ص ١١٥؛ تفسير القرطبي، مصدر سابق: ج ١٧ ص ٢٥٨.

بأنّه خُلق للبقاء ولم يُخلق للزوال، والدنيا قطعية الزوال، والآخرة قطعية البقاء، فيكون الإيمان بالقضاء الإلهي والرضا به موجباً للعمل وليس للعطلة والركون، فيُعالج الفقر بطلب الرزق الحلال، والمرض بالتداوي، وتبقى القاعدة العامّة الجامعة بين الرضا بالقضاء الإلهي وبين العمل في الدنيا هي قاعدة العمل للآخرة، فالدنيا مزرعة الآخرة(١)، بل: «**بالدنيا تُحرز الآخرة**»(٢).

قال المناوي: «**الدنيا لا تُذمّ لذاتها؛ فإنّها مزرعة الآخرة، فمَن أخذ منها مراعياً للقوانين الشرعية أعانته على آخرته، ومن ثمّة قيل: لا تركن إلى الدنيا؛ فإنّها لا تبقي على أحد، ولا تتركها فإنّ الآخرة لا تُنال إلّا بها**»(٣).

الوجه الخامس: إثبات العدل والتفضّل ونفي مطلق الظلم

من الانتكاسات المعنوية ـ ذات الخلفيات العقائدية الضعيفة والسيّئة ـ التي يُصاب بها كثير من الناس: الوقوع فريسة للاعتراضات الباطنية، فتجد المُبتلى كثير التأوّه والتظلّم والتشكيك، فلا يجد في ما أُصيب به من ابتلاءات عدلاً ولا فضلاً، وإنّما يرى ذلك نقمة وجوراً ـ والعياذ بالله ـ وهذا ما يكشف عن اضطرابات واضحة في أصل العقيدة التي هو عليها، فالعقيدة لها سقف ظاهر ولها سقف باطن، والظاهر بطبعه محكوم للباطن، والعقيدة الواقعية هي ما عليه من الباطن، وهذا الباطن لا تظهر تجلّياته إلّا عند الوقوع في الابتلاءات، فتنعكس اعتراضاته الباطنية في فلتات لسانه ومطلق سلوكياته، وهو سلوك غير سويّ؛ لأنّه يكون كمن يُقابل المريض بتقريعه على مرضه ومنعه من الدواء، بدلاً

---

(١) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**الدنيا مزرعة الآخرة**». عوالي اللآلئ، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٦٧ ح ٦٦.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٨ رقم (١٥٦).

(٣) فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، مصدر سابق: ج ٣ ص ٧٢٨.

من رفع معنوياته وحثّه على شرب الدواء، وهو باعتراضاته الباطنية المصحوبة بالسلوكيات المسانخة لها يكون قد سجّل اعتراضاً صاخباً على عدل الله تعالى وفضله، بل يكون قد سجّل مظلومية له على الله تعالى، وأنّه ـ والعياذ بالله ـ ظالم له، وهذا ما يقع عادةً من الجهّال، غير الراضين بقضاء الله تعالى، والذين لا يملكون عقيدة راسخة بالعدل الإلهي المطلق، أو لا يفهمون ذلك، أو لا يستجيبون لذلك، وليتهم تأمّلوا في قوله تعالى: ﴿**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ**﴾ (غافر: ٣١)، بل: ﴿**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران: ١٠٨)، وكيف يقع منه الظلم ـ والعياذ بالله ـ وهو القائل في محكم كتابه: ﴿**وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً**﴾ (طه: ١١١)؟

وبالتالي فإنّ كلّ ما يقضيه سبحانه لعباده هو الخير كلّه، سواء كان بظاهره شرّاً للإنسان أو كان بظاهره خيراً، فالله تعالى هو محض الخير، ولا يصدر منه إلّا الخير حصراً، وقد جاء في خبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كلّه له خير، وليس ذلك لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**»[1]، وعن ابن أبي يعفور عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: «**عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عزّ وجلّ له قضاء إلّا كان خيراً له، وإن قُرض بالمقاريض كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له**»[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٣٢؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٢٧؛ مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، للشهيد الثاني الشيخ زين الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي (ت: ٩٦٥ هـ): ص ٥٠، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، قم.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٦٢ ح ٨؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٥ ص ٢٤؛ تحف العقول، مصدر سابق: ص ٤٨؛ صحيح ابن حبان، مصدر سابق:

بل إنّ ما يراه الإنسان مصاباً به هو طريق جديد للهدى والفيض الخفيّ من حيث لا يحتسب، وقد قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (التغابن: ١١)، قال عبد الله بن عباس: «يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[1]، وفي ذلك يقول ابن كثير: «أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنّها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوّضه عمّا فاته من الدنيا هُدىً في قلبه، ويقيناً صادقاً، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً»[2]، وهذه من جملة ثمرات الرضا بالقضاء، فمن أين يأتي الظلم إذا كان الابتلاء خيراً وهدى وصلاحاً؟ ولكنّها نعمة لا يحرز قدرها إلّا المؤمنون، فهم الذين يمتلكون بصيرة تقف بهم على حسن صنيع الله تعالى بهم، وهذا الابتلاء ليس غاية تُطلب، وإنّما هو قضاء وقدر نتقبّله بالصبر والشكر، فنرتقي به وبوسائل قبوله منّا، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يبثّ حزنه وشكواه إلى الله تعالى وحده، ويسأله العافية، حيث يقول في دعاء له، جليل القدر، عظيم المضامين: «**اللّهُمَّ إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أم إلى عدوّ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت**

ج٢ ص ٥٠٧؛ مسند الشهاب، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٤٨؛ التمحيص، لأبي علي محمد بن همام الإسكافي (ت: ٣٣٦ هـ): ص ٥٨ ح ١١٦، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق: ج ٢٨ ص ١٥٧ ح ٢٦٤٩٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: ج ٤ ص ٤٠٠، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، الرياض، السعودية.

له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بي غضبك، أو يحلّ عليَّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك»[١]، إنّه دعاء يشتمل على أرفع مراتب الرضا بالقضاء الإلهي.

الرضا القلبي والرضا العملي

إنّ الرضا بالقضاء على مراتب، وأشرف مراتبه مرتبة الجمع بين الرضا القلبي والرضا العملي بالقضاء الإلهي، وأدناها هي مرتبة الرضا العملي بالقضاء دون القلبي، وأمّا مرتبة الرضا بالقضاء القلبي دون العملي فغير متصوّرة، فلا يمكن أن يكون الإنسان راضياً بالقضاء في قلبه ولكنّه في قوله وفعله لا يكون كذلك، فقد عرفنا أن مرتبة الباطن هي الحاكمة على الظاهر، ويفترض أنّ باطنه في المقام متحقّق بالرضا بالقضاء فينتج عنه الرضا بالقضاء في مقام العمل، وإنّما عبّرنا عن المرتبة الأولى بمرتبة الجمع بين الرضا القلبي والرضا العملي لاحتمال أن يكون الإنسان راضياً بالقضاء الإلهي في قلبه نتيجة عقيدة سابقة وأثر معنويّ تابع لما انعقد في قلبه، ولكنّه لم يُبتلَ بأمر عظيم يكشف من خلاله طبيعة رضاه القلبي، وهذه مرتبة جليلة، ولكنّها تبقى دون مرتبة المبتلى الحقيقي الذي جمع بين طرفي الرضا.

الرضا بالقضاء والصبر عليه

جدير بالذكر أنّ هنالك فرقاً بين الصبر على قضاء الله وقدره، وبين الرضا بذلك، فالصبر مقام عظيم، وبه يُطرد الجزع المحبط للأجر، ولكنّ الرضا مقام أعظم وأجلّ يرفع من أجر المبتلى، فضلاً عن كون الرضا بالقضاء مقاماً يكشف

---

(١) سيرة ابن هشام، مصدر سابق: ج٢ ص٢٨٦؛ تاريخ الطبري، مصدر سابق: ج٢ ص٨١؛ السيرة النبوية، إسماعيل بن كثير الدمشقي: ج ٢ ص ١٥٠، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، ١٣٩٥ هـ، بيروت؛ إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج١ ص٢٧٩.

عن معرفةٍ حقّةٍ بالله تعالى، فالرضا يستبطن إدراكاً عميقاً للحكمة الإلهية والرحمة، وصحّ ما قيل بأنّ الرضا غصنٌ من أغصان المعرفة(١).

ويُمكن القول بعبارة جامعة: إنّ الصَّبر هو كفُّ النَّفس وحبسُها عن التسخّط مع وجود الألم، مصحوب بتمنّي زوال ذلك، وكفُّ الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، وأمّا الرضا فهو انشراح الصدر وسعته بالقضاء، مع ترك تمنِّي زوال ذلك الأمر المؤلم، وإنْ وُجدَ الإحساسُ بالألم، وهو مقام لا يناله إلّا ذو حظّ عظيم، لما يتطلّبه من طاقة كبيرة وتحمّل كبير، وهو مع ما فيه من توجّع شديد إلّا أنّه في نظر الراضي بقضاء الله نعمة سابغة، وفي هذا الرضا ما يخفِّفُه في قلب المؤمن، وهو ما يباشر القلبَ من رَوح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرِّضا، فقد يزيل الإحساس بالألم منه بالكلّية(٢)، لا بمعنى إعدام وجوده، وإنّما لتجاوزه الشعور بذلك نتيجة اللذة المعنوية التي تنتابه وهو يعيش حالة الرضا بالعطاء الإلهي.

فلسفة الرضا بالقضاء الإلهي

تكمن فلسفة الرضا بالقضاء الإلهي في أربعة أمور، وهي:

الأمر الأوّل: التعبير الوجداني عن واقعية الإيمان، فالفعل القلبي هو أصدق الأفعال، فلا صورة خارجية تُنتقد، ولا هو كلمة فتقبل أو تُردّ، فإذا ما وقع التعبير الوجداني موافقاً لقضاء الله تعالى وقدره فذلك هو الرقم الإثباتي الأعلى لحصول الرضا بالقضاء والقدر.

---

(١) عن محمد بن إسحاق، قال: «قيل لبعض العلماء: بما يبلغ أهل الرضا الرضا؟ قال: بالمعرفة، وإنّما الرضا غصن من أغصان المعرفة». الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا: ص ١٥١ رقم (١٠٣)، منشور في: موقع جامع الحديث، والمكتبة الشاملة.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، مصدر سابق: ١٩٥.

الأمر الثاني: الخزين المعنوي الذي يُوجّه الإنسان نحو تحصيل الكمال، ونحو إصلاح ما وقع من أخطاء في النيّة والقول والفعل، فإذا ما نفد هذا الخزين المعنوي فإنّ الإنسان سوف يكون في عرضة دائمة إلى الأخطاء الفادحة، فالرضا بالقضاء يولّد وازعاً داخلياً ورادعاً نفسياً يقيان الإنسان من الخطأ بالقدر الممكن.

الأمر الثالث: السبيل الجليّ لتلقّي الفيض الخفيّ المقرون بتحقيق هذا الرضا، فهنالك توفيقات لا تُنال بقول ولا عمل مادّي، وهذه من أسرار الرضا بالقضاء التي لا نستطيع تحديد ملامحها وضوابطها، وغاية ما نعرفه منها هو عدم انفكاكها عن القلوب الراضية، ولعلّ من أهمّ آثارها المهمّة منحها للأمن والطمأنينة في القلوب الراضية، فالرضا بالقضاء له رباط ذاتيّ بذكر الله تعالى، وذكر الله أمن وطمأنينة، قال تعالى: ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ (الرعد: ٢٨).

الأمر الرابع: وبتبع الأمن والطمأنينة لا يقع اضطراب لكلّ ما وقع، بل يكون كلّ ما يقع واقعاً في أوانه، فلا تأخير ولا تعجيل، وما يقع من شعور بتأخير أو بتعجيل إنّما ناتج عن اضطراب واقعيّ في حقيقة الرضا بالله تعالى.

وفي ضوء هذا الأمور الأربعة المشيرة إلى التعبير الوجداني، والمحقّقة للخزين المعنوي والتلقّي للفيض الخفيّ، والموجبة للطمأنينة، نجد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يطلب تحصيل الرضا بالقضاء، كما ورد في دعائه: «**اللّهُمَّ رضّني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحبّ تعجيل ما أخّرت، ولا تأخير ما عجّلت**»(١)، فالإنسان إنّما يرغب بتعجيل أمور وتأخير أخرى نتيجة تقديراته

---

(١) رسائل المرتضى: ج ٢ ص ٢٤٠؛ مصباح المتهجّد: ص ٥٠٧؛ كتاب الدعاء: ص ١٤٧؛ الأذكار النووية: ص ١٢٦ رقم: ٢٣٥؛ الكامل: ج ٥ ص ٢٤٢. (مصادر سابقة)

واحتمالاته الخاطئة، في حين أنّ وقوعه في أوانـه ضـمن قـضاء الله تعـالى وقـدره يكون خارجاً عن تلك الاحتمالات.

جدير بالذكر أنّ الإيمان بالقضاء والقدر وآثارهما سـيكون طريقـاً واضـحاً وصريحاً ومباشراً في الخلاص من كـلّ جـذور الـشرك وتبعاتـه؛ لـسبب واضـح ويسير، وهو أنّ المؤمن ينطلق برضاه من اعتقاد راسخ، وهو أنّ النافع والـضارّ، وأنّ المعزّ والمذلّ، والرافع والخافض، هو الله وحده، فيتحقّق عنده الثبات الراسـخ في مواجهة الابتلاءات والأزمات، فيكون إيمانه بذلك هو الـدرع الحـصين الـذي يتقي به مشاقّ الحياة، دون أن يضطرب لذلك، بل هو صامد بقلب ثابت، ويقين صادق، وهذا ما يُهدّئ روعه عند المصائب، ويجعله آمناً مطمئنّاً حتى عند فـوات المكاسب، فلا تذهب نفسه عليها حسرات، فلا يلوم نفسه و لا يعنّفها، بل يصبر ويرضى بحكم الله تعالى، فذلك هو عين قضاء الله وقدره، وهذا الإيـمان العميـق، والرضا الرفيع سوف يدفعه إلى العمل والمثابرة، لأنّ المؤمن عاملٌ منتجٌ، ولـيس خاملاً متقاعساً، فهو بعبارة موجزة: مجاهـدٌ في سـبيل الله، يمـضي في جهـاده، لا يخشى خطراً، ولا يهاب موتاً، سلاحه الإيمان، وشعاره الرضا، وغايته الرضوان.

ثمّ إنّ الإيمان بالقضاء والقـدر الإلهيـين يثمـران في الـنفس أمنـاً وطمأنينـة، وانشراحاً في الصدر، وسعادة في القلب وسروراً، فالابتلاء الإلهي مكرمة جليلة، ونعمة سابغة، تأتي أُكلها مع الصبر والشكر، وتثمـر رضـواناً وصـلوات ربّانيـة ورحمة، وإقراراً لأهلها بالهدى، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُـصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَـةٌ وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧)، كما يثمران غنى الـنفس، وقـد ورد في الخـبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن الإمام جعفر الصادق عليه الـسلام: «ثـق

بالله تكن مؤمناً، وارض بما قسم الله لك تكن غنيّاً»[١].

معنى التمحّض في الإيمان

يمكن تلخيص فكرة التمحّض في الإيمان بحصول النفرة القلبية من كلّ معصية ارتكبت، بل وحصول النفرة من الهمّ بارتكاب المعصية، وهذه هي طبيعة الضمير الحيّ اليقظ، فإذا ما وقعت المعصية ورافق ذلك رضا بها فإنّه يكشف عن إيمان ضعيف متزلزل، بخلاف ما لو حصلت انتفاضة قلبية من الفعل المشين، سواء وقع أو لم يقع، فذلك يكشف عن إيمان عميق، وقد وقعت حادثة لطيفة في عهد النبي صلّى الله عليه وآله تُقرّب لنا هذا المعنى الدقيق من التمحّض في الإيمان، رواها محمد بن أبي عمير، عن محمد بن مسلم عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! هلكت، فقال له عليه السلام: **أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله، فقال لك: الله من خلقه؟** فقال: إي والذي بعثك بالحقّ لكان كذا، **فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ذاك والله محض الإيمان**»، قال ابن أبي عمير: «فحدّثت بذلك عبد الرحمن بن الحجاج فقال: حدثني أبي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّما عنى بقوله هذا: (والله محض الإيمان)، خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه»[٢].

قال المازندراني: «(فقال: يا رسول الله هلكت)، قال ذلك لظنه أنّه مكلّف بالتحفظ من الخطرات، ودفعها شاقّ عليه، وذلك إشارة إلى خوف الهلاك، كما دلّ عليه ما بعده، أي: خوفك من الهلاك، لأجل تلك المخاطرة محض الإيمان؛

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ص ١٦٩ ح ٢٢٢؛ مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج٢ ص٣١٠؛ المعجم الأوسط، مصدر سابق: ج ٧ ص ١٢٥.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٢٥ ح ٣.

ضرورة أنّ الكافر لا يخاف من هذه، ولا من أعظم منها، ولا يخبر بهلاكه»[١].

فمجرّد حصول الخشية القلبية والاضطراب من ذلك الهاجس يكشف عن قوّة الإيمان وتمحّضه، فذلك الخوف هو الخوف الواقعي على الإيمان نفسه، وهذا ما يحصل كثيراً للمؤمنين الحقيقيين، حيث تنخلع قلوبهم لمجرّد وقوع معصية أو حصول خاطر قلبيّ يتناقض مع الإيمان، بخلاف ضعيفي الإيمان فإنّهم غالباً ما يركنون لتلك الهواجس الباطلة، ويطردون عن قلوبهم أصوات الردع عن المعصية، فإنّهم يسجّلون بذلك طبيعة إيمانهم وحدوده الضيّقة.

علاقة الرضا بالقضاء بالتمحّض في الإيمان

ومن علامات التمحّض في الإيمان حصول الرضا بالقضاء الإلهي، فهنالك علاقة طردية بينهما، بمعنى أنّه كلّما تعمّق الشعور بالرضا بالقضاء فإنّه يعكس مراتب عالية من التمحّض في الإيمان، فإنّ أحدهما يحكي عن قوّة الآخر، وكلّما ضعف الشعور بالرضا بالقضاء فإنّه يعكس انخفاض مرتبة التمحّض في الإيمان، ولذلك من يريد تحقيق الرضا بالقضاء فإنّ عليه أن يعمل على بلوغ رتبة التمحّض في الإيمان، وللتمحّض في الإيمان طرق وسُبل كثيرة، منها تعميق الصلة بالله تعالى عن طريق العناية بالعبادات، وغير ذلك من أمور سيأتي بيان بعضها في مناسبة أخرى[٢].

علاقة الرضا بالقضاء بالصدق

إنّ الرضا بالقضاء الإلهي وقدره هو النتيجة الطبيعية للصدق مع الله، فالصادقون وحدهم من يقع منهم الرضا بالقضاء الإلهي وقدره، ونعني بذلك

---

(١) انظر: شرح أصول الكافي للمازندراني، مصدر سابق: ج ١٠ ص ١٥٥.

(٢) سيأتي ذلك في الحلقة الأخيرة من هذه السلسلة في الأخلاق التعليمية.

صدقهم في إيمانهم وطاعتهم وارتباطهم بالله تعالى، وما يقع من تذمّر ونفرة عند وقوع الابتلاء بدلاً من الصبر والشكر إنّما يكشف عن خلل سابق في واقعية الصدق، فالصدق هو بوّابة كلّ خير، كما أنّ الكذب بوّابة كلّ شرّ.

آثار الرضا بالقضاء الإلهي في الدنيا والآخرة

أمّا في الدنيا فقد تقدّم أنّ الرضا بالقضاء الإلهي يوفّر خزيناً معنوياً، ويضع صاحبه في معرض تلقّي الفيض الخفي، كما أنّه يثمر أمناً وطمأنينة، وانشراحاً في الصدر، وسعادةً في القلب وسروراً، فالابتلاء الإلهي ـ كما عرفنا ـ مكرمة جليلة، ونعمة سابغة، ولكنّها لا تكون كذلك إلّا لمن تلقّى الابتلاء بالصبر عند المصيبة، وبالشكر عند حلول النعمة، كما أنّ الرضا بالقضاء سيثمر رصيداً معنوياً استثنائياً، وهو نيل الرحمة الإلهية والصلوات الربّانية.

وأمّا في الآخرة فنعيم الجنّة والرضوان، والتعويض عن كلّ ما فات من لوعات وحسرات، والآخرة إنّما للمؤمنين الأتقياء، الراضين بقضاء الله، الصادقين الوعد، ولو تأمّلنا في واقعية الراضين بقضاء الله تعالى وقدره نجدهم أكثر الناس إقراراً وشهادةً بالحقّ، فكلّ ما يلاقونه من ابتلاءات لا يجدون فيهاً ظلماً وجوراً، وإن فقدوا الأموال والأنفس والأولاد، فهم راضون بما قضى الله تعالى لهم، مدركون أنّ قضاءه هو عين عدله وتفضّله على خلقه، شاهدون بأنّه الحقّ من عنده، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ الراضين بقضاء الله سيكونون من أهل الشفاعة، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (الزخرف: ٨٦)، فيكون الراضي بالقضاء، الآمن به، قابضاً على خير الدنيا والآخرة.

آثار عدم الرضا بالقضاء الإلهي في الدنيا والآخرة

وأمّا آثار عدم الرضا بالقضاء فإنّها ما تقتضيه المقابلة بين الرضا بالقضاء وعدمه، فتكون جميع الامتيازات الآنفة الذكر ـ في الفقرة السابقة ـ مفقودة تماماً،

وفقدها يعني التلبّس بكلّ ما هو مقابل، فلا أمن ولا طمأنينة، بل ضيق وانزعاج وحزن وألم، فتكون مصيبته مصيبتين، مصيبة الابتلاء نفسه، ومصيبة عدم الرضا بالقضاء، ومصيبة الابتلاء معلومة ومحدودة الأثر، وأمّا مصيبة عدم الرضا فغير معلومة ولا محدودة الأثر، لأنّ آثارها السلبية لا تقتصر على الدنيا، وإنّما تمتدّ إلى الآخرة، فعدم الرضا بالقضاء يستبطن اتهاماً حقيقياً لعدل الله تعالى وفضله، وهذا الاتهام الخطير مساوق للشرك الخفي، والشرك بجميع أقسامه طامّة كُبرى، ولذلك فإنّ غير الراضين بقضاء الله واقعون في ورطة عظيمة، وعلى خطر عظيم، وهذا ما يجعلنا نفكّر مليّاً في طرق الوقاية والخلاص من كارثية عدم الرضا بالقضاء الإلهي.

سبل الوقاية والخلاص من عدم الرضا بالقضاء الإلهي

بعد أن تعرّفنا على موجز يسير حول الآثار المترتّبة لعدم الرضا بالقضاء الإلهي، احتجنا إلى وقفة يسيرة عند سبل الوقاية والخلاص من ذلك، لا من آثار عدم الرضا نفسها، وإنّما من عدم الرضا نفسه، ويُمكن تلخيصها بما يلي:

أوّلاً: لابدّ من تقنين العلاقة مع الدنيا، فالانفتاح عليها بشكل مطلق هو السبب الحقيقي وراء جعل الدنيا هدفاً وغاية وليست مجرّد وسيلة نرتقي بواسطتها إلى سلّم الكمالات، وهو السبب الحقيقي الذي يورث عدم الرضا بزوال شيء منها، فقوّة العلاقة والارتباط تمنع الإنسان من النظر إلى التعويض، فلا تغادر صورة المفقود منها عقله وقلبه، بخلاف ما لو كانت علاقته بالدنيا علاقة وسائلية وليست غائية، فإنّ الأمر سيختلف تماماً.

ثانياً: ولكي يتحقّق الهدف السابق، وهو تقنين العلاقة مع الدنيا فإنّه لابدّ من التعاطي بجدّية أكثر، وبإيجابية أكبر مع حقيقة زوال الدنيا وما فيها، فالإنسان من الناحية العلمية يعمل فيها وكأنّه خالد فيها، وهذا وهم كبير، وإلّا فما هو المبرّر

الموضوعي للعيش من أجل جمع المال وادّخاره، وهو يعلـم يقينـاً أنّـه مفـارق عـمّا قريب لكلّ ما جمعه وما سيجمعه؟ وما هو المبرّر العقلائـي للحـزن والأسـى عـلى مالٍ مفقود، أو منصبٍ مسلوب، وهو يعلم بأنّ الفوت مساوقٌ للمـوت، والمـوت لا يُبقي ولا يذر؟ وهذا ما نعنيه من التعاطي بجدّية وإيجابية مع حقيقة زوال الدنيا وما فيها، وهذا التعاطي مطلوب تحقيقه واستمراره، ولو بالتدريج.

ثالثاً: توثيق العلاقة مع الله تعالى، وذلـك مـن خـلال الاهـتمام بالعبـادات، لاسيّما الصلاة والصوم، وهذا أمر ممكن وليس عسيراً، ويكفي أن تكون البدايـة مع مراعاة أوقات الصلوات، فنجعل أداء الصلاة في أوّل وقتها هدفاً حقيقياً لنا، فإذا مضينا في تحقيق هذا الهدف فإنّه سوف ينـشأ عنـه هـدف آخـر، هـو تحقيـق الصلاة الخاشعة، ونبقى في سعي ودأب لا ينقطع، فـإذا مـا حقّقنـا هـذا الهـدف السامي، وهو لا يتحقّق إلّا بتقنين العلاقة مع الدنيا، وبتقبّل واقعية زوالها، فإنّنـا بالصلاة الخاشعة وحدها سوف نجتثّ كلّ جذور عدم الرضا بالقضاء الإلهي.

كلمات على الطريق

- القدرة الإطلاقية تجعل القضاء التكويني ميسور التحقيـق، ولا مـردّ لـه من حيث إرادة الإنسان واختياره، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (البقرة: ١١٧).
- القضاء لا يعني ترك المعالجة والعمل، والابتلاء يمكـن دفعـه بالـدعاء، وإذا وقع لزم رفعه بالدعاء والعمـل، ولا يـصحّ الاعتـذار عـن العمـل بمضيّ القضاء وسلطانه، وقد ورد عن رسول الله صـلّى الله عليـه وآلـه: «**أعدّوا للبلاء الدعاء؛ فإنّه لا يردّ القضاء إلّا الدعاء**»[١]، وعن أمير المـؤمنين

---

(١) الدعوات، مصدر سابق: ص ٢١ رقم (٢٢)؛ وقريب منه في: كتاب الدعاء، مصدر

علي عليه السلام: «**ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء. ما المبتلى الذي قد اشتدّ به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء**»[1].

خلاصة الدرس

- القضاء إحكام أمرٍ وإنفاذه لجهته، وهندسة ووضع حدود البقاء والفناء.
- الإيمان بالقضاء الإلهي يقتضي الإيمان بأركانه، وهي: الإيمان بأنّ الله هو الخالق لكلّ شيء، وبإطلاقية علمه وقدرته ومشيئته، والإيمان بما هو مكتوب في اللوح المحفوظ.
- القضاء الإلهي من المقولات القرآنية ذات الأبعاد المعرفية والمعنوية الكثيرة والمختلفة، ففيها أبعاد كلامية وفلسفية وعرفانية.
- القضاء قد يكون بمعنى كتابة الشيء وإمضائه، كما في كتابة العبادة لله.
- القضاء المكتوب، منه ما هو مرتبط باختيار الإنسان من حيث الاستجابة والتنفيذ، كالعبادة، ومنه ما هو خارج عن إرادة الإنسان واختياره، من قبيل غلبة الله تعالى ورسله.
- الرؤية الكونية الإلهية تمتاز بالحركة البقائية، فهي أخروية، بخلاف الرؤية البشرية للحياة فإنّها تمتاز بالحركة المحدودة، فهي دنيوية.
- من وجد نفسه متذمّراً من الابتلاءات، فهو خاضع للرؤية البشرية، ومن وجد نفسه مسلّماً لها، صابراً شاكراً، فهو خاضع للرؤية الإلهية.
- التسليم مقام معنوي رفيع، ومعناه الرضا بالقضاء الإلهي وعدم الاعتراض

سابق: ص ٣٥؛ المعجم الأوسط، مصدر سابق: ج ٢ ص ٢٧٤.

(١) الدعوات، مصدر سابق: ص ٢١ ح ٢٣، بحار الأنوار، مصدر سابق: ج ٩٠ ص ٣٠١. وعنه عليه السلام: «**وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء**». نهج البلاغة، مصدر سابق: ج٤ ص٣٥ ح ١٤٦.

عليه، وهو لا يتنافى مع العمل وبذل الجهد للخلاص من الابتلاء.

- الاستسلام يجتمع مع عدم الرضا بالقضاء، فيكون معترضاً في قلبه، متنفّراً في سلوكه، كما أنّه يعني عدم العمل على الخلاص من تبعات الابتلاء.
- أهمّ وجوه الرضا بالقضاء: نظر المصالح والمفاسد، ونظر البقاء والزوال، ونظر الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، وإثبات العدل ونفي مطلق الظلم.
- طلاّب الدنيا هم في الغالب يرزحون تحت طائلة التمنّيات حتى وإن لم تكن واقعية، لأنّهم لا يرون لهم وجوداً واقعياً غير ما هم عليه في الدنيا.
- من الانتكاسات المعنوية الوقوع فريسة للاعتراضات الباطنية، فتجد المُبتلى كثير التأوّه والتظلّم والتشكيك، فيرى ما أُصيب به نقمة وجوراً.
- الرضا بالقضاء مراتبيّ، وأشرف مراتبه مرتبة الجمع بين الرضا القلبي والرضا العملي، وأدناها هي مرتبة الرضا العملي بالقضاء دون القلبي.
- الفرق بين الصبر على قضاء الله والرضا به، أنّ الصبر يطرد الجزع المحبط للأجر، والرضا يرفع أجر المُبتلى، فضلاً عن كشفه عن معرفةٍ حقّةٍ بالله.
- تكمن فلسفة الرضا بالقضاء الإلهي في: التعبير الوجداني عن واقعية الإيمان، والخزين المعنوي الموجّه لإصلاح ما وقع، ولتحصيل الكمال، والسبيل لتلقّي الفيض الخفي المقرون بتحقيق الرضا، وتحقيق الطمأنينة.
- الإيمان بالقضاء طريق واضح وصريح في الخلاص من جذور الشرك وتبعاته.
- الإيمان بالقضاء والقدر يثمران أمناً وطمأنينة، وانشراحاً في الصدر.
- النفرة القلبية من كلّ معصية ارتكبت تعطي فكرة عن التمحّض في الإيمان.
- علامة التمحّض في الإيمان حصول الرضا بالقضاء، والعلاقة طردية بينهما.

- ضعف الشعور بالرضا بالقضاء يعكس انخفاض مرتبة التمحّض في الإيمان.
- الرضا بالقضاء الإلهي هو نتيجة طبيعية للصدق مع الله، فالصادقون وحدهم من يقع منهم الرضا بالقضاء الإلهي وقدره.
- من آثار الرضا بالقضاء الإلهي في الدنيا توفير خزين معنويّ، ويجعل صاحبه متلقّياً للفيض الخفي، كما أنّه يثمر أمناً وطمأنينة.
- من الآثار الأخروية للرضا بالقضاء نوال الجنّة، والتعويض عمّا فات.
- لغير الراضي بالقضاء مصيبتان، مصيبة الابتلاء نفسه، ومصيبة عدم الرضا بالقضاء، والابتلاء محدود الأثر، وعدم الرضا غير محدود الأثر.
- عدم الرضا بالقضاء يستبطن اتهاماً حقيقياً لعدل الله تعالى وفضله، وهذا الاتهام الخطير مساوق للشرك الخفي.
- من سبل الوقاية والخلاص من عدم الرضا بالقضاء: تقنين العلاقة مع الدنيا، والتعاطي بجدّية مع حقيقة زوال الدنيا، وتوثيق العلاقة مع الله.
- الصلاة الخاشعة توثّق العلاقة بالله، وتجتثّ جذور عدم الرضا بالقضاء.

مذاكرة

- ما هو القضاء؟ وكيف نحقّق الإيمان به؟ وما هي أركانه؟
- ما هي أقسام القضاء المكتوب؟ وما هي تطبيقاته؟
- ما هي علاقة الرؤيتين الإلهية والبشرية بالحركتين البقائية والمحدودة؟
- كيف نكتشف الخاضع لآثار الرؤية البشرية، والخاضع للرؤية الإلهية؟
- ما هو التسليم؟ وما هو الاستسلام؟ وما هو الفرق بينهما؟
- كيف يجتمع الاستسلام مع عدم الرضا بالقضاء وترك تبعات الابتلاء؟

- ما هي أهمّ الوجوه المتصوّرة في الرضا بالقضاء الإلهي؟
- ما وجه ارتباط طلاّب الدنيا بالتمنّيات وإن لم تكن واقعية؟
- كيف تصوّر الاعتراضات الباطنية؟ وما هي علاقتها بالرضا بالقضاء؟
- ما هي أشرف مراتب الرضا بالقضاء الإلهي؟ وما هي أدنى مراتبه؟
- ما هو الفرق بين الصبر على قضاء الله وبين الرضا به؟
- ما هو معنى هذه المقولة: الرضا غصنٌ من أغصان المعرفة؟
- أين تكمن فلسفة الرضا بالقضاء الإلهي؟
- ماذا نعني بالسبيل الجليّ لتلقّي الفيض الخفيّ المقرون بتحقيق الرضا؟
- ما وجه هذا الدعاء: (**اللّهُمَّ رضّني بقضائك، وبارك لي في قدرك**)؟
- ما هو طريق الخلاص من جذور الشرك؟ وما هو سبب كونه كذلك؟
- كيف نقدّم فكرة موجزة عن التمحّض في الإيمان؟
- كيف يكون الرضا بالقضاء الإلهي نتيجة طبيعية للصدق مع الله؟
- ما هي آثار الرضا بالقضاء الإلهي في الدنيا والآخرة؟
- كيف تجتمع على غير الراضي بالقضاء الإلهي مصيبتان؟
- ما هي طبيعة الاتهام الذي يستبطنه عدم الرضا بالقضاء الإلهي؟
- ما هي سبل الوقاية والخلاص من عدم الرضا بالقضاء الإلهي؟
- ما الصلاة الخاشعة؟ وما علاقتها باجتثاث جذور عدم الرضا بالقضاء؟

الدرس الرابع عشر

معاملة الناس

بالمداراة والسماحة والعفو والدعاء

- أهداف الدرس
- تمهيد
- معنى المداراة وصلتها بمعاملة الناس
- معنى السماحة وصلتها بمعاملة الناس
- معنى العفو وصلته بمعاملة الناس
- العفو خُلق الأنبياء
- الدعاء وصلته بمعاملة الناس
- صفات علوية مرتبطة بالمداراة والسماحة والعفو والصدق
- علاقة الصدق بالمداراة والسماحة والعفو
- كلمات على الطريق
- خلاصة الدرس
- مذاكرة

أهداف الدرس

- بيان المداراة والسماحة والعفو والدعاء وصلة ذلك بمعاملة الناس
- الكشف عن كون العفو هو خُلق الأنبياء
- عرض صفات علوية مرتبطة بالمداراة والسماحة والعفو والصدق
- بيان علاقة المداراة والسماحة والعفو والدعاء بالصدق

تمهيد

البحث في المداراة والسماحة والعفو والدعاء هو بحث في فصول جديدة من فصول الصدق والمعاملة مع الناس، وهذا ما يقتضي التعريف بهذه العناوين وبيان صلتها بالمعاملة مع الناس من جهة، وصلتها بالصدق من جهة أخرى، لتكتمل عندنا أهمّ فصول الصدق، وسوف يكون هنالك تركيز واضح على مفردة (العفو)؛ نظراً لأهميتها الشديدة في التعاطي مع الناس، وكونها وسيلة مباشرة لرفع الخلافات وتذويب جليد الأحقاد والأضغان، ومنه سيتّضح أنّ العفو هو خُلق الأنبياء عليهم السلام، لتكون خاتمة هذا الدرس وفصول الصدق بعرض صفات علوية مرتبطة بالمداراة والسماحة والعفو والصدق.

معنى المداراة وصلتها بمعاملة الناس

تقدّم منّا[1]: أنّ المداراة هي مسايرة ومجاراة وملاطفة، وحسن المعاشرة مع الناس اتقاء لشرّهم، مع احتمال أذاهم[2]، والمداراة هي رأس العقل ونصف الإيمان، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «**مداراة الناس نصف**

---

(١) في الدرس الأوّل من هذه الحلقة.

(٢) انظر: الفروق اللغوية، مصدر سابق: ص ٥٢٢ رقم (٢١٠٣)؛ معجم لغة الفقهاء، مصدر سابق: ص ٤١٧؛ جامع السعادات، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٧٠.

الإيمان»[١]، وعنه صلّى الله عليه وآله: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حقّ**»[٢].

وهي من مراتب الصدق وليست من الكذب بشيء، ففيها تعبير صادق عن مراعاة مصلحة المخاطب، وليس من المناسب أن تكون مصارحته صارخة بنحوٍ لا تجلب معها إلّا الأذى والألم للمخاطب، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كلّ عاقل في تعاطيه مع مخاطبه، لاسيّما في الظروف الصعبة.

ومن ذلك تتّضح بعض ملامح الصلة الوثيقة للمداراة بمعاملة الناس، فالدين ـ كما هو الصحيح ـ المعاملة، والمداراة وسيلة عقلائية لحفظ المعاملة مع الناس من الشطط، كما أنّ الإنسان ـ كما هو الصحيح أيضاً ـ مدنيّ بالطبع، وهذه المدنية تنسجم تماماً مع خُلق المداراة، وإلّا سوف يتحوّل المجتمع إلى مجتمع آليّ إن لم يكن قد تحوّل إلى مجتمع الغابة، فالمداراة خُلق المعاشرة مع الناس، وبعدها تكون النفرة والتباعد، ومن أراد أن ينجز عمله ويتمّه فعليه بالمداراة، كما جاء ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في وصيّة له لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «**يا علي! ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتمّ عمله: ورعٌ يحجزه عن معاصي الله، وخُلقٌ يداري به الناس، وحلمٌ يردّ به جهل الجاهل**»[٣].

ولشدّة أهمّية المداراة في المعاملة مع الناس، بل وضرورتها الاجتماعية فإنّ الله تعالى قد أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله بها، بالقدر الذي أمره بالفرائض، فعن أبي

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١١٧ ح ٥.

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة، مصدر سابق: ج ٦ ص ١٠٢؛ العلل، مصدر سابق: ج٢ ص٢٨٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٦٠؛ مكارم الأخلاق، مصدر سابق: ص٤٣٧؛ مستطرفات السرائر، محمد بن إدريس الحلّي (ت: ٥٩٨ هـ): ص ٦١٨، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ، قم.

عبد الله الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض**»[١]، وهذا الأمر بالمداراة إنّما كان في قوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وهذا ما كشف عنه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، حيث يقول: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنّة من ربّه وسنّة من نبيّه، وسنّة من وليّه ... وأمّا السنّة من نبيّه فمداراة الناس؛ فإنّ الله عزّ وجلّ أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله بمداراة الناس فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾**»[٢].

ولم ينفكّ الأمر للنبي صلّى الله عليه وآله بالمداراة، وكأنّها سلّم الوصول إلى عقول وقلوب الناس، أو قل هي سرّ تلين فيه القلوب وتستجيب لداعي الحقّ،

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «**جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلّى الله عليه وآله فقال: يا محمّد! ربّك يقرئك السلام ويقول لك: دارِ خَلْقي**»[٣]. والتعبير بكلمة (خلقي) فيه دلالة واضحة على شمول الجميع: المؤمن والكافر، العادل والفاسق، العالم والجاهل، وقد أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام بمداراة فرعون نفسه، وهو كافرٌ طاغٍ، قال تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ (طه: ٤٣ ـ ٤٤).

وفي ذلك يقول المازندراني: «قوله: (دار خلقي) وإن كانوا كفّاراً، كما دلّ على قوله تعالى: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾، ومن جملة المداراة والملاطفة استجلاب طبائعهم إلى الحقّ وتأنيسهم به بالحكمة والموعظة الحسنة،

---

(١) أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١١٧ ح ٤؛ الخصال، مصدر سابق: ص٨٢ ح ٧.

(٢) أصول الكافي، مصدر سابق: ج٢ ص٢٤١ ح٣٩؛ أمالي الطوسي، مصدر سابق: ص٤٨١ ح١٩.

(٣) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١١٦ ح ٢.

قليلاً قليلاً على سبيل التلطف، لا دفعة؛ لئلا تشمئزّ عنه قلوبهم، ولا يتنفرّ عنه طباعهم، ولو لم يمكن تأنيسهم به؛ إمّا لغموضه بالنسبة إلى أفعالهم أو لقوّة اعتقادهم الباطل، ينبغي أن يحملهم عليه بالحيل والتدبير والمقدّمات الخطابية، حتى يرجعوا من الجهل المركّب إلى الجهل البسيط ثمّ يداويه»[١].

معنى السماحة وصلتها بمعاملة الناس

السَّمَاحَة لغةً: من (سمح)، الدالّة على السلاسة والسهولة، والمسامَحَة: هي المساهَلة، والسموح: الجواد المعطي[٢]، وأمّا في الاصطلاح، فالسماحة هي: بذل ما لا يجب تفضّلاً[٣]، ومن هنا ورد في الخبر: أنّه سُئل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: فما السماحة؟ قال: «**إجابة السائل، وبذل النائل**»[٤]، وفي خبر عنهم عليهم السلام: «يا بني ما السماحة؟ قال: **البذل في اليسر والعسر**»[٥].

ثمّ إنّ السماحة بمعناها العام هي ضرب من ضروب المداراة في المعاملة مع الناس، فهي حسن المعاشرة معهم، لأنّها تعمل على تآلف القلوب، والتجاوز عن الأخطاء، والمعاملة باليسر، والمقابلة بالبشر، فلا يجنح إلى العسر والخلاف، ولا يحيد بوجهه عن الناس بقدر المستطاع، وهذا هو خُلق الأنبياء عليهم

---

(١) شرح أصول الكافي، مصدر سابق: ج ٨ ص ٣٢٨.

(٢) انظر: الصحاح، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٧٦؛ مقاييس اللغة، مصدر سابق: ج٣ ص٩٩؛ لسان العرب، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٨٩؛ مجمع البحرين، مصدر سابق: ج ٢ ص٤١٤.

(٣) انظر: تعريفات الجرجاني، مصدر سابق: ص ١٦٠؛ التوقيف على مهمات التعاريف، مصدر سابق: ص ٤١٤؛ معجم لغة الفقهاء، مصدر سابق: ص ٢٤٩؛ فيض القدير، مصدر سابق: ج ١ ص ٦٥٤.

(٤) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق: ص ٤٠١ ح ١٢.

(٥) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤١ ح ١١.

السلام، وخُلق الصالحين، والذي يدلّ على المنبت الطيّب، والتربية الصالحة، وفي السماحة تكون الأُلفة والمسرّة، لأنّها المعاملة الليّنة السهلة، فلا يكون الإنسان جموحاً شموساً، وإنّما يكون سهلاً ليّناً ذلولاً، كما مرّ بنا في قوله تعالى: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ (طه: ٤٤)، فالقول الليّن يورث التذكرة الحسنة والخشية من الله تعالى، بخلاف الغلظة والخشونة، وقد جاء في الأدب القرآني: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ...**﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ومن صور السماحة التسامح في الحقوق الشخصية بالقدر المستطاع، وإنظار المعسر لحين ميسرة، فلا يرغمه على الدفع ما دام غير ميسور الحال، وإن آن أوان الدفع، ففي السماحة والفرجة متّسع لقبول العذر، بل إن أمكنه التجاوز عن القرض أو عن جزءٍ منه فذلك تفضّل منه وسماحة بالغة، ومن تجاوز عن معسر تجاوز الله عنه في يوم العسرة، وقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه كان يقول: «**كان رجلٌ يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه؛ لعلّ الله أن يتجاوز عنّا، قال: فلقي الله عزّ وجلّ فتجاوز عنه**»(١)، كما أنّ من صور السماحة ومواردها بالنسبة للمقترض أن يردّ الدَّين بأحسن منه، كما كان يفعل ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله، لمّا أمر بإيفاء دين له بأحسن منه، ثمّ قال: «**إنّ خيار الناس أحسنهم قضاء**»(٢).

---

(١) مسند الإمام أحمد: ج ٢ ص ٢٦٣؛ صحيح البخاري: ج ٣ ص ١٠؛ صحيح مسلم: ج٥ ص ٣٣؛ سنن النسائي: ج ٧ ص ٣١٨ (مصادر سابقة).

(٢) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٦ ص ٣٩٠؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٣ ص ٨٣؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٥ ص ٥٤؛ تذكرة الفقهاء، مصدر سابق: ج٢ ص٤.

وغير ذلك من الموارد الكثيرة للسماحة في المعاملة مع الناس، كالتسامح مع الشريك في العمل، فهو أولى من غيره بذلك، ورفع الحرج عنه، وعن كلّ ذي حرج، وإذا ما كانت هنالك أولويات في السماحة فالأولى أن تكون في الضعيفين، اليتيم والمرأة، كما جاء في حديث لرسول الله صلّى الله عليه وآله: «**اللّٰهُمَّ إنّي أحرج حقّ الضعيفين، اليتيم والمرأة**»[(١)]، قال النووي: ومعنى (أحرج): ألحق الحرج، وهو الإثم بمن ضيّع حقّهما، وأحذر من ذلك تحذيراً بليغاً، وأزجر عنه زجرا أكيداً[(٢)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**اتّقوا الله في الضعيفين ـ يعني بذلك: اليتيم والنساء ـ وإنّما هنّ عورة**»[(٣)]، وأولى الأيتام الأقرباء، وأولى النساء الزوجة.

ومن السماحة ما كان فيه صلاح الدين والدنيا والآخرة، فلا يفسد على نفسه ولا على الآخرين شيئاً من ذلك، وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أصبح يقول: «**اللّٰهُمَّ أصلح لي ديني الذي جعلته لي عصمة أمري** ـ ثلاث مرات ـ **اللّٰهُمَّ أصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي** ـ ثلاث مرات ـ **اللّٰهُمَّ أصلح لي آخرتي التي جعلت إليها مرجعي** ـ ثلاث مرات ـ ...)[(٤)].

---

(١) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٣٩؛ سنن ابن ماجة، مصدر سابق: ج٢ ص ١٢١٣ ح ٣٦٧٨.

(٢) رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووي: ص ١٨٣.

(٣) فروع الكافي، مصدر سابق: ج ٥ ص ٥١١ ح ٣؛ من لايحضره الفقيه، مصدر سابق: ج٣ ص ٣٩٢ ح ٤٣٧٩؛ أمالي الطوسي: ص٣٧٠ ح٤٥؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج١ ص٢٥ ح٢٧.

(٤) صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٨ ص ٨١؛ أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق: ص١٥٨ ح ١٧. كما ورد ما هو قريب من ذلك في أدعية الإمام السجّاد عليه السلام. انظر: الصحيفة السجّادية، مصدر سابق: ص ٥٤٨؛ إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج ٣ ص١٥٤. كما ورد ما هو قريب من ذلك في دعاء لنبي الله داود عليه السلام. انظر: السنن

وفي ضوء ذلك تتبيّن موارد عدم السماحة، كما في كثرة المخاصمة والجدل، وفي التزمّت وتعسير الحال، وما ذلك إلّا من سوء الخلق، فكلّ من تخشى منه سطوة لسانه فهو سيّئ الخلق، وكلّ من أبدى السماحة في قول أو فعل فهو حسن الخلق، فتكون السماحة مورداً أكيداً لتقييم أخلاق الإنسان.

معنى العفو وصلته بمعاملة الناس

العفو: هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس[1]، كما يقول ابن الأثير، أو هي بحسب تعريف الكفوي: كفّ الضرر مع القدرة عليه، وكلّ من استحقّ عقوبة فتركها فهذا الترك عفو[2]، أو قل بأنّه الأمر الذي يقتضي إسقاطَ اللَّوم والذمّ، ولا يقتضي نيل الثواب، وبذلك يفترق عن الغفران المقتضي إلى إسقاط العقاب ونَيْل الثواب، ولكنّ العفو أبلغ من الغفران، وفي ذلك يقول الغزالي: «العفو صفة من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيّئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنّه أبلغ منه فإنّه يبنى على الستر، والعفو على المحو، والمحو أبلغ من الستر»[3]، وغفران الله لا

الكبرى، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٠٠ ح ١٢٦٩؛ ج ٦ ص ٤٠ ح ٩٩٦٥.

(١) انظر: النهاية، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٦٥؛ لسان العرب، مصدر سابق: ج ١٥ ص٧٢.

(٢) انظر: الكليّات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، مصدر سابق: ص ٥٣. نقلاً عن كتاب: آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع (الأثر التربوي والأخلاقي)، للدكتور محمد حسن سبتان: ص ١٩، كليّة الشريعة في جامعة الملك خالد، ١٤٢٧ هـ، السعودية.

(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي: ص١٤٠، تحقيق: بسّام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، قبرص؛ الفروق اللغوية، مصدر سابق: ص ٣٦٣.

يستحقّه إلّا المؤمن، ولا يكون منه تعالى إلّا في حقّ له سبحانه، كما هو مـذكور في الأخبار وفي كتب الفقه والأخلاق، والعفو والغفران كلاهما من مظاهر الإيـمان، وحسن الخلق، وسعة الصدر وحسن الظنّ، وكلاهما يثمـر محبّـة الله عـزّ وجـلّ، ومحبّة الناس.

ثمّ إنّ العفو مقارب للصفح في معناه ومؤدّاه، فهو إعراض عن الذنب وعن العقوبة عليه، فيُقال: صَفَحْتُ عنه، أي: أَعْرَضْتُ عن ذنبه وعـن تثريبـه، إلّا أنّ الصفح أبلغ وأسمى من العفو، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، أي: يترك عقوبته ولكنّه لا يترك عتابه وحنقه وغضبه عليه، وأمّا إذا صفح عنه فإنّه يكون قد فـتح معه صفحة جديدة، فلا عقوبة ولا عتب ولا تثريب ولا غضب بعد ذلـك، قـال تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجـر: ٨٥)، أي: فـافتح معهم صفحة جديدة، فلا عقوبة ولا عتب ولا تثريب ولا تعنيـف ولا غـضب، وكأنّه لم يقع منهم شيء[١]، وقد سُئل الإمام علي بن موسى الرضـا عليـه الـسلام عن الآية فقال: «**العفو من غير عتاب**»[٢].

ثمّ إنّ العفو ـ فضلاً عن الغفران والصفح ـ لا يقع إلّا من القادر عليـه، كـما تقدّم في تعريف الكفوي، فالعاجز عن إيقاع العقوبة لا يـصدق في حقّـه عنـوان العافي، وإن ادّعى ذلك، وهنا تكمن فضيلة العفو، فإنّه يـصدر عـن القـادر عـلى إيقاع العقوبة بالمخطئ، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الـشورى: ٤٠)، أي: فمـن عفـا عـن المـسيء، وتـرك عقابـه، وأصلح بينه وبين المعفوّ عنه ابتغاء وجه الله، فأَجْرُ عفـوه عـلى الله تعـالى، وتـرك العقوبة لا يكون إلّا للقادر عليها، فيقع العفو منـه، يقـول الطـبري: «فمـن عفـا

---

(١) انظر: مفردات غريب القرآن، مصدر سابق: ص ٢٨٢.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق، مصدر سابق: ص ١٣١ ح ٦.

عمّن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهـو عـلى عقوبتـه عليهـا قادر؛ ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه»(١)، ولكـنّ الصفح على سموّه لا يقتضي نيل المصفوح عنه للثواب، فيكـون الغفـران مقـدّماً على العفو والصفح لاقتضائه ذلك.

ثمّ إنّ فضيلة العفو كاشفة عن سموّ النفس ورفعتهـا، ولـذلك فهـو لا يزيـد العافي إلّا قوّةً ومنعة وعزّاً، فالعفو قوّة وشرف، ولا يقع إلّا من أصحاب النفـوس الشريفة الرفيعة، التي تتعالى على العقوبة والتشفّي بالمسيء، وليس كلّ أحـد قـادراً على العفو، فمن عفا عفت نفسه عن الصغائر، ولعظمة هذه الصفة وسـموّها فقـد كانت من أسماء الله تعالى وصفاته، فهو العفوّ والعـافي، ونظـراً لوقعـه الاجتماعـي الكبير فقد مدح الله تعالى أهل العفو كثيراً، معتبراً العفو صـفة أو شرطـاً في تحقيـق هويّة المتقين، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٤).

فمن طلب العزّ فعليه بالعفو، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنّـه كـان يقول لأصحابه: «**وإنَّ العفو يزيد صاحبه عزّاً، فاعفوا يعزّكم الله**»(٢)، وعنه صـلّى الله عليه وآله: «**ما نقصت صـدقة مـن مـال، ومـا زاد الله عبـداً بعفـو إلّا عـزّاً**»(٣)، ومسايسة الناس كما تقتضي مداراتهم فإنّها تقتضي العمل بالعفو عنهم، والتجاوز عن أخطائهم، لاسيّما في الحقوق الشخصية، فإنّ النبلاء من الناس ممّن يترفّع عن

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصدر سابق: ج ٢٥ ص ٥٠ ح ٢٣٧٤٣.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٢١ ح ١.

(٣) سنن الترمذي، مصدر سابق: ج ٣ ص ٢٥٤ ح ٢٠٩٨؛ منية المريد، مصدر سابق: ص١٩٣.

المعاقبة، ولو لاحظنا سيرة المعاقبين على الخطأ نجد الغالب منهم ممّن يتّصف بالساديّة، حيث التلذّذ بعذابات الآخرين، وهذا مرض نفسيّ خطير، يكشف عن انحراف وضعف في الشخصية، فيحاول الساديّ سدّ ضعفه وهزال شخصيته بممارسة العقوبة، بخلاف العافين عن الناس، المتجاوزين عن أخطائهم، فإنّهم الأقوياء الأتقياء، الذين تجلببوا بجلباب العزّ بالعفو، لا بجلباب الذلّ بالعقوبة.

ومن أهمّ آثار العفو والصفح والغفران، على الصعيد الاجتماعي، القضاء على الخلاف، وتضييق دوائر الخلاف، كما أنّها تعمل على إطفاء نائرة الأحقاد والضغائن، ويستبدل ذلك بالحبّ والتراحم، فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**تعافوا تسقط الضغائن بينكم**»(١)، فيكون العفو سبباً مباشراً في نشر الحبّ والمودّة، والقضاء على القطيعة والأحقاد والضغائن.

ثمّ إنّ العافي يكون بعفوه قد أدّى أجمل رسوم الشكر على القدرة على العقوبة، فالقدرة على العقوبة منقبة، بخلاف العجز عنها، ولكنّها منقبة لا تتجلّى معانيها السامية إلّا بالعفو، وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه**»(٢)، ولذلك نجد حُلماء الناس يسارعون للعفو والصفح والغفران ما استطاعوا لذلك سبيلاً، وقد كان الأحنف بن قيس يقول: «إيّاكم ورأي الأوغاد. قالوا: وما رأى الأوغاد؟ قال: الذين يرون الصفح والعفو عاراً»(٣)، وقيل: إنّ الأحنف نفسه قد سبّه رجل وهو يماشيه في الطريق، فلمّا قرب من المنزل وقف الأحنف وقال له: يا هذا! إن كان

---

(١) مجمع الزوائد، مصدر سابق: ج ٨ ص ٨٢؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١ ص٥٠٨ ح ٣٣٠٩؛ كنز العمال، مصدر سابق: ج ٣ ص ٣٧٣ ح ٧٠٠٤.

(٢) نهج البلاغة، مصدر سابق: ج ٤ ص ٤ رقم (١١).

(٣) المستطرف في كلّ فن مستظرف، مصدر سابق: ج ١ ص ٤١٩.

قد بقي معك شيء فهات وقله هاهنا؛ فإنّي أخاف أن يسمعك فتيان الحيّ فيؤذوك ونحن لا نحبّ الانتصار لأنفسنا»[(١)]،

ويروى أنّ عبد الله بن مسعود ذهب واشترى طعاماً، وكانت لديه دراهم يخفيها في عمامته، فوجدها قد سُرقت، فقال للبائع: لقد جلست وإنّها لمعي، فجعلوا يدعون على مَن أخذها، ويقولون: اللهمّ اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله: اللهمّ إن كان حَمَلَه على أَخْذِها حاجةٌ فبارك له فيها، وإن كان حَمَلَتْهُ جَرَاءَةٌ على الذنْب فاجعلها آخر ذنوبه»[(٢)].

وهذا هو كرم النفس والعزّة والإحسان، فالعفو صفة حميدة تورث كلّ ذلك، على أنّ العفو قد لا يكون تفضّلاً على المسيء بقدر ما يكون حقّاً يُسدى له، لاسيّما إذا كان العفو هو طريق إصلاح المخطئ، ما لم يكن العفو مضرّاً، وإلّا لزم الانتصار برفع الظلم وردع الباطل.

وقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وحقّ مَن أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو عنه يضرّ انتصرت؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾** (الشورى: ٤١)»[(٣)].

العفو خُلق الأنبياء

العفو هو سمة الأنبياء عليهم السلام، وصفتهم الملاصقة لهم، وسيرتهم مليئة بالمواقف العظيمة التي تحكي سموّهم وشرافة أنفسهم، وكيف أنّهم يسترون الغضب بجلباب العفو والصفح، فزادهم العفو شرفاً وكرامة وعزّة ومزيداً.

---

(١) المستطرف في كلّ فن مستظرف، مصدر سابق: ج ١ ص ٤١٩.

(٢) إحياء علوم الدين، مصدر سابق: ج ٣ ص ١٨٤.

(٣) الخصال، مصدر سابق: ص ٥٧٠.

لعلّ من أعظم مواقف العفو في تاريخ الإسلام موقف رسول الله صلّى الله عليه وآله من قريش، فقريش بالغت في حربها ضدّ رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولم تدّخر جهداً في ذلك، بل ما رأت طريقاً فيه أذى لرسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا وسلكته، ولمّا كان فتح مكة، ووقعت قريش في الأسر «قال صلّى الله عليه وآله لهم: **يا معشر قريش ويا أهل مكّة! ما ترون أنّي فاعل بكم؟** قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، ثمّ قال: **اذهبوا فأنتم الطلقاء**، فأعتقهم رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوةً، وكانوا له فيئاً»[١]، وهذا هو نبيّ العفو والصفح والرحمة صلّى الله عليه وآله.

وكلما آذاه قومه من الكفّار والمشركين، وبالغوا فيما يفعلون، كان صلوات الله عليه وآله يقابلهم بقوله: «**اللّهُمَّ اغفر لقومي؛ فإنّهم لا يعلمون**»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود قال: «قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين بالجعرانة، فازدحموا عليه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: **إنّ عبداً من عباد الله بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه فكذّبوه وشجّوه، فجعل يمسح الدم عن جبينه، ويقول: ربّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون**، قال عبد الله بن مسعود: فكأنّي أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم يمسح جبهته يحكي الرجل»[٣]، وروي أنّ نوحاً عليه السلام كان يلقاه الرجل من قومه فيخنقه حتى يخرّ مغشياً عليه، فيفيق عليه السلام وهو يقول: **ربّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون**[٤].

---

(١) تاريخ الطبري، مصدر سابق: ج ٢ ص ٣٣٧.

(٢) إقبال الأعمال، مصدر سابق: ج ١ ص ٣٨٥.

(٣) مسند الإمام أحمد، مصدر سابق: ج ١ ص ٤٢٧؛ صحيح البخاري، مصدر سابق: ج ٨ ص ٥١؛ صحيح مسلم، مصدر سابق: ج ٥ ص ١٧٩.

(٤) مصنّف ابن أبي شيبة الكوفي، مصدر سابق: ج ٨ ص ٢٣٠ ح ١٨.

الدعاء وصلته بمعاملة الناس

الدعاء مفتاح تلبية الحاجة، وتحقيق النجاح، فهنالك دوائر كمالية مُغلقة لا ينفذ إليها الفاقد إلّا بوسيلة استثنائية، وهي الدعاء، فيكون الدعاء مفتاح مغاليق تلك الدوائر المغلقة، وقد ورد في ذلك عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الدعاء مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح**»[1]، فهو وسيلة النجاح لفتح مغاليق الكمالات التي يصبو إليها الفاقد، فضلاً عن كونه يُعمّق الصلة بالله تعالى، ويدفع القضاء المبرم، حتى ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «**أنَّ الدعاء يردُّ ما قد قُدِّر وما لم يُقدَّر**، قلت (أي الراوي): وما قد قُدِّر عرفته، فما لم يُقدَّر؟ قال: **حتّى لا يكون**»[2].

وما دام الأمر كذلك فإنّه سيكون وسيلة لإصلاح الآخرين، وهذا جزء من حسن المعاملة معهم، ولذلك ورد الاستحباب المؤكّد على الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب، أي الدعاء لهم وهم غياب لا بحضورهم، وهي دعوة مستجابة. عن الفضيل بن يسار، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: «**أوشك دعوة، وأسرع إجابة، دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب**»[3]، وعن جابر الجعفي، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ (الشورى: ٢٦)، قال عليه السلام: «**هو المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب، فيقول له الملك: آمين، ويقول الله العزيز الجبّار: ولك مثلا ما سألت، وقد أعطيت ما سألت بحبّك إيّاه**»[4].

---

(١) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٦٨ ح ٢.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ٤٦٩ ح ٤.

(٣) المصدر نفسه: ج ٢ ص ٥٠٧، باب (الدعاء للإخوان بظهر الغيب) ح١.

(٤) المصدر نفسه: ح ٣.

وعن الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن جدّه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال في وصيّته له: «**يا عليّ! أربعة لا تردّ لهم دعوة: إمام عادل، ووالد لولده، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم، يقول الله جلّ جلاله: وعزّتي وجلالي لانتصرنّ لك ولو بعد حين**»[١].

وعندما يعلم المؤمن بدعاء أخيه إليه بظهر الغيب، سواء بالإخبار أو بالآثار، فإنّه سوف يُسعد ويُسرّ، ولعلّه لأجل هذا الدعاء سوف تحسن أخلاقه بنحو أفضل، سواء مع الداعي له، من باب الوفاء له، أو مع الآخرين من باب الشكر على النعمة، أو مع نفسه من باب ترتّب آثار الدعاء له.

صفات علوية مرتبطة بالمداراة والسماحة والعفو والصدق

هنالك صفات أخرى ذات صلة وارتباط بالمداراة والسماحة والعفو والصدق، من قبيل الحلم والنبل والإحسان، وأمّا الحلم: فهو طمأنينة النفس، بحيث لا يحرّكها الغضب بسهولة، ولا يزعجه المكروه بسرعة، فهو الضدّ الحقيقي للغضب، وهو من أشرف الكمالات النفسية بعد العلم، بل لا ينفع العلم بدونه، ولذا قُرن الحلم بالعلم، كلّما يمدح العلم أو يسأل عنه يقارن به[٢]، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً**﴾ (الأحزاب: ٥١)، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**اللّهُمَّ أغنني بالعلم وزينّي بالحلم**»[٣]، وعنه صلّى الله عليه وآله: «**وابتغوا الرفعة عند الله**، قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: **تصل مَن قطعك وتعطي مَن**

---

(١) الخصال، مصدر سابق: ص ١٩٧ ح ٤؛ أمالي الطوسي، مصدر سابق: ص ١٥٠ ح ٦١.

(٢) انظر: جامع السعادات، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٦٣.

(٣) مصباح المتهجد، مصدر سابق: ص ٥٤٤ ح ٩؛ تهذيب الأحكام، مصدر سابق: ج ٣ ص ٧٣؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١ ص ٢٣١ ح ١٥٣٢.

حرمك، وتحلم عمَّن جهل عليك»[١]، وحيث إنّ العقلاء يعدّون الحلم من سمات النبل لزم التعريف بالنبل.

وأمّا النبل: فهو الفضل والنجابة، ويكون في أمور، منها: مؤاخاة الأكفاء، ومداراة الأعداء، والحذر من السقطة، واليقظة من الورطة، وتجرّع الغصّة، ومعالجة الفرصة، والنبل يقتضي الوفاء وعدم الخيانة والغدر، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الوفاء حلية العقل وعنوان النبل**»[٢].

والإحسان مرتبة فوق العفو والصفح، فالإحسان في التعامل مع زلّات الآخرين، يقول تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ**﴾ (المؤمنون: ٩٦)، و: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ (النحل: ٩٠).

علاقة الصدق بالمداراة والسماحة والعفو والدعاء

إنّ المداراة والسماحة والعفو والدعاء للمؤمنين حاضراً وبظهر الغيب يكشف عن صدق واضح وصريح في المعاملة مع الناس، فضلاً عن الصدق مع النفس، وفضلاً عن الصدق مع الاعتقاد بالدين وتطبيقات الشريعة، ولعلّ الدعاء بظهر الغيب هو أبرز مصاديق الصدق في المعاملة مع الناس، حيث لا ينتظر الداعي من المدعوّ له شيئاً، في حين إنّ المداراة والسماحة والعفو على حسنها كلّها ومطلوبيّتها فإنّها غالباً ما تستدعي مدحاً وثناءً من قبل الآخرين؛

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، مصدر سابق: ص ٢٣ ح ٢٣؛ الجامع الصغير، مصدر سابق: ج ١ ص ١١ ح ٤٣. وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمّن ظلمك، وتصل مَن قطعك، وتحلم إذا جُهل عليك**». الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١٠٧ ح ٣؛ من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق: ج ٤ ص ٣٥٧.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق: ص ٥٠.

بصفتها أعمالاً جميلةً وجليلةً تستحقّ ذلك، وقد تقع من البعض بنيّة هذا الثناء الجميل، أو إحراز المقبولية أو رفع شبهة، أو غير ذلك، وهذه النوايا الجانبية لا تقدح بحسن أصل الفعل، فتبقى هذه الأعمال ممدوحة، لأنّها أمور اجتماعية، وليست فروضاً عبادية لتختلّ النيّة فيها، في حين أنّ الدعاء للمؤمنين، لاسيّما ما يقع منه بظهر الغيب، يكون بعيداً عن تلك الاحتمالات، وبالتالي فهو أفضل هذه الموارد من ناحية الارتباط بالصدق.

كلمات على الطريق

- لمّا أقبل إخوة يوسف عليه السلام عليه بعد ما وقع منهم من إلحاق الأذى الكبير به، ظنّوا بأنّه سوف يلحق بهم عقوبة شديدة، ولكنّه قابلهم بالعفو، و ﴿**قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (يوسف: ٩٢).
- لجلالة قدر العفو وأثره البالغ في المجتمع وكونه طريقاً سامياً في المعاملة مع الناس فقد جعله الله تعالى من مصاديق الإنفاق في سبيله، قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾ (البقرة: ٢١٩)، قال الفخر الرازي: «كأنّ الناس لمّا رأوا الله ورسوله يحضّان على الإنفاق، ويدلّان على عظيم ثوابه، سألوا عن مقدار ما كُلّفوا به، هل هو كلّ المال أو بعضه؟ فأعلمهم الله أنّ العفو مقبول»[(١)]، فيكون العفو شاملاً للمال وغير المال.
- عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنّه قال: «**من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة**»[(٢)].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد الرازي: ج ٦ ص ٤٥، (طبعة الأحد عشر جلداً)، منشورات محمد علي بيضون، الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، بيروت.

(٢) الأصول من الكافي، مصدر سابق: ج ٢ ص ١١٠ ح ٧.

خلاصة الدرس

- المداراة هي مسايرة ومجاراة وملاطفة، وحسن المعاشرة مع الناس؛ حبّاً بهم، أو اتقاءً لشرّهم عند احتمال أذاهم.
- المداراة مرتبة من مراتب الصدق وليست من الكذب بشيء، وهي وسيلة عقلائية لحفظ المعاملة مع الناس من الشطط.
- لشدة أهمّية المداراة في المعاملة مع الناس، بل وضرورتها الاجتماعية فإنّ الله تعالى قد أمر نبيّه صلّى الله عليه وآله بها بالقدر الذي أمره بالفرائض.
- السماحة دالّة على السلاسة والسهولة، وهي بذل ما لا يجب تفضّلاً.
- السماحة بمعناها العامّ من ضروب المداراة في المعاملة، فهي حسن المعاشرة، وتآلف القلوب، والتجاوز عن الأخطاء.
- من صور السماحة: التسامح في الحقوق الشخصية بالقدر المستطاع، وإنظار المعسر لحين ميسرة، وردّ الدَّين بأحسن منه، والتسامح مع الشريك في العمل، ورفع الحرج عنه.
- موارد عدم السماحة: كثرة المخاصمة والجدل، والتزمّت وتعسير الحال.
- العفو تجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، وكفّ الضرر مع القدرة.
- الغفران ستر يقتضي إسقاط العقاب ونَيْل الثواب، والعفو فينحصر بإسقاط العقوبة، ولكنّه أبلغ من الغفران، فالعفو محو، والمحو أبلغ من الستر.
- العفو والغفران من مظاهر الإيمان، وحسن الخلق، وسعة الصدر وحسن الظنّ، وكلاهما يثمر محبّة الله عزّ وجلّ، ومحبّة الناس.
- العفو مقارب للصفح في معناه، إلّا أنّ الصفح أبلغ وأسمى من العفو، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، فلا يترك المعاتبة أو الغضب.

- العفو ـ فضلاً عن الغفران والصفح ـ لا يقع إلّا من القادر عليه، فالعاجز لا يصدق في حقّه عنوان العافي، وإن ادّعى ذلك، وهنا تكمن فضيلة العفو.
- فضيلة العفو كاشفة عن سموّ النفس ورفعتها، ولذلك فهو لا يزيد العافي إلّا قوّةً ومنعةً وعزّاً، ولا يقع إلّا من أصحاب النفوس الشريفة الرفيعة.
- من الآثار الاجتماعية للعفو تضييق دائرة الخلاف وإطفاء نائرة الضغائن.
- العافي بعفوه يكون قد أدّى أجمل رسوم الشكر على القدرة على العقوبة.
- العفو سمة الأنبياء عليهم السلام، وصفتهم الملاصقة لهم.
- الدعاء مفتاح تلبية الحاجة، وتحقيق النجاح، فهنالك دوائر كمالية مُغلقة لا ينفذ إليها الفاقد إلّا بوسيلة استثنائية، وهي الدعاء.
- عندما يعلم المؤمن بدعاء أخيه إليه بظهر الغيب، سواء بالإخبار أو بالآثار، فإنّه سوف يُسعد ويُسرّ.
- الحلم والنبل والإحسان صفات متّصلة بالمداراة والسماحة والعفو والصدق.
- الحلم: طمأنينة النفس، فلا يحرّكها الغضب بسهولة، والنبل: الفضل والنجابة، والإحسان، مرتبة فوق العفو والصفح.
- المداراة والسماحة والعفو والدعاء تكشف عن صدق واضح في المعاملة مع الناس، فضلاً عن الصدق مع النفس، وفضلاً عن واقعية الصدق في العقيدة وتطبيقات الشريعة، والدعاء بظهر الغيب أبرز وأفضل مصاديقها.

مذاكرة

- ما هي المداراة؟ وما هي آثارها الاجتماعية؟
- كيف تثبت أنّ المداراة من الصدق؟ ووسيلة عقلائية لحفظ المعاملة؟
- ما هو الحديث الذي قرن المداراة بالفرائض؟ وماذا تفهم من ذلك؟
- ما هي السَّمَاحَة؟ وما هي علاقتها بالمداراة؟
- ما هي صور السماحة؟ وما هي موارد عدم السماحة؟
- ما هو العفو؟ وبماذا يفترق عن الصفح والغفران؟
- ماذا يعني أنّ العفو لا يقع إلّا من القادر عليه؟
- ما هي الآثار الاجتماعية للعفو؟
- ما هي علاقة العفو برسوم الشكر؟ وعلى أيّ شيء يكون هذا الشكر؟
- اذكر مثالاً للعفو من حياة النبي صلّى الله عليه وآله؟
- ما هو الدعاء؟ وما هي آثاره الاجتماعية؟ وما هو الدعاء بظهر الغيب؟
- ما هو الحلم؟ وما هو النبل؟ وما هو الإحسان؟
- ما هي علاقة الحلم والنبل والإحسان بالمداراة والسماحة والعفو والصدق؟
- المداراة والسماحة والعفو والدعاء، ما هو أبرزها وأفضلها في العلاقة مع الصدق؟ ولماذا؟

الخاتمة والنتائج وتوصيات

- الخاتمة
- النتائج العامّة
- النتائج الخاصّة
- التوصيات

الخاتمة

الحمد لله على جزيل نعمائه، إذ وفّقنا لبلـوغ خاتمـة هـذه الحلقـة المـضافة إلى سلسلة الأخلاق التعليمية، والتي بحثنا فيها مفـردة قرآنيـة وروائيـة وإنـسانية، وهي مفردة الصدق، فتصفّحنا سجلّ هذه المفردة، وسـبرنا غورهـا مـن خـلال أبعاد مختلفة، قرآنية وروائية، وفلسفية وأخلاقية وعرفانية، وقد لاحظنـا طوليـة أبحاث ودروس هذه الحلقة بالنسبة للحلقتين السابقتين (أخلاقنا)، و (إصـلاح النفس)، فلم تكن منفردة بهدفها، ولكنّهـا امتـازت بنتائجهـا وتنـوّع عناوينهـا، وتقصّي جذورها في القرآن والسنّة، فكانت رحلة علمية، موضـوعية وتحقيقيـة، منتجة وموفَّقة، لننتقل بعدها إلى حلقة أخـرى تتعلّـق بروحانيـة العبـادات، ثـمّ الانتقال إلى أخلاقيات الحجّ والزيارة، ثمّ الختم بوحدة المقصد والرحلة إليه.

وهنالك عدة نتائج اشتملت عليها هذه الحلقة، منها ما يتعلّق بكلّياتها، ومنهـا ما يتعلّق بجزئيّاتها، وقد أسمينا كلّياتها بالنتائج العامّة، وجزئيّاتها بالخاصّة.

النتائج العامّة

١. كان للقرآن الكـريم والـسنّة الـشريفة حـضور متميّـز في جميـع دروس هـذه الحلقة، وقد أبدينا حرصاً كبيراً في تجذير مسائلها قرآنيـاً، وتوكيـدها روائيـاً، مع الاستعانة الميسورة بالعقل وسيرة العقلاء.

٢. امتازت جميع دروس هذه الحلقة بحضور مفردة (الـصدق)، فكـان الـصدق محوراً حقيقياً لها، ولكنّ هـذا الحـضور لم يكـن بدرجـة واحـدة في تفاصـيل دروسها، ومع وجود هذه النسبية في الحضور إلّا أنّهـا حرصـت عـلى تغطيـة المطالب المهمّـة فيهـا، وقـد لاحظنـا أنّ معظـم العنـاوين الفرعيـة لم تتجـرّد

لخصوصياتها، وإنّما انفتحت بشكل واضح وكبير على موضوع الصدق، وكأنّ دروس هذه الحلقة أشبه ما تكون بفصول مترابطة حول موضوعة الصدق.

٣. امتازت فقرة (كلمات على الطريق) بانتمائها الواضح إلى الموضوع الأساسي في كلّ درس، فلم تكن كلمات وعظيّة منفصلة عن موضوعات الدروس، رغم أنّ الهدف منها لا يُشترط فيه ذلك، حيث كان يكفي فيها الارتباط العام بالأخلاق الواقعية والتعليمية، ولكن وقع لها التوفيق بالموافقة والانسجام الملحوظ مع سياقاتها في الدروس، وكأنّها في كلّ درس شكّلت حلقة تكميلية لموضوع الدرس.

٤. كان هنالك انفتاح واضح وكبير على الكتب الروائية والأخلاقية من قبل المدرستين معاً، مدرسة أهل البيت، ومدرسة الصحابة، حيث كان الحرص الأساسي على تغطية ملفّات وفقرات دروس هذه الحلقة بما هو أفضل وأتقن، بعيداً عن التمذهب والتعنصر، ورغم أنّنا لا نخفي التزامنا الأكيد بمدرسة أهل البيت عليهم السلام إلّا أنّ البحث الأخلاقي يفرض شخصيّته على الكاتب الموضوعي والمحقّق في ضرورة تقصّي العناوين والمضامين المناسبة، فكان الانفتاح على المدرستين معاً وثيقة علمية وعملية على توخّي العلمية والموضوعية في البحث، وبالرغم من أنّ هذا الانفتاح لم يكتب له قصب السبق في هذه السلسلة، حيث قد سبقنا إلى ذلك مؤلّفون كثيرون في مجال الأخلاق، إلّا أنّ هذه الحلقة خصوصاً، وحلقات سلسلة الأخلاق التعليمية عموماً، تميّزت بالانفتاح التحليلي فلم تكتفِ بالسرد والنقل، كما هو مألوف في الكتب الأخلاقية.

٥. إنّ التجذير القرآني والروائي لمطالب هذه الحلقة اقتضى منّا التحليل العلمي

والموضوعي في معظم النصوص المساقة، وقد اعتمدنا طريقة لطيفة في نظم النصوص والتنسيق بينها، فبدت وكأنّها نصّ واحد، أو فقرات مترابطة تحت فقرة واحدة، فجمعنا فيها بين الجانبين، العلمي والفنّي.

٦. قد لاحظنا أنّ هنالك فراغات كبيرة في البحوث الأخلاقية، فضلاً عن كون البحوث الأخلاقية المصنّفة قد أخذت في الغالب الطابع السردي والوعظي، فكانت تمارس نوعاً من الوصاية الصارخة على عقل وقلب القارئ، وهذا ما جعل القارئ الراصد الناقد غير مستفيد منها، بل تجعله متنفّراً، فلم تولِ أهمّية لشخصية القارئ، وكأنّ القارئ لا يجيد غير القراءة والكتابة، فلم تمنحه فرصة للاستكشاف، ولا فرصة للتأمّل والتحليل، بل لم تعلّمه شيئاً من ذلك، ولذلك حرصت هذه الحلقات على عدم الوقوع في فخّ استدراج القارئ وتدجينه، وإنّما اعتمدت على شخصية القارئ وقدرته على الرصد والنقد والتحليل، وبالرغم من كون الطابع العام لدروس هذه الحلقات كان تعليمياً مدرسياً، إلّا أنّها في عناوينها ومضامينها تجاوزت المرحلة التعليمية المباشرة إلى مرحلة الاستكشافية، فصار القارئ يتوقّع معنا ونحن نبحث في فقرة معيّنة ما سنبحثه في الفقرة اللاحقة، ويرتّب نتائج أوّلية، ليكتشف بعدها مقدار تحليله وصحّة استكشافه، وهذا يجعلنا نطمئنّ إلى جدوائية هذه الحلقات والدروس، فهي دروس في إطارها الفكري، ومضامينها الحيوية، وأسلوبها الفنّي، تمارس دوراً حوارياً متقناً، وتبتعد كثيراً عن الطريقة التعبوية والتدجينية، فالإنسان السوي ليس حقل تجارب لنقوم بتعبئته، وإنّما هو إنسان عاقل وحرّ وراصد وناقد، فلابدّ من محاورته، وهذا ما حاولنا تحقيقه في هذه الحلقة خصوصاً؛ لاسيّما وأنّ مفردة (الصدق) لا تتحمّل غير ذلك.

النتائج الخاصّة

- البحث في هويّة الصدق هو أوّل مفاتيح مَكَامِنه، ولا تكفي المطابقة بين الظاهر والباطن (اللسان والقلب) لتحقيق الصدق، وإنّما بموافقته للحقّ.
- دواعي الصدق فطرية وعقلية وشرعية، وحفظ البناء الاجتماعي من الضياع والفساد منوط بواقعية الصدق.
- للصدق حيثيات مختلفة، نحو: حيثية (الفطرة والوراثة والكسب)، وحيثية (النيّة والقول والفعل)، وحيثية (ظرفيّة المخاطب والزمان والمكان)، وحيثية (المداراة والمداهنة)، وحيثية (النفس، الله، المجتمع).
- من علامات الصدق: الاستقرار النفسي، ونبذ سياسة التبرير، واعتماد سياسة تذليل الصعاب، والتغاضي عن أخطاء الآخرين ما لم تكن خطيرة.
- الكذب لا ينتمي إلى حضارة الإنسان، وإنّما هو صفة شيطانية غزت قلبه.
- الصدق وثيقة الإنسان السويّ، وهويته الحقيقية، وبه تكون إنسانيته.
- عدم الوقوف على مكامن الصدق يعني التيه والضياع والانكسار المعنوي.
- مَن قصد وجه الله وحده فنيّته عامرة بالإخلاص الذاتي والفعلي، ومَن قصد كمالاً عامّاً أو خاصّاً فإنّه يمتلك إخلاصاً غيرياً وانفعالياً.
- إخلاص النيّة على قدر كبير من الصعوبة؛ لتفشّي النفعية في المجتمع.
- الكذبة الأولى خطوة في طريق النفاق، والثانية ترك أثر القدمين فيه، والثالثة اتصاف جزئيّ به، وما بعدها توغّل في مستنقع النفاق.

- للباطن أولوية وأفضلية على الظاهر، ومَن كان ظاهره خيراً من باطنه فهو ليس على خير، فذلك إمّا قصور في ساحة الإخلاص، أو رياء ونفاق.
- العاقل هو مَن يخرج مِن صراعه مع الدنيا بالربح الباقي وبأقلّ الخسائر.
- معرفة مقاصد طلب العلم أهمّ من العلم بحسب فلسفة الكمالات الإلهية.
- عدم المسارعة للتوبة مؤشّر خطير على عدم المصداقية في طلب الآخرة.
- أدعياء المقامات المعنوية هم في واقعهم قطّاع طريق، وهم الكاذبون حقّاً.
- لو فُرضت الرئاسة على مؤهّل لها لم يطلبها لنفسه فتصدّيه واجب شرعي.
- تنبغي المبادرة في إغاثة الفقير عند العلم به قبل عرض مسألته، واستذلاله ناشئ من خصلة الكبْر، وعلى الفقير التحلّي بالصدق كما تحلّى بالصبر.
- ملكة الصدق تعني الكفّ عن: سوء الظنّ، والتخيّلات الفاسدة، والأماني.
- الصدق مع النفس: الصراحة والوضوح معها، فلا خداع ولا تمويه ولا تبرير، وعندئذٍ سنقف على أرضيّة لمكامن الصدق وأنواعه.
- أسوأ موارد انعدام الصدق مع النفس هو التحايل على الشريعة.
- من الصدق مع الله لزوم المتابعة للشريعة، وخشيته في العلن والسرّ، واستشعار وجوده بشكل دائم، ولا يكفي في ذلك مجرّد التفقّه.
- الفيوضات الإلهية (المعرفية والمعنوية) شرطها الأكيد هو الصدق.

- صدق الحديث بوّابة عالم الملكوت، وصدق المعاملة هو الدين نفسه.
- طلب الصدق مع عدم العمل به دليل الأنس بالدنيا، وعدم وضوح الرؤية.
- الأزمات التي تواجه الصدق هي: أزمة الذات وأزمة الأغيار.
- التعوّد على رؤية الأشياء الجميلة يفتح النفس ويجعل مزاجها معتدلاً.
- الإنسان قد تُفرض عليه ثقافة سلبية تجعله يعاني من عقدة الاضطهاد النفسي، وكتم المشاعر، لاسيّما في المجتمعات ذات الطابع الديني.
- الضغوط الاجتماعية قد تفضي بالإنسان إلى خيالات فاسدة هرباً من واقعه، وللتخلّص منها لابدّ من تحرّي الفراغات التي سمحت بها.
- طائر الخيال جوّال فرّار، ينتقل كطائر من غصن إلى غصن، ومحاصرته وتطويعه ليس عسيراً، فإذا ما امتلأ الوقت بالعمل سيُقفل صندوق أحلام اليقظة والخيالات الفاسدة وتُقطّع أجنحة طائر الخيال.
- من النتائج المتوقعة في مواجهتنا مع الأغيار أن نخسر محبّة بعضهم.
- من الثمرات الدينية للصدق: بناء الشخصية الإيمانية، وبناء وتعميق العلاقة مع الله تعالى، والثمرات العبادية.
- الثمرة العبادية للصدق قبول الأعمال، ودونه فالعبادة موبوءة مصابة بالأمراض.
- الثمرات الدنيوية للصدق: تحقيق الخير والبركة، والحسن والبهاء، وقبول التوبة، وتحصيل قوّة الحجّة، وإحراز الثقة، وحسن العاقبة.
- الصدق أساس الثقة المتبادلة بين الناس، وإكسير العلاقة وسرّ بقائها.
- الثمرة الأخروية الأهمّ للصدق هي معرفة الله، وما عداها أهداف دانية.
- الإيمان الإذعاني لا يستقيم مع انتفاء الصدق، والحالات النفاقية لأدعياء

الإيمان دليل على انتفاء الصدق في حياتهم.

- واقعية التغيير المطلوب رهن بتحقّق الصدق والتحرّر من التقوقع الموروث.
- للتغيير أقسام، منها: التدريجي والدفعي، والصوري والجذري.
- مقوّمات التغيير: رغبة منبثقة من النفس، وإرادة صلبة، وتحديد نقطة الانطلاق، وتحمّل المسؤولية، و واقعية سقف التغيير، والتفقّه في الدين.
- ما لم نتعاطَ بجدّية مع الانسياق الموروث نحو ما ألفناه (الماضوية وغلبتها على تفكير الإنسان وسلوكه)، سيكون مصيرنا كمصير قريش في مواجهتها للحقّ، حيث تركوه وتمسّكوا بتراث آبائهم الذين: ﴿**لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ**﴾.
- التغيير ليس أمنية، أو معلومات مستفادة، أو عمل غير مسبوق بإرادة واقعية وتفقه في الدين، وإنّما اجتماع هذه الأركان الثلاثة والعمل بها.
- العلاقات الاجتماعية ليست رقمية، وإنّما وشائج قائمة على العواطف.
- مسّ المشاعر لشغاف القلب والوجدان كاشف عن تلبّسها بالصدق.
- المشاعر وقود التغيير، فإذا صدقت فرحلة التغيير ستُحقّق أهدافها.
- الإصلاح ثورة على الجهل والفساد والتخلّف عن الكمال المطلوب.
- كلّ مورد لا نصل فيه إلى الكمال المطلوب فإنّه يحتاج إلى مراجعة وإصلاح.
- أقسام الإصلاح، هي: الجزئي والكلي، والمؤقّت والدائم.
- الصدق أداة تفعيل الإصلاح، وشروط الإصلاح لابدّ أن تكتنز واقعية الصدق، لاسيّما في الإرادة الفعلية الصلبة، والاستقلال الفكري في القرار والتنفيذ.

- التغيير قد يُوحي بالانقلاب الجذري، فهو إبدال شيء بآخر، في حين أنّ الإصلاح لا يشتمل على هذا المعنى الراديكالي، فهو إصلاح مناطق الضعف.
- من شروط النصر: الثقة بالنفس وبالقضية المُتبنّاة، وتوفير الأسباب، والصبر والثبات، والاعتقاد بالمدّ الإلهي، ووجود قيادة حكيمة، وتطبيق الشريعة.
- الإيمان طائر يغادر عش القلب عند الكذب حتى يحدث الكاذب توبة.
- لا خلق سيّئ ولا مفسدة أعظم من الكذب، فهو المستودع المُهلك، ومن استحلّه هان عليه كلّ شيء؛ لأنّه يولّد ملكة التبرير الكاذب.
- الكذب مهدئ مؤقّت، وهروب إلى أماكن ضيّقة المساحة وقصيرة الخطوات.
- الكذب بيئة تنمو فيها بذور النفاق، بل النفاق في واقعيته وليد الكذب.
- الكذب خروج سافر على الفطرة السليمة وعن الإيمان أيضاً.
- الكذب الصريح حرام، ولا يكون موضوعاً للجواز، وهو غير التورية.
- من لا يشعر بقبح الكذب ونبذه فإنّه فريسة شعور كاذب، وهو الأنس به.
- التقوى حفظ الشيء ممّا يؤذيه ويضرّه، فتكون حصناً للنفس عمّا يؤثِم.
- معاينة الحقيقة أمر ممكن تحقيقه لغير الأنبياء، وتحصيله بتقوى الله.
- أعقد موارد طرد الأغيار عن القلب هو طرد حب النفس، فإذا ما تجاوزنا حجاب النفس أشرقت المعارف الحقَّة، وتجاوزه يكون بالصدق والتقوى.
- الصادقون وحدهم هم المؤهّلون لارتداء لباس التقوى، والمتقون هم

وحدهم المؤهّلون لدخول عالم الملكوت.

- الخريطة الإلهية القرآنية هي خريطة الفصل عن المعصية، والوصل بالطاعة، وبين الفصل والوصل تتجلّى معاني الصدق والتقوى.
- النيّة: قصد الفعل امتثالاً وقربة، وقيمة العمل في المنطق الإلهي ليس في رقميّته خارجاً وإنّما في طبيعة نيّته، وعليها تترتّب النتائج.
- النيّة هي أصل العمل وأساسه، والعمل فرعها، وقيمة النيّة بالنسبة للعمل نفسه هي عين قيمة الفرع بالنسبة للأصل.
- صاحب النيّة الصادقة صاحب القلب السليم، وصاحب القلب السليم طاهر النيّة.
- لا بأس بتداخل النوايا الصالحة، وإنّما البأس في اجتماع النوايا المتعارضة.
- أفضل طرق إصلاح النيّة هو التعاطي بصدق مع النفس، وتعويدها على ذلك، مع المراقبة؛ لأنّها عمل وقائيّ لحفظ النيّة من الشوب.
- الشتات في نيّة العبادة سببه هو عدم التعرّف على واقعية: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾.
- أوّل خطوة لتصفية النيّة في غير العبادات هو التركيز على جهة واحدة، وغضّ الطرف عن الجهات الأخرى، ولابدّ من عدم اليأس من الإخفاق.
- التأمل من أشرف العبادات، والتفكّر هو نفس التأمّل في المقام.
- وحدة النيّة وحدة باطنية، وشتاتها باطنيّ، وإصلاحها استقرار باطنيّ.
- مجالس الغفلة هي الكينونة مع الأغيار بما لا ينفع في دين ودنيا وآخرة.
- مجالس الغفلة تطلب الأغيار، وأغيارها نفسية باطنية، وغيرية ظاهرية.
- مجالس الغفلة مع الأغيار الظاهرية ارتكاب حرام وشبهات وإسراف.

- مجالس الأغيار الباطنية تُعقد مع الأهواء والأوهام والأماني الضالّة.
- أحلام اليقظة تفترس الذاكرة ولا تُبقي معلماً فيها إلّا وسخّرته لأبطالها.
- أهمّ أسباب الانسياق إلى مجالس الغفلة: الغفلة عن الموت، والفراغ القاتل.
- الخداع النفسي هو الفاعل الأساسي في تجنيد الخواطر الباطنية.
- مجالس الغفلة مقبرة العلم والعمل والفضيلة والصدق والكمال.
- من خسائر مجالس الغفلة والبطّالين: الخروج من رضوان الله إلى سخطه، وإماتة القلب، ووراثة الهمّ، واقتراف المعاصي، والتحاسد وزرع العداوة.
- الصدق حصن وقائيّ من سموم مجالس الغفلة والبطالين.
- مساجد الطاعة مدارس القرب، ومجالس الغفلة اندراس الفضيلة والكمال.
- مجالس العلم للحياة واليقظة، ومجالس البطّالين للموت والغفلة.
- الشهامة تدلُّ على الذكاء، والجَلَد، والحرص على الأعمال العظام، وهي من أفراد علوّ الهمة، ومن ثمراتها إشاعة المحبّة وإزالة العداوة.
- الشجاعة ملكة انقياد القوّة الغضبية للعقل، وثبات وصمود عند المواجهة.
- ليست الشجاعة غياب الخوف، وإنّما التغلّب عليه في مواقف الحياة، وهي وإن كانت جبلّية إلّا أنّها ممكنة الاكتساب مع التصبّر والثبات.
- كان النبي صلّى الله عليه وآله يغرس الشجاعة في القلوب غرساً، ويدفع لها دفعاً.
- بالاستعداد للموت تنقشع ظلمة الجبن، ويُشرق القلب بالإقدام والشجاعة.
- أكثر العوامل المؤثّرة في تحقيق ملكة السخاء هو الاتصاف بالزهد.

- واقعية السخاء في المبادرة، فيكون البذل لمستحقّيه دون انتظار سؤالهم.
- للسخاء آثار اجتماعية، كجلب المحبّة، وستر العيوب، وترك الأثر الطيّب والذكرى الجميلة، وتوفير حصانة للنفس والمال والعرض.
- الأسخياء هم الذين ينفقون من أموالهم الزكيّة، لا من الأموال المنهوبة.
- لا يخلو إنسان من مرتبة من مراتب الشهامة والشجاعة والسخاء، ولكنّها قد تكون دانية أو متوسّطة أو عالية أو متعالية.
- السخاء منقذ من الانفراط في المهالك، وطريق لإنقاذ الصدق من التهالك.
- القضاء إحكام أمرٍ وإنفاذه لجهته، وهندسة ووضع حدود البقاء والفناء.
- الإيمان بالقضاء رهن بأركانه، وهي: الإيمان بأنّ الله خالق كلّ شيء، وبإطلاقية علمه وقدرته ومشيئته، والإيمان بالمكتوب في اللوح المحفوظ.
- القضاء المكتوب، بعضه مرتبط باختيار الإنسان وبعضه خارج عن ذلك.
- الرؤية الكونية الإلهية تمتاز بالحركة البقائية، فهي أخروية، بخلاف الرؤية البشرية للحياة فإنّها تمتاز بالحركة المحدودة، فهي دنيوية.
- المتذمّر من الابتلاء خاضع للرؤية البشرية، والمسلّم خاضع للرؤية الإلهية.
- التسليم هو الرضا بالقضاء الإلهي وعدم الاعتراض عليه، وهو لا يتنافى مع العمل وبذل الجهد للخلاص من الابتلاء، بخلاف الاستسلام.
- أهمّ وجوه الرضا بالقضاء: نظر المصالح والمفاسد، ونظر البقاء والزوال، ونظر الإرادة الإلهية والإرادة البشرية، وإثبات العدل ونفي مطلق الظلم.
- الصبر على القضاء يطرد الجزع المحبط للأجر، والرضا يرفع أجر المُبتلى.

- الإيمان بالقضاء طريق واضح للخلاص من جذور الشرك وتبعاته.
- النفرة القلبية من كلّ معصية ارتكبت تعطي فكرة عن التمحّض في الإيمان.
- الرضا بالقضاء الإلهي هو نتيجة طبيعية للصدق مع الله، فالصادقون وحدهم مَن يقع منهم الرضا بالقضاء الإلهي وقدره.
- لغير الراضي بالقضاء مصيبتان، مصيبة الابتلاء نفسه، ومصيبة عدم الرضا بالقضاء، والابتلاء محدود الأثر، وعدم الرضا غير محدود الأثر.
- الصلاة الخاشعة توثّق العلاقة بالله، وتجتثّ جذور عدم الرضا بالقضاء.
- المداراة مرتبة من مراتب الصدق وليست من الكذب بشيء، وهي وسيلة عقلائية لحفظ المعاملة مع الناس من الشطط.
- السَّمَاحَة سلاسة وسهولة، وهي بذل ما لا يجب تفضّلاً، وتجاوز الأخطاء.
- العفو تجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، وكفّ الضرر مع القدرة.
- العفو مقارب للصفح في معناه، إلّا أنّ الصفح أبلغ وأسمى من العفو، فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، فلا يترك المعاتبة أو الغضب.
- من الآثار الاجتماعية للعفو تضييق دائرة الخلاف وإطفاء نائرة الضغائن.
- هنالك دوائر كمالية مُغلقة لا ينفذ إليها الفاقد إلّا بوسيلة الدعاء.
- دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، سلوك نبيل يكشف عن عمق الصدق.
- المداراة والسماحة والعفو والدعاء تكشف عن صدق في المعاملة مع الناس.

التوصيات

- الصمت الطويل، والتأمّل العميق، وسيلتان أوليتـان للمعـارف الحقّـة، فضلاً عن كونهما طريقين لطهارة القلب، وتزكية النفس، وهذا ما يجعـل التوصية بهما أمراً تفرضه الحاجة المعنوية.
- لاسـتيعاب الـدروس علامـة فارقـة، وهـي حـصول التوجّـه النفـسي لمضامينها، ولذلك لابدّ من التركيز عـلى هـذا النـوع مـن الاسـتيعاب، والذي يُمكن أن نسمّيه بالاستيعاب الواعي والمسؤول.
- كثرة العبادات أمر حسن، ولكنّ اليسير منها مع فضيلة الـصدق يُحـدث طفرة معنوية عظيمة، فالعبادة الصادقة هي العبـادة الخاشـعة، وليـست العبادة الطويلة، أو الكثيرة، فليكن التركيز على واقعية الصدق فيها.
- الاهتمام بالقرآن، قراءةً وحفظاً وفهماً وعملاً، بالقدر الممكن، هو أقـرب السبل للتخلّق به، والتخلّق بالقرآن خلاصته الصدق.
- لابدّ من الابتعاد عن أماكن التهمة، ومواضع السوء، فذلك لا ينـتج إلّا اجترار التبرير ولزوم الكذب، ولا ينبغي المجاملة في ذلك.
- وأخيراً: إذا انقدح في قلبك شيء يدعوك للعمل الـصالح فـسارع إليـه، ولا تدع للتسويف مجـالاً، فالتـسويف هـو المـوت البطـيء لكـلّ كـمال مرجوّ، وما اندثرت الأعمال الصالحة، ولا تغيّبت الكمالات المعنويـة إلّا بسبب معلوم، وهو التسويف، والنفس الأمـارة بالـسوء لا تـتقن شـيئاً أكثر من لغـة التـسويف، ولا شيء أضرّ عـلى الـصدق مـن التـسويف، والوجدان شاهد على ذلك، وحاضر.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع (الأثر التربوي والأخلاقي)، للدكتور محمد حسن سبتان، كليّة الشريعة في جامعة الملك خالد، ١٤٢٧ هـ، السعودية.

٣. الإحكام في أُصول الأحكام، علي بن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الجيل، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

٤. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٥. الاختصاص، للشيخ المفيد محمد بن النعمان العكبرى البغدادي (ت: ٤١٣ هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، رتّب فهارسه: محمود الزرندي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.

٦. الآداب المعنوية للصلاة، للسيد الإمام روح الله الخميني الموسوي، تعريب وتعليق: السيد أحمد الفهري، نشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم.

٧. الأدب المفرد، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ه، بيروت.

٨. الأذكار النووية، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، بيروت.

٩. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (سلسلة مؤلّفات الشيخ المفيد)، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث،

الناشر: دار المفيد للطباعة، قم المقدّسة.

١٠. أُسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير الجزري أبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشافعي، انتشارات إسماعيليان، طهران.

١١. أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولي (ت: ٣٥٣ هـ)، منشور في المكتبة الشاملة.

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، تقديم وتقريظ الدكتور محمد عبد المنعم البري والدكتور عبد العتاح أبو سنة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ، بيروت.

١٣. الأُصول من الكافي، للشيخ المحدّث الثقة أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، قم.

١٤. الاعتقادات، للشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق عصام عبد السيد، الناشر دار المفيد للطباعة والنشر التوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ، قم المقدّسة.

١٥. الأعلام قاموس تراجم، لخير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م، بيروت.

١٦. إقبال الأعمال، للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ هـ، قم المقدّسة.

١٧. الأقطاب الفقهية على مذهب الإمامية، لابن أبي جمهور الإحسائي، تحقيق: الشيخ محمد الحسون، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، مطبعة الخيام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، قم.
١٨. الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر، الناشر: مكتبة الألفين، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م، بنيد القار، الكويت.
١٩. الأمالي، للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، تحقيق علي أكبر الغفاري، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣ هـ، قم.
٢٠. الأمالي، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة، الطبعة الأُولى، قم المقدّسة.
٢١. الأمالي، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، قم.
٢٢. الإنسان الكامل، للشيخ مرتضى مطهَّري، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، الناشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣ هـ، قم.
٢٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، نشر مؤسّسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ، بيروت.
٢٤. البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأُولى، ١٤٠٨ هـ، بيروت.
٢٥. تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام اللغوي محبّ الدين أبي

الفيض محمد مرتضى الحسيني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
٢٦. تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٢٧. التاريخ الكبير، للشيخ المحدّث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ)، الناشر: المكتبة الإسلامية، ديار بكر، بإشراف الدكتور محمد عبد المُعيد خان.
٢٨. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي، دراسة وتحقيق: علي شيري، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأُولى، ١٤١٧ هـ، بيروت.
٢٩. التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدّسة.
٣٠. التحرير و التنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، نشر مؤسّسة التاريخ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت.
٣١. تحف العقول عن آل الرسول، للشيخ الثقة الأقدم أبي محمد الحسن بن علي بن شعبة الحرَّاني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرّسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة.
٣٢. تذكرة الفقهاء (طبعة قديمة)، للعلامة الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الحلّي، من منشورات المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية، مشهد، إيران.
٣٣. التربية الروحية، للمرجع الديني السيد كمال الحيدري، الناشر: دار فراقد، الطبعة الثامنة، ١٤٢٨ هـ، قم.

٣٤. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ، بيروت.

٣٥. التعريفات، للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ، بيروت.

٣٦. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، الرياض، السعودية.

٣٧. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، نشر: مؤسسة التأريخ العربي،١٤٠٥ هـ، بيروت.

٣٨. تفسير القمّي، لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي، تصحيح: السيد طيب الجزائري، نشر: مؤسسة دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة.

٣٩. تفسير نور الثقلين، للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تحقيق: السيد هاشم المحلاتي، نشر: مؤسسة إسماعليان، الطبعة الرابعة، ١٤١٢ هـ، قم المقدّسة.

٤٠. التمحيص، لأبي علي محمد بن همام الإسكافي (ت: ٣٣٦ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدّسة.

٤١. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورَّام)، للورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري، نشر: مكتبة الفقيه، قم المقدّسة.

٤٢. تهذيب الأحكام، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق السيد حسن الخرسان، نشر: دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٩٩٥م، قم.

٤٣. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لأبي علي أحمد بن محمد بن يعقـوب بـن مـسكويه، تحقيـق: قـسطنطين زريـق، نـشر: الجامعـة الأمريكيـة، ١٩٦٦م، بيروت.

٤٤. تهذيب الكمال، لأبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي (ت: ٧٤٣ هـ)، تحقيـق: الـدكتور بـشار عـواد معـروف، النـاشر: مؤسـسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ، بيروت.

٤٥. التوحيد، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، نشر: جماعـة المدرسـين، طبعة ١٣٨٧ هـ، قم.

٤٦. التوقيف على مهمّات التعاريف، للشيخ محمد عبـد الـرؤوف بـن عـلي المناوي المصري (ت: ١٠٣١ هـ)، الناشر: عالم الكتب، القاهرة.

٤٧. ثواب الأعمال، للشيخ الصدوق محمد بن علي بـن الحـسين بـن بابويـه القمي، منشورات الرضي، طبعة ثانية، ١٣٦٨ش، قم.

٤٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميـل العطـار، نـشر: دار الفكر،الطبعـة ١٤١٥ هـ، بيروت.

٤٩. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، تحقيـق وتعلـق: الـسيد محمـد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفـر، منـشورات: مطبعـة الـنعمان، النجف الأشرف.

٥٠. الجامع الصغير في أحاديث البشير النـذير، للإمـام جـلال الـدين عبـد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأُولى، ١٤٠١هـ، بيروت.

٥١. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، بيروت.
٥٢. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، حقّقه وقدّم له: الدكتور رمزي منير بعلبكي، منشورات: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، بيروت؛ منشور في المكتبة الشاملة.
٥٣. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقيّ الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، الناشر: دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، بيروت.
٥٤. الخصال، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدّسة.
٥٥. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي، نشر: دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ، بيروت.
٥٦. دستور معالم الحكم، للفاضل محمّد بن سلامة (ت: ٤٥٤ هـ)، الناشر: مكتبة المفيد، طبع المكتبة الأزهرية، قم.
٥٧. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد المغربي، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، نشر دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٧٩ هـ، مصر.
٥٨. الدعوات، لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧ هـ، قم.
٥٩. ديوان الحلاّج، للحسين بن منصور الحلاّج (ت: ٣٠٩ هـ)، وضع حواشيه وعلّق عليه: محمّد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب

العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، بيروت.

٦٠. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، لمحبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري، عن نسخة دار الكتب المصرية، ونسخة الخزانة التيمورية، عنيت بنشره: مكتبة القدسي لصاحبها حسام الدين القدسي، سنة الطبع: ١٣٥٦ هـ، القاهرة.

٦١. الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني أبي القاسم حسين بن محمد بن المُفضَّل (ت: ٥٦٥ هـ)، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكلّيات الأزهرية، الطبعة الأُولى، ١٣٩٣ هـ، القاهرة.

٦٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم حسين بن محمد بن المُفضَّل الراغب الأصفهاني (ت: ٥٦٥ هـ)، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأُولى، ١٣٩٣ هـ، القاهرة.

٦٣. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بِن هوازن القُشيري النيشابوري، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، الناشر: بيدارفرد، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ ش، قم.

٦٤. رسالة الولاية، للسيّد العلامة محمّد حسين الطباطبائي، مطبوع ضمن كتاب طريق عرفان، ترجمة وشرح رسالة الولاية، نشر: بخشايش، الطبعة الرابعة، ١٣٨٢ ش، قم المقدّسة.

٦٥. رسائل الشريف المرتضى، للسيد الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي، تقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، الناشر: منشورات دار القرآن الكريم، طبع: مطبعة الخيام، ١٤٠٥ هـ، قم.

٦٦. رسائل الشهيد الثاني، للشهيد الثاني زين الدين علي الجبعي العاملي، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، نشر: مؤسسة بوستان كتاب، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢هـ، قم المقدّسة.

٦٧. الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا، منشور في: موقع جامع الحديث، والمكتبة الشاملة.

٦٨. روضة الواعظين، للشيخ الشهيد العلامة محمد بن الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨ هـ)، تقديم: العلّامة السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الرضي، قم.

٦٩. سبل السلام (شرح بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني)، للسيد محمد بن إسماعيل الكحلاني (ت: ١١٨٢هـ)، مراجعة وتعليق: محمد عبد العزيز الخولي، طبع ونشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الرابعة، ١٩٦٠م، القاهرة.

٧٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، بيروت.

٧١. سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٧٢. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، باب في النصحية، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، بيروت.

٧٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، نشر: دار الفكر، بيروت.

٧٤. سنن الدارمي، للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت: ٢٥٥ هـ)، نشر: مطبعة الاعتدال، دمشق.

٧٥. السنن الكبرى، للمحدّث الحافظ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، نشر: دار الفكر، بيروت.

٧٦. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣)، تحقيق: الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، بيروت.

٧٧. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، للمحدّث أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٣٠ م، بيروت.

٧٨. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، بإشراف: شعيب الارنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤١٣ ه، بيروت.

٧٩. السيرة النبوية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة، طبعة: ١٣٩٥ ه، بيروت.

٨٠. سيرة النبي صلّى الله عليه وآله (سيرة ابن هشام)، لأبي عبد الله بن إسحاق بن يسار المطّلبي (ت: ١٥١ هـ): هذبها: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٨ هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة محمد على صبيح وأولاده،

الطبعة الأولى، ١٣٨٣ هـ، القاهرة.

٨١. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تعليق: الميرزا أبي الحسن الشعراني، نشر: مؤسسة التأريخ العربي، الطبعة الثانية المصحَّحة، ١٤٢٩ هـ، بيروت.

٨٢. شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار، للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

٨٣. شرح صحيح مسلم، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، نشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

٨٤. شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، للشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، تصحيح وتعليق: مير جلال الدين الحسيني الآرموي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، الطبعة الأولى، إيران.

٨٥. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، نشر: دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

٨٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد بن عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ، الطبعة الرابعة، بيروت.

٨٧. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، بيروت.

٨٨. صحيح ابن خزيمة، لابن خزيمة السلمي النيسابوري، تحقيق: محمد

مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، بيروت.
٨٩. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، الناشر: دار الجيل، بيروت.
٩٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نشر دار الفكر، بيروت.
٩١. الصحيفة السجّادية، للإمام علي زين العابدين عليه السلام، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي، بإشراف: محمد علي الأبطحي، الطبعة الأُولى، ١٤١١هـ، قم.
٩٢. صريح السنّة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدر يوسف معتوق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، الكويت.
٩٣. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، نشر دار صادر، بيروت.
٩٤. عدّة الداعي ونجاح الساعي، للشيخ أحمد بن فهد الحلي، تحقيق: أحمد الموحدي القمي، الناشر: مكتبة الوجداني، قم.
٩٥. العزلة، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت: ٣٨٨ هـ)، منشور في المكتبة الشاملة.
٩٦. العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (ت: ٣٢٧ هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، منشور في المكتبة الشاملة.
٩٧. علل الشرائع، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، الناشر: المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦م، النجف الأشرف.
٩٨. العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق وتخريج الدكتور وصي الله بن محمد عباس، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٩٩. عوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق: البحّاثة الشيخ مجتبى العراقي، نشر: مطبعة سيد الشهداء، الطبعة الأُولى، ١٤٠٣ هـ، قم.

١٠٠. عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: حسين الأعلمي، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأُولى، ١٤١٤هـ، بيروت.

١٠١. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (السيرة النبوية)، محمد بن عبد الله بن يحيى بن سيد الناس (ت: ٧٣٤ هـ)، الناشر: مؤسسة عزّ الدين، سنة الطبع: ١٤٠٦ هـ، بيروت.

١٠٢. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، نشر دار الحديث، الطبعة الأُولى، ١٩٩٧م، قم.

١٠٣. غرر الحكم ودرر الكلم، جمع: عبد الواحد الآمدي، تحقيق: السيد جلال الدين الآرموري، نشر: جامعة طهران، الطبعة الثالثة، إيران.

١٠٤. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨ م، بيروت.

١٠٥. الفتوحات المكّية، للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، الضبط والتصحّح والفهرسة: أحمد شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ، بيروت.

١٠٦. الفروسية، لابن قيم الجوزية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيّوب الزرعي (ت: ٧٥١ هـ)، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، الناشر: دار الأندلس، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، حائل، السعودية.

١٠٧. الفروع من الكافي، للشيخ المحدّث محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ، قم.

١٠٨. الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، تحقيق ونشر: مؤسسّة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، قم المقدّسة.

١٠٩. فلاح السائل ونجاح المسائل، للسيد رضي الدين علي بن موسى جعفر بن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، تحقيق: غلام حسن المجيدي، الناشر: مؤسسة بوستان كتاب (مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ، قم.

١١٠. في ظلال نهج البلاغة، للشيخ محمد جواد مغنية. (منشور في المكتبة الشاملة).

١١١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤف المناوي، تحقيق: أحمد عبد السلام، الناشر: نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ، بيروت.

١١٢. القواعد والفوائد في الفقه والأصول والعربية، للشهيد الأوّل أبي عبد الله محمد بن مكّي العاملي (ت: ٧٨٦ هـ)، تحقيق: الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم، الناشر: مكتبة المفيد، قم.

١١٣. كامل الزيارات، للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمّي (ت: ٣٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، في المطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧، إيران.

١١٤. الكامل، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥ هـ)، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، ويحيى مختار غزاوي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ، بيروت.

١١٥. كتاب الدعاء، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، بيروت.

١١٦. كتاب السنّة، عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني (ت: ٢٨٧ هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣ ه، بيروت.

١١٧. كتاب الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا (ت: ٢٨١ هـ)، التحقيق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ، بيروت.

١١٨. كتاب العقل وفضله، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي (ت: ٢٨١ هـ)، تحقيق: لطفي محمد الصغير، الناشر: دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، الرياض.

١١٩. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ، إيران.

١٢٠. كتاب المسند، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢١. كتاب الموطّأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، بيروت.

١٢٢. كشف الخفاء، للمحدّث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني (ت: ١١٦٢هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، بيروت.

١٢٣. كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ت: ٦٩٣ هـ)، الناشر: دار الأضواء، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ، بيروت.

١٢٤. كشف المحجّة لثمرة المهجة، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني، الناشر: المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠ هـ، النجف.

١٢٥. الكلّيات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيّوب

بن موسى الحسيني الكفوي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت.

١٢٦. كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، للعلّامة علاء الدين علي المتّقي الهندي، تحقيق: الشيخ بكري الحياني والشيخ صفوة السقا، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢٧. كنز الفوائد، للمحدّث العلامة أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (ت: ٤٤٩ هـ)، الناشر: مكتبة المصطفوي، الطبعة الثانية، ١٤١٠ هـ، قم.

١٢٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، بيروت.

١٢٩. لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، منشورات: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٩٧١ م، بيروت.

١٣٠. مجالس التذكير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق وتعليق: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ، بيروت.

١٣١. مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين البحراني (ت: ١٠٨٥ هـ)، تنظيم: محمود عادل، تحقيق السيد أحمد الحسيني، نشر: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ، طهران.

١٣٢. مجمع البيان في تفسير القرآن، لأمين الإسلام أبي الفضل بن الحسن الطبرسي، نشر: مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، بيروت.

١٣٣. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، نشر: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨م، بيروت.

١٣٤. المجموع (شرح المهذَّب)، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦ هـ)، نشر: دار الفكر، بيروت.
١٣٥. محاسبة النفس، للشيخ العلّامة الثقة تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، نشر: مؤسسة قائم آل محمد عليه السلام، الطبعة الأُولى، ١٤١٣هـ، قم المقدّسة.
١٣٦. المحاسن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، نشر: مؤسسة الأعلمي، ١٤٢٩ هـ، طهران.
١٣٧. المحجّة البيضاء، للحكيم محسن الفيض الكاشاني، صحّحه وعلّق عليه: الأُستاذ علي أكبر غفاري، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ، قم.
١٣٨. مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي، منشورات: المطبعة الحيدرية، الطبعة الأُولى، ١٩٥٠م، النجف الأشرف.
١٣٩. المخصّص، للشيخ ابن سيده أبي الحسن على بن إسماعيل الأندلسي (ت: ٤٥٨ هـ)، طبعة بولاق، مصر، ومنشور في المكتبة الشاملة.
١٤٠. المدرسة القرآنية، للسيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سرّه، إعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، نشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصّصية للشهيد الصدر قدس سرّه، الطبعة الثانية المحققة، ١٤٢٤ هـ، قم.
١٤١. المزار، للشهيد الأوّل محمد بن مكي العاملي (ت: ٧٨٦ هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ ه، قم.
١٤٢. المزار، للشيخ المفيد محمد بن النعمان، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، نشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، طبع قم المقدّسة.

١٤٣. مستدرك الوسائل، للمحقِّق الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، قم المقدّسة.

١٤٤. مستدرك سفينة البحار، للشيخ العلامة علي النمازي الشاهرودي، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، طبعة ١٤١٩هـ، قم المقدّسة.

١٤٥. المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ، الناشر: دار المعرفة، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت.

١٤٦. المستطرف في كلّ فنّ مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م، بيروت.

١٤٧. مستطرفات السرائر، محمد بن إدريس الحلي (ت: ٥٩٨ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ، قم.

١٤٨. مسكّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، للشهيد الثاني الشيخ زين الدين علي بن أحمد الجبعي العاملي (ت: ٩٦٥ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، قم.

١٤٩. مسند أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، نشر: دار صادر، بيروت.

١٥٠. مسند الحميدي، للإمام الحافظ عبد الله بن الزبير الحميدي (ت: ٢١٩هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ المحدث المحقق الشيخ حبيب الرحمن العظمى، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨م، بيروت.

١٥١. مسند الشهاب، للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي (ت: ٤٥٤ هـ)، حقّقه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ، بيروت.
١٥٢. مصباح الشريعة، المنسوب للإمام جعفر الصادق عليه السلام، نشر مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ ه، بيروت.
١٥٣. مصباح المتهجّد، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، الناشر: مؤسسة فقه الشيعة، محفوظة الطبعة الأولى ١٤١١ ه، بيروت.
١٥٤. مصنّف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت: ٢٣٥ هـ)، ضبطه وعلّق عليه: الأستاذ سعيد محمد اللحام، نشر: دار الفكر، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ، بيروت.
١٥٥. المصنّف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي، بيروت.
١٥٦. معاني الأخبار، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، صحّحه وعلّق عليه: الأُستاذ علي أكبر الغفاري، نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ، قم المقدّسة.
١٥٧. المعجم الصغير، للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت: ٣٦٠ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥٨. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، للدكتور أحمد فتح الله، تقديم: الدكتور عبد الهادي الفضلي، الناشر: مطبعة المدوخل، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، الدمام، السعودية.
١٥٩. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد الحميد

السلفي، طبع دار إحياء التراث العربي، نشر: مكتبة ابـن تيميـة، الطبعـة الثانية، القاهرة.

١٦٠. المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيـات، حامـد عبـد القادر، محمد النجـار، تحقيـق: مجمـع اللغـة العربيـة، انتـشارات نـاصر خسروي، طهران.

١٦١. معجم لغة الفقهاء، تصنيف: الدكتور محمد قلعجـي والـدكتور حامـد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنـشر والتوزيـع، الطبعـة الأولى، ١٩٨٨م، بيروت.

١٦٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فـارس بـن زكريـا، تحقيـق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هــ، النـاشر: اتحـاد الكتـاب العرب، الطبعة: ٢٠٠٢م.

١٦٣. معراج السعادة، للشيخ أحمد بن الشيخ مهدي النراقي، الطبعة الحجرية.

١٦٤. معرفة الله، للمرجع الديني الـسيد كـمال الحيـدري، نـشر: دار فراقـد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٨هـ، قم المقدّسة.

١٦٥. مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين محمد الرازي، (طبعـة الأحـد عـشر جلداً)، منشورات: محمد علي بيضون، الكتب العلميـة، الطبعـة الأولى، ١٤٢١هـ، بيروت.

١٦٦. المفردات في ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صـفوان عـدنان الـداوودي، انتـشارات ذوي القربـى، الطبعـة الثالثـة، ١٤٢٤هـ، قم.

١٦٧. المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين محمد بن عبد الـرحمن الـسخاوي المـصري (ت: ٩٠٢ هــ)، النـاشر: مكتبـة

الخانجي، مصر، ومنشور أيضاً في المكتبة الشاملة.
١٦٨. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: بسّام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ، قبرص.
١٦٩. مكارم الأخلاق، للحافظ ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
١٧٠. مكارم الأخلاق، للشيخ رضي الدين الحسن بن الفضل الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٩٧٢م، قم.
١٧١. من الخلق إلى الحقّ (رحلات السالك في الأسفار الأربعة)، للمرجع الديني السيّد كمال الحيدري، بقلم طلال الحسن، نشر: دار فراقد، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦هـ، قم المقدّسة.
١٧٢. من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: جامعة المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة.
١٧٣. منازل السائرين، لأبي إسماعيل عبد الله الأنصاري، شرح كمال الدين عبد الرزاق القاساني، تحقيق وتعليق: مُحسن بيدارفر، انتشارات بيدار، الطبعة الثانية، ١٣٨١ ش، قم المقدّسة.
١٧٤. مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، نشر: مطبعة الحيدرية، ١٣٧٦ هـ، النجف.
١٧٥. منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي (ت: ١٠١١ هـ)، تحقيق: رضا المُختاري، نشر: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدّسة.

١٧٦. المهذّب البارع في شرح المختصر النافع، أحمد بن محمد بن فهد الحلّي (ت: ٨٤١ هـ)، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤٠٧ هـ، قم.

١٧٧. الميزان في تفسير القرآن، للسيد العلامة محمد حسين الطباطبائي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدَّسة.

١٧٨. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، للشيخ الجليل الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٠٨ هـ، قم المقدّسة.

١٧٩. نظم درر السمطين، محمد بن يوسف الزرندي الحنفي، من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة، ١٩٥٨م، النجف.

١٨٠. النهاية في غريب الحديث، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناجي، نشر: مؤسسة إسماعليان، الطبعة الرابعة، ١٣٦٤ ش، قم المقدّسة.

١٨١. نهج البلاغة، خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع: الشريف الرضي، تحقيق: الشيخ محمد عبده، نشر: دار المعرفة، بيروت.

١٨٢. نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني ، نشر: دار الجيل، ١٩٧٣م، بيروت.

١٨٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ الفقيه المحدّث محمد بن الحسن الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، قم المقدّسة.

١٨٤. وفيات الأعيان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان، نشر: مؤسّسة الشريف الرضي، طبعة ١٣٦٤ ش، قم المقدّسة.

الفهرس

وقفات تأمّلية ٥
المقدّمة ٩
هذا الكتاب ١٠
تنبيه.. ١١
دروس الحلقة ١٣
الدرس الأوّل: الصدق ... هويّته ومراتبه وعلاماته ١٥
أهداف الدرس ١٧
تمهيد... ١٧
تحديد المراد من الصدق ١٧
فضيلة الصدق ١٨
حسن الصدق عقلاً ونقلاً ١٩
الصدق مزيّة الأنبياء عليهم السلام.................................... ٢١
عطف الصديّقين على الأنبياء عليهم السلام ٢٣
الصدق وسيلة الإخلاص والارتقاء ٢٤
مراتب الصدق ٢٥
الحيثيّة الأولى: الفطرة والوراثة والكسب ٢٥
الحيثيّة الثانية: النيّة والقول والفعل ٢٨
الحيثية الثالثة: ظرفيّة المخاطب والزمان والمكان....................... ٢٩
الحيثية الرابعة: المداراة والمداهنة..................................... ٣٠
الحيثية الخامسة: النفس، الله، المجتمع ٣٢
علامات الصدق ٣٣

ثمرات الصدق ٣٥
كلمات على الطريق ٣٥
خلاصة الدرس ٣٦
مذاكرة ٣٧
الدرس الثاني: مكامن الصدق وموارده ٣٩
أهداف الدرس ٤١
تمهيد ٤١
حضور الصدق في تفاصيل الحياة ٤١
مكامن الصدق ٤٢
١. الصدق في النيّة والقصد والإرادة ٤٣
٢. الصدق في القول ٤٥
٣. الصدق في الأفعال ٤٧
٤. الصدق في العزم والوفاء به ٤٨
٥. واقعية الهدف في طلب العلم ٥٠
٦. واقعيّة الصدق في طلب الدنيا أو الآخرة ٥٢
٧. الصدق في مقامات الدين ٥٣
٨. مصداقيّة طلب الخدمة وحبّ الرئاسة ٥٤
٩. مصداقية الولاء لله تعالى ولرسوله صلّى الله عليه وآله ٥٦
١٠. مصداقية حبّ الأولياء والصالحين ٥٧
١١. مصداقية حبّ الفقراء والمساكين ٥٨
سبل الوصول إلى ملكة الصدق ٦٠
كلمات على الطريق ٦١
خلاصة الدرس ٦٢

مذاكرة ٦٥
الدرس الثالث: الصدق مع (النفس، الله، الناس) **٦٧**
أهداف الدرس ٦٩
تمهيد ٦٩
أنواع الصدق... ٧٠
النوع الأوّل: الصدق مع النفس.. ٧٠
النفس بين الاستجابة والتمنّع ٧٣
النوع الثاني: الصدق مع الله تعالى....................................... ٧٥
العطايا الإلهية لقاء الصدق مع الله تعالى ٧٨
النوع الثالث: الصدق مع الناس ٧٩
الثقة المتبادلة وليدة الصدق مع الناس ٨٠
النوع الرابع: صدق الحديث ٨١
مع الرسول صلّى الله عليه وآله ٨٥
صدق الحديث بوّابة الملكوت ٨٦
النوع الخامس: صدق المعاملة.. ٨٧
كلمات على الطريق ٨٧
خلاصة الدرس ٨٨
مذاكرة.. ٩٠
الدرس الرابع: معوّقات الصدق وأزماته الحادّة **٩١**
أهداف الدرس.. ٩٣
تمهيد... ٩٣
أوّلاً: أزمة مواجهة النفس (أزمة الذات) ٩٥
الكفّ عن سوء الظنّ ٩٦

البيان الأوّل: أهمّية رصد الأشياء الجميلة ودوره في المعالجة..... ٩٧
البيان الثاني: وسائل تدريبية.................................. ٩٩
البيان الثالث: أهمّية التغافل ودوره في معالجة سوء الظنّ ١٠٠
الكفّ عن التخيّلات الفاسدة..................................١٠٤
التحذير من طائر الخيال ١٠٧
الكفّ عن الآمال والأماني......................................١٠٨
ثانياً: أزمة مواجهة الأقرباء (أزمة الأغيار العسيرة) ١١٠
ثالثاً: أزمة مواجهة الأصدقاء (أزمة الأغيار الصعبة) ١١٣
رابعاً: أزمة مواجهة الغرباء (أزمة الأغيار السهلة)....................١١٣
نتائج متوقّعة ١١٤
كلمات على الطريق ١١٥
خلاصة الدرس ١١٦
مذاكرة...١١٨
الدرس الخامس: ثمرات الصدق (الدينية والدنيوية والآخروية) ١٢١
أهداف الدرس..١٢٣
تمهيد...١٢٣
البعد الأوّل: الثمرات الدينية للصدق ١٢٤
الثمرات المتعلّقة ببناء الشخصية الإيمانية ١٢٤
الثمرات المتعلّقة بعلاقتنا بالله تعالى ١٢٦
الثمرات العبادية ١٢٧
البعد الثاني: الثمرات الدنيوية للصدق ١٢٧
الأولى: البركة والنموّ في المال والحلال............................١٢٧
الثانية: البهاء وحُسن المنظر ١٢٨

الثالثة: قبول التوبة والتوفيق للخير والصلاح....................١٢٨
الرابعة: الصدق عماد الحجّة وقوّة لها ١٢٩
الخامسة: إحراز ثقة الناس وثنائهم ١٢٩
السادسة: التوفيق لحسن العاقبة والخاتمة..........................١٣٠
البعد الثالث: الثمرات الأخروية للصدق ١٣١
ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بنعيم الجنّة..........................١٣١
ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بنيل منزلة الشهداء.................١٣٢
ثمرة الصدق الأخروية المتعلّقة بمعرفة الله تعالى ١٣٢
كلمات على الطريق ١٣٣
خلاصة الدرس ١٣٣
مذاكرة..١٣٥
الدرس السادس: علاقة الصدق بالإيمان والتغيير والمشاعر................١٣٧
أهداف الدرس..١٣٩
تمهيد..١٣٩
الإيمان وضرورته في حياة الإنسان ١٤٠
علاقة الصدق بالإيمان..١٤١
التغيير ... أقسامه ومقوّماته..١٤١
التغيير في القرآن الكريم والسنّة الشريفة................................١٤٤
علاقة الصدق بالتغيير ١٤٦
النزعة الماضوية أكبر معوّقات التغيير ١٤٧
التغيير إرادة وعلم وعمل..١٤٧
علاقة الصدق بالمشاعر والعواطف.......................................١٤٨
علاقة المشاعر بالتغيير ١٤٨

كلمات على الطريق ١٤٩
خلاصة الدرس ١٥٠
مذاكرة..١٥٢
الدرس السابع: علاقة الصدق بالإصلاح والنصر والمستقبل ١٥٣
أهداف الدرس ١٥٥
تمهيد..١٥٥
معنى الإصلاح وشروطه وأقسامه ١٥٥
علاقة الصدق بالإصلاح ١٥٨
الإصلاح في النصوص القرآنية وعلاقته بالصدق ١٥٩
العلاقة بين التغيير والإصلاح..١٦٠
علاقة الصدق بالنصر ١٦١
معنى النصر وشروطه..١٦١
بيان علاقة الصدق بالنصر ١٦٤
علاقة الصدق بالمستقبل ١٦٤
المستقبل وأقسامه ١٦٤
بيان علاقة الصدق بالمستقبل..١٦٥
كلمات على الطريق ١٦٧
خلاصة الدرس ١٦٧
مذاكرة..١٦٩
الدرس الثامن: الكذب وأسبابه..١٧١
أهداف الدرس ١٧٣
تمهيد..١٧٣
آفة الكذب ١٧٤

علاقة الكذب بالشرك وسوء الظنّ.................................١٧٥
الكذب محق للإيمان...١٧٦
أنواع الكذب ومصاديقها...١٧٧
النوع الأوّل: الكذب على الله تعالى..............................١٧٧
النوع الثاني: الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله............١٧٨
النوع الثالث: الكذب على الآباء والأولاد........................١٧٨
النوع الرابع: الكذب على الأقرباء والأصدقاء....................١٧٩
النوع الخامس: الكذب على الناس...............................١٨٠
بشاعة الكذب بشكل عامّ في التصوير القرآني والروائي..............١٨٢
بشاعة قول الزور في التصوير القرآني والروائي.....................١٨٤
دفع توهّم...١٨٥
خطورة الكذب المتبادل بين الآباء والأبناء........................١٨٦
خطورة الاستهانة بالكذب.......................................١٨٧
أسباب الكذب المتواصل...١٨٨
١. النظر للنفس من الخارج لا الداخل.............................١٨٨
المعالجة: العودة للذات...١٨٨
٢. الجبن والخوف من العقوبة.....................................١٨٨
المعالجة: الكشف عن خلفيات الوقوع في الكذب...................١٨٩
٣. الثرثرة وكثرة اللغط والكلام.....................................١٨٩
المعالجة: ثقافة الصمت والاقتصاد في الكلام.......................١٩٠
٤. العجب بالنفس وإخفاء العيوب بالمحاسن المصطنعة...............١٩١
المعالجة: ملء الفراغات بالقدر الممكن............................١٩١
٥. دفع الشبهات..١٩٢

المعالجة: لزوم الصدق أو الصمت ١٩٢
٦. العدوى...١٩٢
المعالجة: الوقاية خير من العلاج ١٩٣
٧. الجهل بعواقب الكذب ١٩٣
المعالجة: التفقّه في الدين وأخلاقياته ١٩٣
كلمات على الطريق ١٩٤
خلاصة الدرس ١٩٥
مذاكرة...١٩٧
الدرس التاسع: الصدق مفتاح التقوى، والتقوى مفتاح الملكوت..........١٩٩
أهداف الدرس..٢٠١
تمهيد..٢٠١
معنى التقوى...٢٠١
التقوى في (القول والفعل)، وفي (الظاهر والباطن) ٢٠٢
علاقة التقوى في التمحّض في العبودية لله تعالى....................٢٠٥
الصدق مفتاح التقوى ٢٠٨
التقوى مفتاح الملكوت ٢٠٩
الصدق هويّته ملكوتية ٢١١
كلمات على الطريق ٢١٢
خلاصة الدرس ٢١٣
مذاكرة...٢١٤
الدرس العاشر: مقوّمات إصلاح النيّة وعلاقة ذلك بالصدق...............٢١٧
أهداف الدرس..٢١٩
تمهيد..٢١٩

معنى النيّة ٢٢٠
الأعمال بين النيّة المعنوية والرقمية الخارجية.......................... ٢٢٠
علاقة النيّة بالشاكلة ٢٢٣
النيّة هويّة العمل وصورته الباطنية ٢٢٥
القلب السليم صنيعة النيّة الصادقة...................................... ٢٢٧
تنبيهات حول إصلاح النيّة ٢٢٩
مقوّمات إصلاح النيّة.. ٢٣٠
آثار إصلاح النيّة ٢٣٥
مدخلية الصدق في إصلاح النيّة... ٢٣٦
كلمات على الطريق ٢٣٦
خلاصة الدرس ٢٣٧
مذاكرة.. ٢٤٠
الدرس الحادي عشر: الابتعاد عن مجالس الغفلة وقاية للصدق ٢٤٣
أهداف الدرس ٢٤٥
تمهيد.. ٢٤٥
تحديد المراد من الغفلة والغافلين ٢٤٦
تحديد المراد من مجالس الغفلة ٢٤٦
أقسام مجالس الغفلة ٢٤٧
المحور الأوّل: مجالس الغفلة مع الأغيار الظاهرية.................... ٢٤٨
أوّلاً: مجالس الغفلة التي تشتمل على ارتكاب الحرام ٢٤٨
ثانياً: مجالس الغفلة التي تشوبها الشبهات....................... ٢٤٨
ثالثاً: مجالس الغفلة التي تشتمل على الإسراف في المباحات.... ٢٤٩
المحور الثاني: مجالس الغفلة مع الأغيار الباطنية................... ٢٥١

أوّلاً: الخواطر المحرَّمة ٢٥١
ثانياً: الخواطر المكروهة ٢٥٢
ثالثاً: الخواطر المحلَّلة ٢٥٢
أسباب الانسياق إلى مجالس الغفلة ٢٥٤
الخداع النفسي والخداع الغيري..٢٥٦
علاقة الفراغ بمجالس الغفلة ٢٥٧
مجالس الغفلة نافذة الهروب من المسؤوليات ٢٥٨
مجالس الغفلة مصيدة القضاء على الصدق وإطفاء نورانيته ٢٥٨
مخاطر الغفلة ومجالس الغفلة والبطّالين ٢٥٩
وقائية الصدق من ظلمة الغفلة ومجالس البطّالين ٢٦٠
العزلة أولى من ارتياد مجالس الغفلة والبطّالين ٢٦١
الهروب من مجالس الغفلة إلى الله تعالى..٢٦٣
عدم اليأس من الخلاص من الغفلة ومجالسها ٢٦٤
الرصد القرآني لمجالس الغفلة..٢٦٥
الرصد الروائي لمجالس الغفلة ٢٦٦
الرصد الأخلاقي لمجالس الغفلة..٢٦٧
التنافي بين مجالس الغفلة ومساجد الطاعة..٢٦٨
مجالس العلم والذكر..٢٦٩
كلمات على الطريق ٢٧٤
خلاصة الدرس ٢٧٦
مذاكرة..٢٧٩
الدرس الثاني عشر: علاقة الشهامة والشجاعة والسخاء بالصدق..........٢٨١
أهداف الدرس..٢٨٣

تمهيد...٢٨٣
معنى الشهامة وفضيلتها..٢٨٤
معنى الشجاعة وفضيلتها.......................................٢٨٦
القدوة الشجاع يغرس الشجاعة في قلوب أتباعه ٢٨٩
ثقافة الموت تملأ القلب بالشجاعة...................................٢٩١
معنى السخاء وفضيلته ٢٩٢
علاقة السخاء بالإيمان واليقين والهمم العالية.........................٢٩٥
الآثار الاجتماعية للشهامة والشجاعة والسخاء ٢٩٥
السخيّ في الطاعة والسخيّ في المعصية ٢٩٧
الرصد القرآني للشهامة والشجاعة والسخاء ٢٩٨
الرصد الروائي للشهامة والشجاعة والسخاء.............................٢٩٩
السخاء صفة الوسطية والاعتدال بين التبذير والبخل.......................٣٠١
مراتبية الشهامة والشجاعة والسخاء ٣٠١
علاقة الشهامة بالصدق..٣٠٢
علاقة الشجاعة بالصدق ٣٠٣
علاقة السخاء بالصدق ٣٠٣
كلمات على الطريق ٣٠٤
خلاصة الدرس ٣٠٤
مذاكرة...٣٠٦
الدرس الثالث عشر: الرضا بالقضاء تمحّض الإيمان وترجمة للصدق.......٣٠٩
أهداف الدرس ٣١١
تمهيد...٣١١
معنى القضاء وأركانه..٣١٢

تصوير القضاء الإلهي..٣١٤
القضاء الإلهي بين التسليم والاستسلام ٣١٧
معنى الرضا بالقضاء والوجوه المتصوّرة فيه ٣١٨
الوجه الأوّل: نظر المصالح والمفاسد (هويّة المقاصد) ٣١٩
الوجه الثاني: نظر البقاء والزوال ٣١٩
الوجه الثالث: طلب الدنيا وطلب الآخرة........................٣٢٠
الوجه الرابع: نظر الإرادة الإلهية والإرادة البشرية ٣٢٠
الوجه الخامس: إثبات العدل والتفضّل ونفي مطلق الظلم ٣٢٢
الرضا القلبي والرضا العملي..٣٢٥
الرضا بالقضاء والصبر عليه ٣٢٥
فلسفة الرضا بالقضاء الإلهي.......................................٣٢٦
معنى التمحّض في الإيمان..٣٢٩
علاقة الرضا بالقضاء بالتمحّض في الإيمان ٣٣٠
علاقة الرضا بالقضاء بالصدق......................................٣٣٠
آثار الرضا بالقضاء الإلهي في الدنيا والآخرة.........................٣٣١
آثار عدم الرضا بالقضاء الإلهي في الدنيا والآخرة....................٣٣١
سبل الوقاية والخلاص من عدم الرضا بالقضاء الإلهي ٣٣٢
كلمات على الطريق ٣٣٣
خلاصة الدرس ٣٣٤
مذاكرة..٣٣٦
الدرس الرابع عشر: معاملة الناس بالمداراة والسماحة والعفو والدعاء ٣٣٩
أهداف الدرس..٣٤١
تمهيد..٣٤١

معنى المداراة وصلتها بمعاملة الناس................................ ٣٤١
معنى السماحة وصلتها بمعاملة الناس................................ ٣٤٤
معنى العفو وصلته بمعاملة الناس ٣٤٧
العفو خُلق الأنبياء.. ٣٥١
الدعاء وصلته بمعاملة الناس ٣٥٣
صفات علوية مرتبطة بالمداراة والسماحة والعفو والصدق ٣٥٤
علاقة الصدق بالمداراة والسماحة والعفو والدعاء.................... ٣٥٥
كلمات على الطريق ٣٥٦
خلاصة الدرس ٣٥٧
مذاكرة... ٣٥٩
الخاتمة والنتائج وتوصيات ٣٦١
الخاتمة... ٣٦٣
النتائج العامّة.. ٣٦٣
النتائج الخاصّة ٣٦٦
التوصيات ٣٧٥
المصادر ٣٧٧
الفهرس ٣٩٩